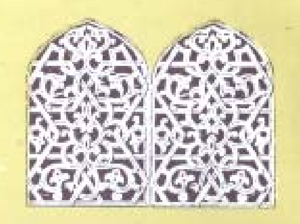


حول القرآن الكريم والكتاب المقدس

مفتريات فاندر على القرآن الكريم وردها

دكتور هاشم جودة

دكتور هاشم جودة

أستاذ مساعد بقسم التفسير
كلية أصول الدين والدعوة الاسلامية
بالمنوفيـة



الطبعـة الأولى

١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا . قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا . مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا . وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا . مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾

صدق الله العظيم

الأزهر

مجمع البحوث الإسلامية

إدارة البحوث والنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الأستاذ الدكتور / هاشم جودة

مدرس التفسير وعلوم القرآن الكريم

كلية أصول الدين - أسيوط

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

فقد ورد إلينا الكتابان المرافقان وفيهما ما فيهما من الشبه، ولما كنا قد اطلعنا على كتابكم العقائد المسيحية بين القرآن والعقل، وتبينا أنكم قد عالجتم فيه ما عالجتم بأسلوب جيد أثلج صدورنا ونال إعجابنا، ولما كانت الشبه الواردة بالكتابين المرافقين تقع [illegible] موضوع كتابكم المذكور.

لذلك نرسل لسيادتكم مرافقنا هذا الكتابين "لا تحريف في التوراة والإنجيل" "الصلب [illegible] الإنجيل والقرآن".

رجاء الاطلاع عليهما وموافاتنا بالرد عليهما بما يخدم العقيدة الإسلامية، علما بأنه ستكافأ السادة الباحثين لمثل هذا الشيء ماديا إلى جوار مكافأة الله سبحانه وتعالى التي لن تقل عن التقدير.

وإننا لفي انتظار نتيجة الفحص والرد مع رجاء إعادة الكتابين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

٢٧/١٢/١٩٨٠

مدير

إدارة البحوث والنشر

[توقيع]

٢٧/١٢/١٩٨٠

د. عبد المهيمن محمد الفقي

[توقيع] ٢٧/١٢/١٩٨٠

مقدمة

الحمد لله الذى مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعل الشمس عليه دليلا ، ثم قبضه إليه سبحانه قبضا يسيراً ، والصلاة والسلام على من ختم الله به أنبياءه ورسله وجعله للناس هادياً ومبشراً ونذيراً ، سيدنا رسول الله محمد وعلى آله وأصحابه الذين ملئوا الدنيا من هدى نبيهم علماً وحلماً وعدلا ونورا .

وبعـــد

فان مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف لما قرأ كتابنا العقائد المسيحية بين القرآن والعقل أرسل إلينا مشكورا كتابين من مؤلفات النصارى لفحصهما وكتابة تقرير عنهما شامل للناحيتين الدينية والعلمية ولإبداء الرأى الصريح فى امكان تداولهما أو عدمه .

أما أحدهما فهو كتاب ميزان الحق للدكتور فاندر ، وأما الآخـر فهو كتاب الصليب فى الأناجيل والقرآن للقس اسكندر جديد .

وبعد التصفح السريع لـكلا الـكتابين وجدنا فى كتاب الدكتور فاندر من الشبهات الضارة ، والمشكلات الخطرة ، والقضايا المعضلة مايستحق

فى رأينا أن نشغل به عما سواه فاستعنا بالله تعالى وعرضنا كل شبهة من هذه الشبهات عرضاً أميناً بعد فحصها فحصاً دقيقاً ، ثم كررنا عليها بما هو فى رأينا مبطل لها وضاحد لحجج صاحبها إن شاء الله تعالى .

وقد استوعبت هذه الدراسة الجادة المستأنية من الوقت سنة كاملة ومن الجهد ما الله وحده أعلم به . ومن القراطيس نحواً من مائتين وخمسين صفحة ضمت تمهيداً وأربعة فصول وخاتمة .

فأما التمهيد فقد ذكرنا فيه نبذة عن الكتاب ومؤلفه وزمن تأليفه ومدى ما له من آثار ضارة على ضعفاء الدين فى القديم والحديث وتصدى المتصدين له من علماء الإسلام وأئمتهم الأعلام .

وأما الفصل الأول وعنوانه « مناقشة الكاتب فى دعوى شهادة القرآن للتوراة والإنجيل » فقد ناقشنا المؤلف من خلاله فى قضايا كثيرة أهمها أن استشهاد النصارى بالقرآن مغالطة مرفوضة وأن المؤلف قد صرف الآيات القرآنية — التى استشهد بها على صحة كتابه المقدس — عن وجهها الصحيح وأولها على وفق أغراضه وأهوائه لا على ما اتفق عليه أهل العلم بالقرآن والسنة ، وأن القرآن الكريم قد شهد للتوراة والإنجيل لا للكتاب المقدس الموجود اليوم المشترك بين اليهود والنصارى بل شهد على هذه الكتب وبين أن كتابها أثمون وجاءت الأبحاث غير المتعصبة فصدقت القرآن فيما أخبر به عن هذه الكتب وكاتبيها ، وأن للمؤلف أسئلة ذكرها قديما ورددها النصارى من بعده بغية التشكيك فى الإسلام والتشويش على القرآن ، وقد رددنا على هذه الأسئلة — والحمد لله —

بما يزيل لبسها ويبرز زيفها ويبين خطرها ، وذكرنا بعــد ذلك معنى تصديق الكتب السماوية لبعضها ، وناقشنا المؤلف فــيما له على ذلك من اعتراض وجواب ، مبينين افتراءه على القرآن ، ثم ذكرنا مقارنات المؤلف بين القرآن وغيره وفندناها خاتمين هذا الفصل بخلاصة موجزة لما جاء فيه من أفكار .

وأما الفصل الثانى وعنوانه «مناقشة المؤلف فى دعوى عدم نسخ الكتاب المقدس» فقد تناولنا فيه أدلة الكاتب على صحة هذه الدعوى ونقضناها دليلا دليلا وختمناه كسابقه بخلاصة موجزة لما ورد فيه من أفكار .

وأما الفصل الثالث وعنوانه « مناقشة الكاتب فى دعوى أن أسفار العهد القديم والجديد المتداولة اليوم هى بعينها التى كانت فى عصر محمــد وشهد لها القرآن » فقد فندنا من خلاله ما زعمه الكاتب من أن الطعن فى الكتاب المقدس تكذيب للقرآن ونقضنا حججه على ذلك وأبطلناها وذكرنا مفترياته على الشيخ رحمت الله الهندى ورددناها وذكرنا تدليله على سلامة الكتاب المقدس بكثرة نسخه وتعدد تراجمه ووجود بعض فقرات منه على بعض الآثار القديمة ورددناه مبينين الحق فى أمر الوحى كما تدل عليه النصوص الصحيحة لا كما يفهمه النصارى عامة والمؤلف خاصة.

وأما الفصل الرابع وعنوانه : إبطال ما ذكره المؤلف من براهين على أن أسفار العهد القديم والجديد لم يعترها تحريف لا قبل محمد ولا بعده فقد بينا فيه ما قدم به الكاتب بين يدى هذا الفصل وناقشناه فيــه وذكرنا تأويله لما وصف به أهل الكتاب فى القرآن من التحريف وغــيره ،

ورددنا عليه فى ذلك ، وذكرنا دفاعه عما فى كتابه المقدس من اختلافات وأبطلناه ، وبينا بالحجج المقنعة والبراهين الساطعة أنه لا صحة لما قارن به المؤلف بين أوجه الاختلافات فى الكتاب المقدس وأوجه القراءات فى القرآن الكريم ، وذكرنا دفاعه بالباطل عن الباطل ومزاعمه الملفقة عن القرآن الكريم وأبطلناها بالدليل القاطع والحجة البالغة ، وأبرزنا ما للمؤلف بعد ذكره لتلك القضايا من تساؤلات وتعليقات ورددنا عليها بما يوضح وجه الحق فيها ، وذكرنا افتراء الكاتب على التاريخ ، وبعض ماله من اعتراضات على المسلمين ، وقياسه الملفق للتدليل على سلامة كتابه المقدس من التحريف والتبديل ، وإبطاله لبراهين بعض علماء الأسلام على ما وقع فى هذا الكتاب من تحريف وتبديل ، وذكره لأدلة النصارى على عدم تحريف هذا الكتاب وناقشنا كل هذه القضايا مناقشة هادئة انتهينا منها إلى أن كل تلك المشكلات التى أثارها الكاتب وتشدق بها فاسدة باطلة لا أصل لها .

وأما الخاتمة فقد أوردنا فيها خلاصة بحثنا هذا ، ورأينا فى نشر مثل هذه الأفكار المشوشة على العقول والأذهان .. هذا ما هدانا الله إليه . ووفقنا له فان نكن أصبنا فلله الحمد والمنة ، وإن تكن الأخرى فما إليها سعينا ولا فيها رغبنا وإنما هو الجهد قدمناه قدر الجهد والله نسأل أن يوفقنا لخدمة كتابه الكريم ما عشنا فى هذه الحياة انه سميع قريب مجيب الدعاء .

دكتور هاشم عبد الفتاح جوده
الأستاذ المساعد ورئيس قسم التفسير
بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بالمنوفية

تمهيد

زمن تأليف هذا الكتاب :

لم يلق الإسلام فى الهند بعد أن انتشر فى ربوعها ، وأقبل عليه — عن اقتناع — أهلها ، شديد عنت أو كبير مقاومة إلى أن غزت القوى الأجنبية تلك البلاد وتسلطت عليها ، فأحدثت تأثيراً عظيما فى أفكار بعض كبار الهند إلى درجة أن الأمبراطور « جلال الدين محمد أكبر » قد أعلن دون مواربة أن بعثة محمد صلى الله عليه وسلم قد انتهى عصرها بمضى ألف سنة عليها ، وأن الأسلام قد صار غير صالح لهذا الزمن الراقى المتقدم ، وظلت سحب هذا التيار الإلحادى تخيم على الهند حتى قيض الله لصده المصلح الإسلامى العظيم الشيخ أحمد السرهندى فقاوم فى عنف وضراوة هذا التيار ومناصريه ، ورد الحق إلى نصابه ، وأعاد الفكر الإسلامى الصحيح إلى أهله وذويه ، فاستقامت الرعية والرعاه ، وتتابع على الحق الحكام والولاة فأعلن « شاهجهان » احترامه للاسلام وتعظيمه له ، وخلفه على ذلك الاحترام للاسلام والتقديس لمبادئه ابنه « عالمجير » الذى كان خير خلف لخير سلف ، ولم يرق هذا غزاة الهند من البرتغاليين والبريطانيين فأظهروا كيدهم للاسلام علانية وأرسلوا مبشريهم فى كل مكان ليحملوا الناس على اعتناق النصرانية بالمجادلة أو المجالدة أو الإغراء بالمال والنساء إلى درجة أنهم كانوا يمنعون غير النصارى من أداء شعائر دينهم ويهدمون مساجد المسلمين ويحاولون جادين قتل من يأبى الدخول فى النصرانية من

أهل الإسلام ، ولما مات عالمجير وضعف المسلمون ضعفا شديداً وانحط نظامهم الأخلاقى استولى الأنجليز على مدراس سنة ١٧٤٨ م وأنشأوا المدارس التبشرية ودرسوا الأنجيل فى المدارس العامة إلى جوار تدريسه فى مدارس التبشير وفتحوا بكلكتا كلية لدراسة اللاهوت سنه ١٨١٩ م وكان كل طالب يدخلها يحلف بالله أنه يشتغل بعد التخرج من هذه الكلية بالحركة التبشيريه ويشترك فى برامجها ، ونشروا بالإضافة إلى هذا كله الجرائد والكتيبات والمجلات التى تشكك فى الدين الإسلامى بما خلاصته أن هذا الدين قد انتشر بالسيف ، وأن القرآن ليس كتاباً إلهياً لأن معانيه لا تطابق معانى التوراة والإنجيل .

وأن الكتاب المقدس منزه عن العبث والنسخ والتحريف والتبديل.

من هذه الكتب التى لعبت دورها فى حركة التنصير بالهند كتاب ميزان الحق الذى ألفه القسيس الدكتور فاندر فى أوائل القرن التاسع عشر الميلادى .

هذا عن الفترة التى ألف فيها كتاب ميزان الحق .

نبذة عن مؤلف الكتاب :

وأما مؤلفه فهو القسيس الدكتور فاندر هكذا بفاء بعدها ألف كما هو فى النسخة التى تحت أيدينا واسمه فى كتاب إظهار الحق (بفندر) قال الدكتور أحمد السقا مانصه :

هذا القسيس الذى دعاه الشيخ اسمه فندر ويضاف إلى اسمه حرف الباء

كما تضاف الألف إلى (فلاطون) فينطق هكذا (بفندر) بفتح الباء وسكون الفاء وفتح النون وسكون الدال . ا هـ .[1]

وأياما كان الاختلاف في اسمه فهو الذي قدم إلى الهند للتبشير بالمسيحية على المذهب البروتستانتي بعد أن سبقه لفيف من المبشرين النصارى كاثوليك كانوا أو بروتستانتيين كجيروم كزافيه اليسوعي الذي فتح باب الجدل العنيف بين النصارى والمسلمين في مسائل التوحيد والتثليث وألوهية المسيح وصحة الكتاب المقدس ، وهنري مارتين الذي وضع أساساً قوياً للتبشير بالانجيل وترجمه إلى الفارسية والأردوية وغيرهما من حملة لواء التبشير في الهند فتأثر بهم واستفاد من أخطائهم استفادة عظيمة جعلته يسلك أقصر الطرق وأيسرها إلى قلوب الناس وعقولهم حتى صار رئيسا للبعثة التبشيرية وقد ألف في هذا المجال كتباً كثيرة منها مفتاح الأسرار ، وحل الإشكال ، وطريق الحياة ، وإظهار الدين النصراني ، وميزان الحق الذي هو محل دراستنا ومناقشتنا .

وقد ترجم هذا الكتاب وكتاب طريق الحياة ومفتاح الأسرار من اللغة الأردوية وظل يدأب على نشر هذه الكتب وإقناع الناس بما فيها حتى أثار مجادلات شديدة مع علماء الإسلام في (دلهي ، وأكرا ، ولكنو) وزلزل بذلك إيمان كثير من ضعفاء الإسلام حتى تنصر بعضهم وعاون المبشرين في الهند على تحقيق مآربهم وتنفيذ أغراضهم ، وبقي كذلك يصول ويجول في ربوع الهند حتى قيض الله له من علماء المسلمين من ردوا كيده إلى نحره ،

---

(١) تعليقات السقا على اظهار الحق هامش ٤ من ص ٣٨ ط دار التراث العربي .

وكبتوه فى وكره كالشيخ محمد آل حسن الموهانى المحامى الذى رد على كتاب ميزان الحق بكتاب سماه الاستفسار ، وناظر هذا القسيس مناظرة تحريرية استمرت عشر سنوات من يوليو سنة ١٨٤٤ م إلى فبراير سنة ١٨٥٤ م ، والشيخ هادى على الذى رد على كتاب مفتاح الأسرار بكتاب سماه « كشف الأستار » والشيخ رحمت الله الهندى الذى أجهز على البقية الباقية من هذا القسيس فى مناظرة علنية وقعت فى الحادى عشر من شهر رجب سنة ١٢٧٠ هـ ، ١٠ أبريل سنة ١٨٥٤ م ببلدة أكبر آباد انتهت باعتراف القسيس (بفندر) اعترافا صريحا بوقوع التحريف فى الإنجيل على ما جاء فى شبكة الإنجيل فرنكيور كاجال وهزيمته هزيمة منكرة فيما عدا ذلك مما تناظر فيه من المسائل الأخرى إلى درجة أن القسيس قد اضطر إلى سد باب المناظرة فيما تبقى من القضايا التى حددوها له ، وترك الهند كلها فيما بعد سنة ١٨٥٧م وسافر إلى انجلترا ، وألمانيا ، وسويسرا ، والقسطنطينية وحاول فى لقاء بينه وبين السلطان عبد العزيز خان أثناء وجوده بالقسطنطينية أن يتهمه بأنه انتصر على الشيخ رحمة الله الهندى فى المناظرة التى كانت بينهما ولكن السلطان سرعان ما اكتشف كذبه وتزييفه فاستدعى الشيخ إلى بلاطه وأكرمه ونعمه وطلب منه أن يؤلف كتابا فى مباحث المناظرة الخمس — فكتب فيها كتابه اظهار الحق — وقدمه إلى السلطان فى ذى الحجة سنة ١٢٧٣ هجرية وعن هذه المناظرة يقول الشيخ رحمت الله ما نصه :

واستدعيت القسيس الذى كان بارعا وأعلى كعبا من علماء المسيحية

الذين كانوا فى الهند مشتغلين بالطعن والجرح على الملة الإسلامية ، تحريراً وتقريراً ، أعنى مؤلف ميزان الحق أن يقع بينى وبينه المناظرة فى المجلس العام ليتضح حق الإتضاح أن عدم رد علماء المسلمين ليس لعجزهم عن رسائل القسيس كما هو زعم بعض المسيحيين فتقررت المناظرة فى المسائل الخمس التى هى أمهات المسائل المتنازعة بين المسيحيين والمسلمين أعنى : التحريف والنسخ والتثليث وإعجاز القرآن ، ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، فانعقد المجلس العام فى شهر رجب سنة ألف ومائتين وسبعين من هجرة سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم فى بلدة أكبر آباد .

وكان بعض أصدقائى المكرمين أطال الله بقاءه معينا لى فى المجلس ، وكان بعض القسيسين معينا للقسيس المذكور[1] فظهرت الغلبة لنا بفضل الله فى مسألتى النسخ والتحريف اللتين كانتا من أدق المسائل وأقدمها فى زعم القسيس ، كما تدل عليه عبارته فى كتاب (حل الإشكال) فلما رأى ذلك سد باب المناظرة فى المسائل الثلاث الباقية[2] اهـ .

وقد طبعت هذه المناظرة عدة طبعات باللغتين الفارسية والأردوية ثم ترجمها العلامة رفاعة الخولى من اللغة الأردوية إلى اللغة العربية وطبعها على هامش اظهار الحق الجزء الأول طبعة ١٣١٥ هـ وطبعة ١٣١٧ هـ .

هذا عن المؤلف :

---

(١) مساعد الشيخ رحمت الله هو الدكتور محمد وزير خان — ومساعد بفندر هو القسيس فرينتش وينطق (فرنج) .

(٢) اظهار الحق للشيخ رحمت الله الهندى ط دار التراث العربى للطباعة والنشر ص ٣٨ : ٣٩ .

نبذة عن كتاب ميزان الحق :

وأما عن الكتاب فقد طبعه مؤلفه مرتين :

أولاهما : فى أوائل القرن التاسع عشر .

وثانيهما فى منتصفه .

فأما الطبعة الأولى فقد ظلت معمولا بها حتى كتب الشيخ محمد المحامى رده على هذا الكتاب فى كتابة « الاستفسار » فألغى القسيس هذه الطبعة وأعاد من جديد تهذيب كتابه وترتيبه فأضاف إليه أشياء وحذف منه أشياء ثم أخرجه إلى الناس فى سنة ١٨٤٩ ، ١٨٥٠ ميلادية .

قال صاحب الإظهار عن ذلك ما نصه : اعلم أيها الأخ أن لهذا الكتاب نسختين نسخة قديمة كانت متداولة إلى مدة بين القسيسين الواعظين قبل تأليف (الاستفسار) ولما ألف الذكى الفاضل آل حسن (كتاب الاستفسار) ورد الباب الأول والثالث من النسخة المذكورة وانكشف على القسيس النبيل بفندر حال كتابه بعدما قرأ الاستفسار ، استحسن أن يهذبها ويصلحها مرة أخرى ويزيد فيها شيئاً ويطرح عنها شيئاً ففعل هذا الذى استحسنه وأخرج نسخة جديدة سواها بعد الاصلاح التام ، وطبع هذه الجديدة باللغة الفارسية سنة ١٨٤٩ فى بلدة أكبر أباد وباللغة الأردوية سنة ١٨٥٠ فصارت تلك النسخة العتيقة بهذه النسخة الجديدة كالقانون المنسوخ عندهم لا يعبأ بها اهـ.[١] .

---

(١) اظهار الحق للشيخ رحمت الله الهندى ط دار التراث العربى للطباعة والنشر ص ٤٦ .

وتشتمل هذه النسخة الجديدة على ثلاثة أبواب [٢] أرسل إلينا المجمع الباب الأول منها فقط وعنوانه « بيان أن العهد القديم والجديد (أى التوراة والإنجيل) هما كلام الله ولم يحرفا ولم ينسخا » وهو محتو على أربعة فصول جعل المؤلف أولها للحديث عن شهادة القرآن للتوراة والإنجيل وخصص ثانيها للحديث عن عدم إمكان نسخ الكتاب المقدس لا فى حقائقه ولا فى عقائده ، ولا فى مبادئه الأدبية ، وأعد ثالثها لبيان أن أسفار العهد القديم والجديد المتداولة اليوم هى بعينها التى كانت بأيدى النصارى واليهود فى عصر محمد ولها قد شهد القرآن ، وضمن رابعها ما خلاصته أن أسفار العهد القديم والجديد لم يعترها تحريف لا قبل محمد ولا بعده .

وقد رددنا بحول الله وطوله على كل ما أثاره الكاتب فى تلك الفصول من قضايا ومشكلات ملتزمين فى ردنا عليه بإيراد شبهته بأمانة ثم ندحضها بما يهيئه الله لنا من حجج وبراهين ، وأما البابان الآخران فلم نعرض لهما بعد لا بدراسة ولا بمناقشة ونسأل الله تعالى أن يمكننا فى القريب العاجل من دراستهما ومناقشتهما وإخراج ما نكتبه عنهما للنور (ليهلك من هلك عن بينة ويحى من حى عن بينة وإن الله لسميع عليم) .

---

(١) توجد من هذا الكتب نسخ فى دار الكتب المصرية تحت رقم ٦ رمز لاهوت كذا ذكره الدكتور أحمد السقا فى هامش ص ٣٨ من مقدمته لاظهار الحق ....

الفصل الأول

مناقشة الكاتب فى دعوى شهادة القرآن
للتوراة والإنجيل

استشهاد النصارى بالقرآن مغالطة مرفوضة :

نود بادىء ذى بدء أن نقول . . إن المؤلف قد استشهد فى بداية هذا الجزء من كتابه خاصة ، وفى سائر فصول ذلك الجزء عامة بكثير من ايات القران الكريم على صدق التوراة والإنجيل وعلى أنهما موحى بهما من الله إلى أنبياء بنى إسرائيل ، وعلى أن هذين الكتابين هما هما منذ نزلا إلى اليوم لم يصبهما تحريف ولا تبديل ، وعلى أشياء أخرى رأى أن القران يصدق كتابهم وأهله فيها ، ويحث المسلمين على سؤال أهل الكتاب عندما يلتبس عليهم أمر من الأمــور مستبيحا لنفسه ولأمثاله من الكتاب النصاريين ذلك اللون من الاستشهاد العقيم بحجة أنهم يبرهنون للمسلمين على صدق كتابهم وعدم تحريفه ، ولما كان أعظم ما يثق فيه المسلمون ويصدقونه هو القران ناسب أن يستدلوا منه على صدق كتابهم وعدم وقوع التبديل فيه ، ونحن نرى أن هذه مغالطة بينة ، لأن المستشهد بشىء على شىء لابد أن يـكون مصدقاً بذلك الذى يستشهد به وإلا كان المستشهد عليه باطلا لبطلان المستشهد به ، إذ من المعروف بداهة أن المدلل عليه

يكون باطلا وكاذباً إذا كان دليله كذلك ، وهم لا يعتقدون صدق القرآن ولا يعترفون به فكيف يحتجون بما لا يصدقون به على صدق ما هو عندهم حق ويقين ؟

فان قالوا نلزم المسلمين بكلامهم الذى يثقون فيه قلنا إن ثقة المسلمين بالقرآن تجعلهم يؤمنون به كله ، لا أن يؤمنوا ببعضه ويكفروا ببعضه الآخر ، فعلى من يستدل للمسلمين بالقران على شيء أن يذكر كل ما فيه ؟ سواء أكان عليه أم كان له ؟ أما أن يذكر جزءا من القرآن ويترك الجزء الآخر فتلك مغالطة بينة لا يفعلها إلا جاهل متفيهق أو عالم متعصب .

ولا يلزمنا نحن المسلمين إذا احتججنا عليهم ببعض كتبهم دون بعضه الآخر ما ألزمناهم به من عدم صحة احتجاجهم علينا ببعض القرآن دون بعضه الآخر ، لأنا نعتقد اعتقادا جازماً بأن الله تعالى قد أنزل التوراة على موسى عليه السلام ، وأنزل الأنجيل على عيسى سلام الله عليه ، وأن هذين الكتابين قد أصابهما بعد ذلك من التحريف والتبديل ، والإهمال والتضييع ما خلط الحق بالباطل ، والصدق بالكذب ، والهدى بالضلال.

ولما كانت عندنا القاعدة التى بها نميز الخبيث من الطيب ، والغث من السمين ألا وهى القرآن الكريم فما وافقه من هذين الكتابين أخذنا به وصدقناه ، وما خالفه منهما أعرضنا عنه وكذبناه ، وما سكت القرآن عنه مما جاء فيهما توقفنا فيه فلم نصدقه ولم نكذبه ، لما كان ذلك كذلك صح لنا أن نحتج عليهم ببعض كتابهم دون بعضه الآخر لذا فنحن نود بادىء

ذى بدء استشهاد ذلك المؤلف ومن لف لفه بالقرآن على صدق الكتاب المقدس الذى بين أيديهم أو على عدم تحريفه ، أو ما إلى ذلك من الأمور الكثيرة التى استشهد بالقرآن عليها[١] .

تأويل شواهد المؤلف على وجهها الصحيح :

ومع ذلك فسوف نتناول شواهده إن شاء الله بالشرح والتفصيل فنقول وبالله التوفيق .

قدم المؤلف بين يدى هذا الفصل من كتابه بمقدمة ذكر فيها ماخلاصته أنه لو كان يدلل للملحدين على صدق الكتاب المقدس لأقام لهم من الأدلة العقلية الخارجية والداخلية ومن الحجج المنطقية والشواهد التاريخية ما أفحمهم به وردهم بواسطته إلى الجادة والمنهج السليم ، ولكنه لما كان بصدد مساعدة اخوانه المسلمين ! كما قال — على فهم قرآنهم « الذى يقبلونه كآخر إعلان من الله ويؤمنون بأنه يحتوى على كلام الله نفسه »[٢] فهما صحيحا يساعدهم على التصديق بما تحت أيديهم الآن من أسفار العهدين القديم والجديد والاذعان لهما والأيمان الكامل بهما ، ساق لهم من الأدلة القرآنية فى زعمه على ذلك مارأى أنه سوف يردهم بها إلى الحقيقة والصراط المستقيم فقال مانصه « يعلم الجميع أن المصحف يشهد أنه وجد

---

(١) هذا ما رد على جواب الاعتراض الذى أورده المؤلف فى ص ٤٥ حيث قال (ورب معترض يقول أولا انكم يا جماعة المسيحيين لا يسعكم الاستشهاد من القرآن بأنه غير مقبول لديكم ككتاب منزل من عند الله تعالى) .

(٢) ما بين القوسين هو كلام المؤلف .

فى جزيرة العرب زمن صاحب القرآن أمتان مختلفتان فى الدين قال فى سورة البقرة آية ١١٣ « وقالت اليهود ليست النصارى على شىء وقالت النصارى ليست اليهود على شىء وهم يتلون الكتاب ، كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم » وملخص ما قاله البيضاوى فى تفسيره على هذه الآية أنها نزلت عند قدوم وفد نجران على صاحب القرآن حيث تناظروا مع أحبار اليهود وتقاولوا بذلك ، ليست على شىء أى على أمر يصح ويعتد به ، والحال أنهم من أهل العلم والكتاب ومثل قولهم قال الذين لا يعلمون كعبدة الأصنام والمعطلة أ . هـ .

ثم قال « لكنهما وان اختلفا دينا فقد اتحدا بتسمية كل منهما أهل الكتاب ألا وهما المسيحيون واليهود » . وأورد تدليلا على صحة مقالته تلك نحو أمن خمس عشرة آية مفرقة بين سورة البقرة ، وآل عمران ، والنساء والعنكبوت [١] . كقوله تعالى « مايود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين » وقوله سبحانه « ود كثير من أهل الكتاب » إلى آخر تلك الآيات الكثيرة الواردة فى هذا الصدد .

ونحن نقول يعلم الجميع أيضاً أن المصحف يشهد أن هاتين الأمتين المختلفتين فى الدين قد كذب السابق منهما اللاحق وأدان اللاحق منهما السابق ، ويعلم الجميع كذلك أن اليهود والنصارى لم يتحدا بتسمية القرآن لكل منهما بأهل الكتاب كما زعم المؤلف ، لأن هذه التسمية أطلقت على اليهود من

(١) البقرة آيات ١١٥ ، آل عمران آيات ٢٠ ، ٢٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٥ ، ١٢٠ ، ١٩٩ ، النساء ١٥٣ ، ١٥٧ العنكبوت ٤٦ ، ٤٧ .

حيث إن لهم كتابا أنزل على موسى عليه السلام وهو التوراة ، وأطلقت على النصارى من حيث إن لهم كتاباً أيضاً أنزل على عيسى عليه السلام وهو الإنجيل فهى تسمية مستقلة لكل من الفريقين ، وإن صدقت ألفاظها على كليهما ، تماماً كما لو سمى أحدنا ثلاثة أولاد عنده أحمد فهل يقال ان هذه التسمية قد وحدت بين الأولاد الثلاثة وألفت بينهم رغم اختلافهم فى المذاهب والمشارب ، بالطبع لا ، لأن التسمية لا تجمع المشتركين فيها من شتات ولا تمنعهم من فرقة أو اختلاف ، فالقول بأن اليهود والنصارى قد اتحدا بتسمية القرآن لكل منهما أهل الكتاب قول غير سائغ ولا مقبول .

ثم أثار المؤلف قضية خلاصتها أن القرآن يشهد أن الكتاب الذى انتهى إليه هذان الشعبان لم يزل موجودا بصحته إلى زمنه ، وأنه دون ما شك هو الذى كان وقتئذ موجودا بأيديهم ، وأن اليهود قد تلقوا التوراة بالتوارث عن آبائهم ، وأن القرآن يجل الكتاب المقدس إلى درجة أنه يأمر محمداً بسؤال أهل الكتاب إن حصل عنده شك فى القرآن ليتثبت . وأنه لم يقتصر على الشهادة للكتاب عامة بل شهد لأجزائه الثلاثة : التوراة والزبور والإنجيل شهادة مفصلة كل على حدة وأنه يخبرنا بأن من لا يقبل هذه الكتب ولا يؤمن بها فسوف يعاقب فى الآخرة عقابا شديدا .

ودلل على صدق هذه القضية وصحة ما جاء فيها من دعواه بكثير من آيات القرآن وأقوال بعض المفسرين من علماء المسلمين .

من تلك الآيات قوله تعالى فى سورة العنكبوت ٤٦ ، ٤٧ : « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون » إلى قوله تعالى « وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون » ، وقوله تعالى فى سورة آل عمران ٣ ، ٤ « وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس » وقوله فى نفس السورة ٢٠ : « فإن حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن » إلى قوله تعالى « والله بصير بالعباد » وقوله سبحانه فى نفس السورة أيضاً « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون » ٢٣ .

وهنا يذكر ملخصا لما جاء عن البيضاوى فى تفسير تلك الآية فيقول : قال البيضاوى ما ملخصه الداعى محمد وكتاب الله القرآن والتوراة ا . هـ .

وقوله تعالى فى سورة المائدة ٤٣ ، ٤٤ « وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين » إلى قوله تعالى « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » وقوله تعالى فى نفس السورة أيضا ١٦٨ « قل يا أهل الكتاب لستم على شىء حتى تقيموا التوراة والإنجيل » وقوله تعالى فى سورة الأعراف ١٦٩ « فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب » ، وقوله سبحانه وتعالى فى سورة يونس ٩٤ « فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك » وقوله فى سورة الأنعام ٩١ « قل من أنزل الكتاب الذى جاء به

موسى نورا وهدى للناس الخ وقوله فى نفس السورة ٩٢ (وهذا كتاب) أى القرآن كما قال المؤلف . (أنزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه) وهنا يقول المؤلف قال البيضاوى يعنى التوراة أو الكتب التى قبلة .

وقوله فى نفس السورة الكريمة (ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذى أحسن وتفصيلا لكل شىء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون) ١٥٤ ، وقوله بعد ذلك فى نفس السورة أيضاً (أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا) ١٥٦ وهنا يقول المؤلف قال البيضاوى أى اليهود والنصارى ا. هـ .

وقوله تعالى فى سوره هود « ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه » ١١٠ ، وقوله تعالى فى سورة المائده عن المسيح والأنجيل « وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين وليحكم أهل الأنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » ٤٦ وقوله عن القرآن فى نفس السورة أيضا «وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب » أى من جنس الكتب المنزلة «ومهيمنا عليه »٤٨ أى رقيبا على جميع الكتب يحفظها عن التغير ويشهد لها بالصحة والثبات ا. هـ كما قاله المؤلف نقلا عن البيضاوى .

وقوله عز اسمه عن المسيح والإنجيل وأتباعه فى سوره الحديد « ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الأنجيل وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم

إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين امنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون » ٢٧ ، وقوله عز وجل فى سورة الإسراء عن زبور داود « ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا » ٥٤ وفى سورة الأنبياء « ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون » ١٠٤ ، وقوله تعالى فى سورة الملائكة كما ذكر المؤلف أى سورة فاطر « والذى أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه إن الله بعباده لخبير بصير ، ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا » ٣٠ ، ٣١ وقوله جل ثناؤه فى سورة غافر « ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بنى اسرائيل الكتاب هدى وذكرى لأولى الألباب »٥٢ وقوله فى نفس السورة أيضاً « الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون إذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون » ٧٠ ، ٧١ ٠

بيان بطلان هذه القضايا

هذا ما احتج به المؤلف على صحة قضيته وصدق دعواه ، ولنشرع بحول الله وطوله فى بيان ما احتج به وتأويله على وجهه الصحيح لا على ما قصده المؤلف وارتضاه فنقول وبالله التوفيق ٠

التاريخ يتكلم

أولا : ادعاء الكاتب أن اليهود والنصارى كانوا شعبين فى الجزيرة العربية زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعاء لا يقره التاريخ ولا يصدقه بل ما تشهد به كتب التاريخ الموثقة هو أن اليهود كانوا زمن رسول الله

صلى الله عليه وسلم فى الجزيرة العربية وخارجها أقليات خاضعة لعديد من شعوب الأرض لا دولة لها ولا سلطان [1] وأن النصـــارى ما كانوا فى الجزيرة العربية أمة ولا شعبـــا ، بل كانت دولتهم انذاك هى الرومان ، ومعلوم أن الرومان دولة قديمة طرأت عليها المسيحية بعد القرن الثانى الميلادى بزمن غير قصير .

ثانيا : ادعاء الـكاتب أن اليهود والنصارى ينتميان إلى كتاب واحد أمر لا يقره التاريخ القديم ولا الواقع المعاصر لأن اليهود ما اعترفوا أبدا بالأنجيل ولا بالمسيح ولا انتموا إليهما منذ بعث عيسى عليه السلام إلى يومنا هذا فـكيف يصح لأحد أن يقول إن اليهود والنصارى ينتميان إلى كتاب واحد ؟

القرآن لا يشهد لـكتابهم المقدس ولا يعترف به :

ثالثاً : ما ادعاه المؤلف من أن القرآن يشهد بوجود الـكتاب المقدس صحيحا إلى زمنة دون ما تحريف ولا تبديل هو فيما نعلم صرف متعمد للحقائق عن وجهها الصحيح وتأويل مقصود للآيات القرآنية الـكريمة على غير ما تأولها عليه أدنى أهل العلم معرفة بله الراسخين فيه من علمـــاء المسلمين ، وأما قوله تعالى فى سورة العنكبوت « ولا تجادلوا أهل الـكتاب إلا بالتى هى أحسن » الى قوله سبحانه « وما يجحد بآياتنا إلا الـكافرون »

---

(١) انظر فى ذلك :
١ ـ تاريخ اليهود فى بلاد العرب لاسرائيل ولفنسون .
٢ ـ تاريخ بنى اسرائيل للأستاذ محمد عزه دروزه .
٣ ـ تاريخ الاسرائليين لشاهين مكاريوس .

٤٦ ، ٤٧ فلا نجد فيه من قريب أو بعيد شهادة ما للكتاب المقدس بوجوده صحيحا إلى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل ما نجده فى هاتين الآيتين الكريمتين هو النهى عن مجادلة أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن ودعوتهم إلى الإيمان بالله الواحد وبما أرسل إلى خلقه من انبياء وبما أنزل على أنبيائه من كتب دون أن يفرقوا بين كتاب و كتاب ، ولا بين رسول ورسول فيما جاءوا به من الدعوة إلى توحيد الله عز وجل وإسلام الوجه له سبحانه ، والطاعة الكاملة والخضوع التام لأوامره ونواهيه التي أمر رسله ومنهم محمد صلى الله عليه وسلم بتبليغها للناس ودعوتهم إلى الإيمان بها وأن الله تعالى قد أنزل القرآن على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم كما أنزل الصحف والتوراة والزبور والإنجيل على ابراهيم وموسى وداود وعيسى عليهم الصلاة والسلام .

فالواجب إذاً على من وجد من أهل هذه الكتب فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده أن يؤمنوا به وبما أنزل الله عليه من قرآن إذ المنزل واحد وهو صاحب الأمر والنهى فى كل زمان ومكان وهو المرسل للأنبياء الآمر لهم بتبليغ ما بلغوه فكيف يستجيز أحد لنفسه بعد ذلك أن يصدق نبياً دون نبي وكتابا دون كتاب مع أن من يفعل مثل ذلك يكون بالضرورة مكذبا لله سبحانه ومخالفا ومن كذب الله وخالفه فقد كفر به وأصبح من الخاسرين . هذا ما نجده فى الآيتين الكريمتين فأين ما يراه المؤلف فيهما من الشهادة للكتاب المقدس بوجوده صحيحا فى زمن القرآن الكريم كما زعم وادعى ؟

وأما قوله تعالى فى سورة آل عمران « فإن حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن » إلى قوله سبحانه « والله بصير بالعباد » فمعناه والله أعلم بمراده أن أهل الكتاب إن جادلوك يا محمد فى أمر هذا الدين بعد ما أظهرت لهم من الأدلة والبراهين ما هو كاف فى ملء القلوب باليقين وإذعانها بتوحيد الله رب العالمين ، ودمغت الباطل بالحجج الواضحة والآيات البينة « فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن » وادعهم ومن على شاكلتهم فى الكفر بما جئت به من مشركى العرب إلى الإسلام « وإن أسلموا فقد اهتدوا » وإن تولوا فانما عليك البلاغ فقط وليس عليك تحويل قلوب الناس من الكفر إلى الإيمان ، بل الله بعباده بصير مطلع على أحوالهم وعلى قلوبهم. قال صاحب المنار « وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين » أى لليهود والنصارى ومشركى العرب ثم قال وخص هؤلاء بالذكر – والبعثة عامة – لأنهم هم الذين خاطبهم الرسول بالدعوة بلا واسطه ولا استفهام فى قوله « أأسلمتم » للتقريع ؛ والمراد بالإسلام روح الدين الذى نزل به الكتاب ومقصده يعنى أنه ليس لهم إلا الرسوم منه اهـ [1] .

فبأى شىء شهدت الآية الكريمة للكتاب المقدس كما اختلق الأستاذ المؤلف وافترى ؟

ولا نلمح أيضا هذه الشهادة المفتراة فيما احتج به المؤلف من قوله تعالى فى نفس السورة الكريمة « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب

---

(١) كذا ذكره الشيخ رشيد رضا فى تفسير المنار ج ٣ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ٣١٤ .

يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون» ٢٣ بل نرى فى الآية الكريمة تعجبا واضحا من إعراض أولئك الذين أوتوا نصيبا من كتابهم وعرفوا شيئا عن الوحى والتنزيل حين يدعوهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ما تبقى تحت أيديهم من التـــوراة ليحكم بينهم مع أنهم يصدقونه ويؤمنون به ، أو هو تعجب بليغ من إعراضهم عن التحاكم إلى القرآن ، وقد أمروا بتصديقه وتصديق ما أنزل عليه صلى الله عليه وسلم وأيا ما كان المعنى فان قوله تعالى هنا « أوتوا نصيبا من الكتاب » يشهد بجلاء أن التوراة لم تكن كلها موجودة فى عصر رسول الله ، بل كان بعضها موجودا وهو النصيب الذى أوتوه وعبر الله عنه بقوله سبحانه « أوتوا نصيبا من الكتاب » وأما البعض الآخر فقد نسوه وضيعوه كما أخبر الله عز وجل عن ذلك بقوله فى سورة المائدة عن اليهود « فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به » فهل بعد هذا التوضيح الكامل والتبيين الشامل ينال إن القرآن شهد بوجود الكتاب المقدس صحيحا إلى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأما قوله سبحانه عن التوراه فى سورة آل عمـــران « قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين » ٩٣ وفى سوره المائدة « وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله » إلى قوله سبحانه « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » ٤٣ ، وقوله عن الأنجيل فى

تلك السورة الكريمة « وليحكم أهل الأنجيل بما أنزل الله فيه »٤٧ وقوله عن التوراة والأنجيل فى نفس السورة أيضاً « ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون »٦٦ « قل يا أهل الكتاب لستم على شىء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين » ٦٨ .

فالمقصود بالتوراة والانجيل فى هذه الآيات كلها وفيما هو من آى القرآن على شاكلتها ما صح فى علم الله تعالى من البقية الباقية تحت يد اليهود من الكتاب الذى أنزله الله على موسى وسماه التوراة وما صح فى علم الله أيضا من البقية الباقية تحت يد النصارى من الكتاب الذى أنزله الله على عيسى وسماه الأنجيل لأن الله تعالى أخبرنا فى القرآن الكريم بأن اليهود أوتوا نصيبا من الكتاب ونسوا حظا مما ذكروا به فدل هذا على أن ما تحت يد اليهود هو بقية من التوراة التى أنزلها الله على موسى فحملها وأضاف إليها الكثيرون من كتابهم ومؤرخيهم ، ومن وصفوا عندهم بالنبوة تارة وبالصدق والأمانة تارة أخرى كعذرا وأمثاله .

وليس من المعقول أن تنسى طائفة من الناس أنزل الله لهم كتاباً جميع ما فيه من شرائع وأحكام بل المعقول والمقبول أن تنسى بعضا وتذكر بعضا وفيما تذكره الصحيح وغيره ومثل هذا كاف فى الاحتجاج على

بني اسرائيل بإقامة التوراة وللشهادة بأن فيها حكم الله كما في سورة المائدة .
هذا بالنسبة للتوراة ، وأما بالنسبة للانجيل فقد أخبرنا الله في القرآن أيضا
بأن أهله (أى النصارى) قد نسوا حظاً مما ذكروا به وبقي لديهم جزء آخر
منه تضمنته أناجيل القوم ورسائلهم التي يسمونها الآن بالعهد الجديد .
ومثل هذا كاف في الاحتجاج على النصارى بإقامة الإنجيل والحكم به
زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما علم الله أزلا أنه مازال صحيحاً وأنزل
مثله على رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً . فأين ما ارتآه المؤلف في تلك
الآيات الكريمة ونظائرها من الأدلة والبراهين على شهادة القرآن الكريم
للكتاب المقدس وأخباره بأنه كان موجودا بصحته إلى عهد المصطفى وزمن
نزول القرآن ؟ .

إن القرآن الكريم لم يشهد لما تحت أيديهم من تلك الفصول المؤلفة
ولا هذه الأسفار الملفقة التي يطلقون عليها اسم الكتاب المقدس .

ما شهد له القرآن حقاً :

وإنما الذى شهد له القرآن حقاً ، وأخبرنا بأنه منزل من عند الله صدقاً
هو التوراة التي أوحاها الله إلى موسى ليبلغها قومه ويكلفهم بالعمل بما جاء
فيها . والزبور الذى أوحاه الله إلى داود عليه السلام ليبلغه قومه
والإنجيل الذى أوحاه الله إلى عيسى عليه السلام ليبلغه قومه ويأمرهم أن
يعملوا بما جاء فيه شهد الله لهذه الكتب وأخبرنا بأنه هو الذى أنزلها
وبأنها يصدق بعضها بعضا ، وبأن القرآن يصدقها ويعترف بها ويهيمن عليها

في قوله تعالى « وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس »[١] .

وقوله « إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور » وقوله سبحانه « وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين » وقوله عز وجل « وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه »[٢] وقوله « قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس » وقوله « وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه » وقوله سبحانه « ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذى أحسن وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون »[٣] وقوله في سورة هود « ولقد آتينا موسى الكتاب » ١١٠ وقوله عن زبور داود « ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا »[٤] « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون »[٥] .

وقوله تعالى في سورة غافر « ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بنى اسرائيل الكتاب، هدى وذكرى لأولى الألباب» ٥٤ وقوله في سورة الحديد « ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الإنجيل » ٢٧ .

---

(١) آل عمران ٣ ، ٤ .

(٢) المائدة ٤٤ — ٤٨ .

(٣) الأنعام ٩١ ، ٩٢ ، ١٥٤ .

(٤) الاسراء ٥٥ .

(٥) الأنبياء ١٠٤ .

هذه الكتب التى شهد لها القرآن حقاً ، وأخبرنا بأنها منزلة من عند الله صدقاً .

شهادة القرآن على كتب اليهود :

أما ماتحت أيديهم من هذه الأسفار التى يسمونها بالكتاب المقدس، فلم يشهد القرآن لها ، ولم يخبرنا بأنها منزلة من عند الله ، بل شهد عليها حيث جاء فيه من الآيات البينات ما يدلل به على أن اليهود والنصارى وغيرهم قد عبثوا بكتبهم الأولى ولعبوا فيها بأهوائهم حتى لفقوا منها كتبا خلطوا فيها بين الحق والباطل ، وبين ما نزله الله وما لم ينزله سبحانه قال تعالى لليهود « ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون » وقال سبحانه عنهم « أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون » وقال عنهم أيضاً « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون »(١) .

ووصفهم بتحريف الكلم عن مواضعه ونقض العهود والمواثيق فى غير ما آية من القرآن فقال تعالى فى سورة النساء « من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه » ٤٦ ، وقال سبحانه فى نفس السورة « فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله » ١٥٥ .

---

(١) البقرة ٤٢ ، ٧٥ ، ٧٩ .

وقال عنهم فى سورة المائدة « فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به »١٣

وبين سبحانه أنهم ما حافظوا على ما استحفظوا عليه من كتاب الله بل جعلوه قراطيس يبدون بعضها ويخفون البعض الآخر وباعوا ميراثهم العظيم بالعرض الأدنى رغم ما أخذ عليهم فى ميثاق كتبهم من أنهم لا يقولون على الله إلا الحق واختلفوا فى هذا الكتاب بعد ما آتاه الله موسى اختلافاً عظيما جعلهم فى شك منه مريب فقال تعالى فى سورة الأنعام « قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا » ٩١ وقال فى سورة الأعراف « فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون » ١٦٩ وقال فى سورة هود « ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم وأنهم لفى شك منه مريب » ١١٠

هذا بعض ما جاء فى القرآن الكريم عن موقف اليهود من كتابهم والباحث المنصف لا يستطيع بعد البحث والتنقيب أن ينكر شيئاً مما قاله القرآن .

كلمة الأبحاث الجادة فى العهد القديم :

وأما من حيث التحريف فقد وقع فى التوراة بالزيادة تارة وبالنقصان تارة أخرى وبتبديل لفظ حينا وإسقاط لفظ أو جملة من المكتوب حينا آخر . فمن أوضح الأمثلة على وقوع التحريف بالزيادة فى توراتهم تلك ما ذكره الشيخ رحمت الله الهندى فى كتابه إظهار الحق حيث قال ما نصه :

« واعلم أن ثمانية أسفار من العهد العتيق كان مشكوكا فيها وغير مقبولة عند المسيحيين إلى ثلثمائة وأربع وعشرين سنه وهى هذه .

١ - سفر أستير ، سفر باروخ ، سفر طوبيا ، سفر يهوديت ؛ سفر وزدم ، سفر ايكليزياستكبكس . السفر الأول لمكابين . السفر الثانى لمكابين . وفى سنة ثلثمائة وخمس وعشرين من السنين المسيحية انعقد مجلس العلماء المسيحية بحكم السلطان « قسطنطين » فى بلدة « نائس » ليتشاوروا ويحققوا الأمر فى هذه الاسفار المشكوك فيها . وبعد المشاورة والتحقق حكم هؤلاء بأن سفر يهوديت واجب التسليم . وأبقوا باقى الكتب مشكوكا فيها كما كانت . وهذا الامر يظهر من المقدمة التى كتبها جيروم على سفر يهوديت . ثم بعد ذلك انعقد مجلس « لوديسيا » فى سنة ثلثمائه وأربع وستين . وعلماء هذا المجلس سلموا بحكم علماء المجلس الأول فى سفر يهوديت . وزادوا عليه من الأسفار المذكورة سفر أستير وأكد حكمهم بالرسالة العامة . ثم بعد ذلك انعقد مجلس (كارتهيج) فى سنة ثلثمائة وسبع وتسعين . وكان أهل ذلك المجلس مائة وسبعة وعشرين عالما من العلماء المشهورين ومنهم الفاضل المشهور المقبول عندهم اكستائن وهؤلاء العلماء سلموا أحكام المجلسين الأولين وسلموا الأسفار الباقية ،

٣٢٥

٣٦٤

٣٩٧

لكنهم جعلوا سفر باروخ بمنزلة جزء من سفر أرمياء ؛ لان باروخ عليه السلام كان بمنزلة نائب لأرمياء عليه السلام ، فلذلك ما كتبوا اسم سفر باروخ عليه السلام على حدة فى أسماء الاسفار ثم انعقد بعد ذلك ثلاثة مجالس أخر أعنى مجالس ترلوا ومجلس فلورنس ومجالس ترنت وعلماء هذه المجالس الثلاثة سلموا أحكام المجالس الثلاثة السابقة . وبعد انعقاد هذه المجالس صارت الاسفار المذكورة مسلمة بين جمهور المسيحيين . وبقيت إلى مدة ألف ومائتى سنة ، ثم ظهرت فرقة البروتستنت فردوا حكم أسلافهم فى سفر باروخ وسفر طوبيا وسفر يهوديت وسفر وزدم وسفر ايكليزياستيكس وسفرى المكابيين وقالوا : إن هذه الاسفار ليست مسلمة إلهامية ؛ بل واجبة الرد . وردوا حكمهم فى جزء من سفر أستير وسلموا فى جزء لأن هذا السفر كان ستة عشر اصحاحا فسلموا الاصحاحات التسعة الاولى وثلاث آيات من الاصحاح العاشر . وردوا عشر ايات من هذا الاصحاح وستة اصحاحات باقية . وتمسكوا بوجوه منها : أن يوسى بيس المؤرخ صرح فى الباب الثانى والعشرين من الكتاب الرابع أن هذه الاسفار حرفت سيما السفر الثانى للمكابيين ومنها أن اليهود لا يقولون أنها الهامية والكنيسة الرومانية التى متبعوها إلى الآن أكثر فرقة البروتستنت تسلم هذه الاسفار إلى هذا الحين . ويعتقدون أنها إلهامية واجبة التسليم . وهى داخلة فى ترجمتهم اللاتينية التى هى مسلمة عندهم ومعتبرة غاية الإعتبار وهى مبنى دينهم وديانتهم . اهـ[1] .

---

(١) اظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندى جـ ١ دار التراث العربى للطباعة والنشر ص ٢٢١ .

ومن أمثلة ما فيها من التحريف بالنقص ما ذكره صاحب الأظهار أيضاً : حيث قال : الآية الثانية والعشرون من الإصحاح الثانى من سفر الخروج هكذا « فولدت ابناً فدعا اسمه جرشوم لأنه قال كنت نزيلا فى أرض غريبة ، وتوجد فى الترجمة اليونانية واللاتينية وبعض التراجم القديمة فى آخر الآية المذكورة هذه العبارة » وولدت غلاما ثانياً ودعا اسمه العاذر فقال من أجل أن إله أبى أعاننى وخلصنى من سيف فرعون .» قال آدم كلارك » فى الصفحة ٣١٠ من المجلد الأول من تفسيره بعد مانقل العبارة المسطورة من التراجم : أدخل (هيوبى كنت) هذه العبارة فى ترجمته اللاتينيه ويدعى أن موضعها هذا ولا توجد هذه العبارة فى نسخة من النسخ العبرانية مكتوبة كانت أو مطبوعة ، مع أنها وجدت فى التراجم المعتبرة « انتهى فعندهم هذه العبارة ساقطة من النسخة العبرانية » ا . ه[١] .

ومن أمثلة مافيها من التحريف بالتبديل ماجاء فى الفقرة التاسعة عشرة من الإصحاح الثامن والعشرين من السفر الثانى من أخبار الأيام فى النسخة العبرانية من قوله : الرب قد أذل يهوذا بسبب أحاز ملك اسرائيل فلفظ إسرائيل » غلط يقينا ، لأنه كان ملك يهوذا لا ملك إسرائيل .. ووقع فى اليونانية واللاتينية لفظ يهوذا بدل إسرائيل فالتحريف فى العبرانية ا . ه بتصرف[٢] .

ومما فيها من التحريف بإسقاط لفظ أثناء الكتابة سهوا أو عمدا

---

(١) اظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندى ج ١ ط دار التراث العربى للطباعة والنشر ص ٢٤٧ .

(٢) المرجع السابق ص ٢١١ .

ما جاء فى الفقرة الثانية والعشرين من الإصحاح الخامس والثلاثين من سفر التكوين من قوله : « وحدث إذ كان إسرائيل ساكنا فى تلك الأرض أن رأوبين ذهب واضطجع مع بلهة سرية أبيه وسمع إسرائيل وكان بنو يعقوب اثنى عشر » .

فإن اليهود يرون أن شيئا سقط من هذه الفقرة تتمة الترجمة اليونانية وهو « وكان قبيحا فى نظره » وذلك اعتراف منهم بسقوط بعض الجمل من التوراة أثناء تدوينها فضلا عن سقوط حرف أو حرفين اهـ .[1] .

الأمر الذى اضطر المؤلف نفسه إلى أن يقول عما فى التوراة من تناقضات « إنها تناقضات ظاهرية فقط فقد وفق العلماء المحققون بين كثير منها والتى لم يهتدوا إلى التوفيق بينها فصعوبتها قائمة على عدم معرفتهم لكل ظروفها . وجعله يقول عن ما بين النسخة السامرية والعبرانية من اختلاف فى تواريخ الأقدمين أنه محمول فى الغالب على الخطأ لأن الأرقام قابلة للخطأ حيث يسهل أن يحل بعضها محل الآخر ومن البين أن اختلاف النسخ فى هذه الأرقام لا يمس جوهر الكتاب فى شىء .

ويقول أيضاً عن ما بين هاتين النسختين من اختلاف فى تسمية الجبل الوارد فى سفر التثنية (٢٧ : ٤) من النسخة العبرانية حيث سمته النسخة السامرية بجبل جرزيم وسمته العبرانية « بجبل عيبال » يقول فى ذلك ما نصه :

(١) العقائد المسيحية بين القرآن والعقل د/هاشم جودة مطبعة الأمانة ص ٩٢ .

العبارة الأصلية « جبل عيبال » كما فى الأصل العبرانى لا « جبل جرزيم » كما فى النسخة السامرية التى حرفها السامريون لرغبتهم الخصوصية فى الجبل الذى سموه بهذا الاسم ، ومع كونهم حرفوا نسختهم فى الكلمة انحصر التحريف فيها ا. هـ[1] .

فمتى يا ترى تسهل الظروف حتى يوفق بين ما تبقى فى التوراة من تناقضات ؟ وماذا بعد اعتراف المؤلف نفسه بوقوع التحريف فى إحدى نسخ التوراة ومن أين له ماادعاه من انحصار التحريف فى تلك النسخة دون سواها وحتى لو صحت دعواه أفلا يكون هذا كافيا فى الدلالة على صدق القرآن فيما رمى به كتابهم هذا من التحريف والتبديل ؟ .

وهل بعد هذا الاعتراف الصريح من الأستاذ المؤلف يصح لأحد أن يقول لا تحريف فى التوراه . ويحتج على ذلك بآيات القرآن التى شهدت للتوراة الصافية الصحيحة النازلة من الله على موسى عليه السلام ؟ .

شهادة القرآن على كتب النصارى :

وأما النصارى فلم يكن حديث القرآن الكريم عن موقفهم من كتابهم بأقل تفصيلا وتوضيحا من حديثه عن موقف اليهود من كتابهم بل بين الله أنهم نسوا حظا مما ذكروا به كأسلافهم اليهود سواء بسواء فقال تعالى فى سورة المائدة : « ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون » ١٤ .

---

(١) انظر كتاب المؤلف لا تحريف فى التوراة والانجيل ص ١٠٢ ، ١٥١ .

هذا هو حكم الله عز وجل على موقف النصارى من الإنجيل الصحيح ، وتلك هي شهادة القرآن على ما فعلوه بكتابهم الذى أوحاه الله إلى عيسى عليه السلام نطق بها رجل أمي لم يقرأ شيئا من أناجيل القوم ولم يعرف شيئا عن تواريخ تدوينها ، فتلقفها المسلمون من فمه عليه الصلاة والسلام وحفظوها كما حفظوا غيرها من آى القرآن ، وتداولوها فيما بينهم على مر العصور والأزمان .

كلمة الأبحاث الجادة فى العهد الجديد :

وقد بحث الباحثون ونقب المنقبون المنصفون منهم والمتعصبون فما وجدوا بعد البحث والتنقيب إلا ما يفيد أن كلمة الإنجيل لفظ يونانى معناه البشارة أو التعليم الجديد وأن هذه الكلمة قد أطلقها النصارى على الكتب الأربعة التى تعرف بالأناجيل الأربعة (متى ، ومرقس ، ولوقا ، ويوحنا) وأطلقوها أيضاً على ما يسمونه بالعهد الجديد وهو عندهم هذه الكتب الأربعة مع كتاب أعمال الرسل (أى الحواريين) ورسائل بولس وبطرس ويوحنا ويعقوب ورؤيا يوحنا .

والأناجيل الأربعة عبارة عن كتب وجيزة فى سيرة المسيح عليه السلام وشيء من تاريخه وتعليمه ولهذا سميت أناجيل وليس لهذه الكتب سند متصل عند أهلها وهم مختلفون فى تاريخ كتابتها على أقوال كثيرة ، ففى السنة التى كتب فيها الإنجيل الأول تسعة أقوال وفى كل واحد من الأناجيل الثلاثة عدة أقوال أيضاً ، على أنهم يقولون : إنها كتبت فى النصف الثانى

من القرن الأول للمسيح ، لكن أحد الأقوال فى الإنجيل الأول انه كتب سنة ٣٧ ومنها أنه كتب سنة ٦٤ ومن الأقوال فى الرابع أنه كتب فى ٩٨ للميلاد ومنهم من أنكر أنه من تصنيف يوحنا وإن خلافهم فى سائر كتب العهد الجديد لأقوى وأشد ، وسبب ذلك أن المسيح عليه السلام لم يكتب ما ذكرهم به من المواعظ وتوحيد الله وتمجيده والإرشاد لعبادته ، وكان من اتبعوه من العوام وأمثالهم حواريوه وهم من الصيادين وقد اشتد اليهود فى عداوتهم ومطاردتهم فلم تكن لهم هيئة اجتماعية ذات قوة وعلم تدون ما حفظوه من انجيل المسيح وتحفظه ، ويظهر من تاريخهم وكتبهم المقدسة أن كثيرا من الناس كانوا يبثون بين الناس فى عصورهم تعاليم باطلة عن المسيح ، ومنهم من كتب فى ذلك ، حتى أن الذين كتبوا كتبا سموها الأناجيل كانوا كثيرين جدا ، كما صرحوا به فى كتبهم المقدسة وتواريخ الكنيسة ، وما ظهر من هذه الأناجيل الأربعة المعتمدة عندهم الآن لم يدون إلا بعد ثلاثة قرون من تاريخ المسيح عند ما صارت للنصارى دولة بدخول الملك قسطنطين فى النصرانية ، وإدخاله إياها فى طور جديد من الوثنية .

وأظهر البحث والتنقيب أيضا أن مدونى الأناجيل الأربعة وغيرهم قد كتبوا القليل من إنجيل المسيح عليه السلام ، وتركوا الكثير وأن ما كتبوه لم يخرج فى جملته عن كونه تاريخا لما جاء فى إنجيل المسيح ولما كان من أمره عليه السلام وأوامره ، ولا أدل على ذلك من قول مرقس فى بداية

تاريخه المسمى بإنجيل مرقس (بدء إنجيل يسوع) وقوله بعد ذلك حكاية عن عيسى عليه السلام (١ : ١٥ فتوبوا وآمنوا بالإنجيل) فالإنجيل الذى أمر الناس أن يؤمنوا به إذاً ليس هو أحد التواريخ الأربعة ولا مجموعها . بل هو الذى سماه بولس فى رسالته الأولى إلى أهل تسالونيكى «الانجيل» المطلق (٢ : ٤) ، وإنجيل الله (٢ : ٨ ، ٩) وإنجيل المسيح (٣ : ٢) وقول يوحنا فى آخر إنجيله « هذا هو التلميذ الذى يشهد بهذا ، وكتب هذا ونعلم أن شهادته حق وأشياء أخرى كثيرة صنعها يسوع ان كتبت واحدة واحدة فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة آمين » .

فهذه العبارة يراد بها المبالغة فى بيان أن الذى كتب عن المسيح لا يبلغ عشر معشار تاريخه ومن البدهى أن تلك الأعمال الكثيرة التى لم تكتب وقعت فى أزمنة كثيرة ، وأنه تكلم فى تلك الأعمال كثيرا ، فهذا قد ضاع ونسى وحسبنا هذا حجة عليهم فى إثبات قول الله تعالى و « فنسوا حظاً مما ذكروا به » وحجة على بعض علمائهم الذين ظنوا أن كتبهم حفظت وتواترت قال صاحب ذخيرة الألباب « إن الإنجيل لا يستغرق كل أعمال المسيح ولا يتضمن كل أقواله ، كما شهد به القديس يوحنا »[1] .

تعليـــق وتعقيب :

فهل يستجيز الأستاذ المؤلف لنفسه بعد ذلك وغيره أن يحول شهادة القرآن الصريحة الواضحة للتوراة والإنجيل الحقيقيين النازلين من عند الله

---

(١) انظر ما جاء عن ذلك مفصلا فى تفسير المنار ط الهيئة المصرية جـ٢ ص ١٣١ و جـ١ ص ٢٣٩ .

سبحانه على موسى وعيسى سلام الله عليهما إلى ما تحت يد اليهود والنصارى الآن من فصول تاريخية وأسفار زعموها إلهامية كتبتها طوائف كثيرة من الناس على مدى قرون طويلة من الزمان بلغت بالنسبة لكتابة العهد القديم وحده وترتيبه وتهذيبه والحذف منه والإضافة إليه خمسة وعشرين قرنا كتبه خلالها أربعون كاتبا مختلفو الوظائف والصفات على ما قاله المهندس وهيب عزيز خليل فى الصفحة الثالثة والعشرين من كتابه استحالة تحريف الكتاب المقدس؟ وهل يستجيز المؤلف لنفسه بعد ذلك أيضاً أن يقول إن التوراة والإنجيل لم يشبهما بشهادة القرآن تحريف ولا تبديل بل هما هما منذ نزلا إلى زمن نزول القرآن وما بعده حتى الآن؟ اللهم إلا أن يكون قائل ذلك فاسد العقل، أو بين الجهل، أو شديد التعصب .

أسئلة ذكرها المؤلف وردها النصارى :

ولا يبقى لنا من تفنيد تلك القضية والرد عليها إلا أن نجيب على سؤالين هامين أحدهما من حرف التوراة والإنجيل؟ ومتى حرفا؟ ولماذا كان هذا التحريف؟ وما هى الألفاظ المحرفة وثانيهما : إن كان ما ذكرتموه من أن هذا الكتاب كان محرفا فى زمن نزول القرآن حقا، فلماذا أمر الله نبيه محمدا ﷺ أن يسأل الذين يقرءون الكتاب من قبله بقوله تعالى من سورة يونس « فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك فاسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين » ٩٤ .

ومدح اليهود بقوله تعالى فى سورة الأعراف « ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » ١٥٩ .

ومدح النصارى بقوله فى سورة آل عمران « من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم اسجدون » ١١٣ .

إجابتنا على هذه الأمثلة :

فأما السؤال الأول فجواباً عنه نقول إن التحريف الواقع فى التوراة نوعان : أحدهما تعمد والآخر غير متعمد :

أما المتعمد المقصود فقد فعله علماء اليهود وأحبارهم منذ سنة ثلاثين ومائة من الميلاد (١) بغية طمس البشارات بالنبى صلى الله عليه وسلم الذى سوف يأتى من فرع إسماعيل المناوىء والمعادى من فرع اسحاق بسبب كونه ابن الجارية المغضوب عليها من سارة زوج ابراهيم عليه السلام كما أثبته التاريخ الصحيح كله وعناد الدين المسيحى ، وجعل الترجمة اليونانية غير معتبرة وكانت طريقتهم فى هذا اللون من التحريف استخدام العبارات الملتوية المحتملة فيما حوى البشارة برسول الله صلى الله عليه وسلم أثناء تدوينهم للتوراة وقراءتها على عامتهم .

وأما غير المتعمد فقد كان منشؤه ترجمة نصوص التوراة من لغتها الأصلية إلى لغات مختلفة وتعرضها إلى هزات تاريخية عنيفة أدت بها إلى الفقد الكلى حينا والجزئى أحيانا وإعادة كتابتها المرة تلو المرة مما أحدث فيها أنواعا مختلفة من تحريف النص بالزيادة تارة وبالنقصان أخرى وبتبديل كلمة أو إسقاط عبارة من ترجمة تبينها ترجمة أخرى إلى آخر

---

(١) كذا ذكره الشيخ رحمة الله الهندى فى كتابه اظهار الحق ط ٤ دار التراث العربى للطباعة والنشر ص ٦٣ ـ ٦٤ .

تلك الأمور الكثيرة التى شاعت فى التوراة شيوعا لم يعد يجهله العلماء مسلمين كانوا أو غير مسلمين ، ومن شاء الوقوع على مثل هذا والوقوف عليه فليراجع كتاب اظهار الحق للشيخ رحمت الله الهندى من ص ٢٠٥ : ٢٩٣ طبعة دار التراث العربى . هذا بالنسبة للتوراة .

وأما الإنجيل فمعلوم أن عيسى عليه السلام لم يترك لأتباعه انجيلا مكتوبا بل حفظوا من وصاياه وتعاليمه ما شاء الله لهم أن يحفظوه ثم دونوا من محفوظاتهم تلك ما أراد الله لهم أن يدونوه مختلطا بما ألبسه اليهود عليهم من أفكار ، وبما رأوه جديرا بالذكر والنشر فى سائر الأقطار ولم يكن عصر تدوين الأناجيل حافلا بهذا اللون من التأليف والجمع لما يستطاع جمعه من تعاليم المسيح فقط ، بل كتب معاندو المسيحية ومقاوموها من اليهود والرومان كتبا زعموها أناجيل ودعوا إليها قال فى ذلك بولس مانصه : « إنى أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعا عن الذى دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر ، لا ليس هو آخر غير أنه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون أن يحولوا انجيل المسيح » اهـ (١)

فالمسيح كان له انجيل واحد ، وبين بولس أنه كان فى عصره من القرن الأول أناس يدعون المسيحيين إلى انجيل غيره بالتحويل ، أى التحريف كما فى الترجمة القديمة ، وفى ترجمة الجزويت (يقلبوا) بدل يحولوا وهى أبلغ فى التحريف والتبديل ، وبين بولس أيضا أن الناس كانوا ينتقلون

---

(١) رسالة بولس إلى أهل غلاطية إصحاح ١ ـ فقرة ٦ .

سريعا إلى دعاة هـذا الأنجيل المحرف المحول عن أصله الذى جاء به المسـيح .

وقد بين بولس فى رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس « ١١ : ١٥ » أن هؤلاء القوم الذين يحرفون انجيل المسيح « رسل كذبة فعلة ماكرون مغيرون شكلهم إلى رسل المسيح » وتتمة العبارة تدل على أنهم كانوا كرسل المسـيح يتشبهون بهم كما يتشبه الشيطان بالملائـكة ، إذ يغير شكله إلى ملاك نور » وفى الفصل الخامس عشر من سفر الأعمال مايوضح هـذه المسألة وهو أن اليهود كانوا ينبثون بين المسيحين ويعلمونهم غير مايعلمهم رسل المسيح ، وأن المشايخ والرسل أرسـلوا برنابا وبولس إلى أنطاكية ليحذروا أهلهـا من هؤلاء المعلمين الـكاذبين ، وأن بولس وبرنابا تشـاجرا وافترقا هنالك وهما ما تشاجرا وافترقا إلا لاختلافهما فى حقيقة تعاليم المسيح ، فبرنابا يذكر فى مقدمة انجيله أن بولس كان من الذين خالفوا المسيح فى تعليمه ، ولاشك أن برنابا أجدر بالتقديم والتصديق من بولس لأنه تلقى عن المسيح مباشرة . وكان بولس عدوا للمسـيح والمسيحيين ، ولولا أن قدمه برنابا للرسل لما وثقوا بدعواه التوبة والإيمان بالمسيح ، ولـكن النصارى رفضـوا إنجيل برنابا المملوء بتوحيـد الله وتنزيهه وبالحـكمة والفضـيلة ، وآثروا عليه رسـائل بولس وأناجيل تلاميذه لوقا ومرقس ـــ وكذا يوحنا كما حققه بعض علماء أوربا ـــ لأن تعاليم بولس كانت أقرب إلى عقائد الرومانيين الوثنية ، فكانوا هم الذين رجحوها ورفضوا ما عداها ، إذ كانوا هم أصحاب السـلطة الأولى .

فى النصرانية ، وهم الذين كونوها بهذا الشكل ا . هـ بتصرف[1] .

هذا هو جوابنا عن السؤال الأول ، وأما السؤال الثانى فنقول رداً عليه ما طنطن به الكتاب المسيحيون حول معنى قوله تعالى « فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك » ٩٤ يونس الآية من أن أهل الكتاب لما كانوا من الثقة بمكان ، وكان كتابهم غاية فى الصحة والاتقان جعلوا مرجعاً يرجع إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر من ربه عند ما يشك فيما أنزل عليه ما طنطنوا به من هذا الكلام ونحوه غير صحيح ولا مقبول لما يأتى :

أولا : أن الآية الكريمة مسوقة على سبيل الفرض والتمثيل لا على سبيل الحقيقة والتأكيد ، بدليل أنه تعالى صدر فعل الشرط فى الآية بـ (إن) التى وضعت للدلة على عدم وقوع شرطها أو تنزيله منزلة ما لا يقع ، دون « إذا » الدلالة على أن الأصل فى فعل شرطها الوقوع .

ثانياً : إن مساق هذه الآية الكريمة والآيات الثلاث التالية إنما هو فذلكة لهذا السبق الذى كان ذكر قصص الأنبياء شواهد فيه ، وهى تقرير صدق القرآن فى دعوته ووعده ووعيده ، وكونه لا مجال لامتراء الممترين فيه ، وبيان الداعية النفسية المكذبين بآياته ، وتوجيه الاعتبار إلى أهل مكة مقرونا بالإنذار ، بأسلوب التعريض والتلطف فى العبارة على حد إياك أعنى واسمعى يا جارة .

والمعنى : فإن كنت أيها الرسول الكريم على سبيل الفرض والتقدير

---

(١) تفسير المنار للشيخ رضا جـ ٦ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ٢٤٠ — ٢٤١ .

فى شك مما أنزلنا إليك فى هـذه الشواهد من قصة موسى ونوح وغيرهما فاسأل عنهما وعن أمثالهما من الرسـل الذين أسلفنا لك عنهم ذكرا من قبلك من أهل الـكتاب الذين يقرءون كتب الأنبياء كاليهود والنصارى فإنهـم يعلمون أن ما أنزلناه إليك من تلك الشواهد حق لا يستطيعون إنكاره ، والفرض الوارد فى الآية الكريمة قد ذكر على عادة العرب فى تقدير الشك فى الشىء ليبنى عليه ماينفى احتمال وقوعه أو اثباته أمرا كان أو نهيا أو خبرا ، تماماً كقول المسيح لله تعـالى إن كنت قلته فقد علمته فهو عليه السلام يعلم أنه لم يقل ذلك ، ولـكنه يفرضه ليستدل عليه بأنه لو قاله لعلمه الله منه .

ونعل من أوضح الأدلة على صحة ما نقول ما رواه قتادة عن النبى صلى الله عليه وسلم من قوله بعد ما نزلت هذه الآية وقرأها على الصحابة (لا أشك ولا أسأل) . وما زيل الله به تلك الآية الـكريمة من قـوله سبحانه : « لقد جاءك الحـق من ربك فلا تـكونن من الممترين » فهـذه الشهادة المؤكدة بالقسم تجتث احتمال إرادة الشـك والسؤال بالفعل من أصله ، ويزيدها تأكيدا قوله تعالى : « فلا تـكونن من الممترين » أى من فريق الشاكين الذين يحتاجون إلى السؤال ، وهذا النهى والذى بعده يدلان على أن فرض وقوع الشك والسؤال عنه نما قبلهما تعريض بالشاكين الممترين والمـكذبين له صلى الله عليه وسلم من قومه .

وأما ما زعموه من أن الله تعالى مدح اليهود فى سورة الأعراف بقوله « ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » فهو زعم فاسد لا يقره

سياق الآية الكريمة ولا سياقها ولا لحاقها ، لأن الله سبحانه لما بين فيما سبق هذه الآية الكريمة من آيات أنه سبحانه كتب رحمته للذين يتبعون الرسول النبي الأمي الخاتم محمدا صلى الله عليه وسلم من قوم موسى وعيسى عليهم السلام ، وحكم لمتبعيه صلى الله عليه وسلم من هؤلاء وأولئك بالفوز والفلاح دون غيرهم من الذين كفروا به ولم يتبعوا النور الذى أنزل معه بعد بعثته وتبليغ دعوته . بين عز وجل بذكره لتلك الآية الكريمة أن ذلك لا ينافى كون المتبعين لموسى حق الاتباع زمن رسالته عليه السلام على هدى وحق وعدل وأنهم من المفلحين أيضا ، فسياق هذه الآية الكريمة هو بيان لحال خواص أتباع موسى عليه السلام الذين استجابوا لدعوته وامتثلوا أوامره ونواهيه فكانوا بذلك هداة عادلين .

وأما أدعياء الإيمان بموسى وبكتابه الذين أباحوا لأنفسهم التغيير والتبديل فيما أنزل الله جل سناه فقد وصفوا فى لحاق تلك الآية العظيمة بأنهم ظلموا أنفسهم وبدلوا قولا غير الذى قيل لهم وأنهم نسوا ما ذكروا به ، وعتوا عن مانهوا عنه ، وضيع خلفهم ميراثهم العظيم ، الأمر الذى استحقوا بسببه أن ينزل الله عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون ، وأن يبلوهم بالسبت ويأخذ الذين ظلموا منهم بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون ، وأن يقول لهم بعد ما أعرضوا عن مانهوا عنه كونوا قردة خاسئين ، وأن يعلن عز فى علاه بأنه سيبعث عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ، وبأنهم مقطعون فى الأرض لا تقوم لهم قائمة

ولا تكون لهم دولة إلا بحبل من الله أو بحبل من الناس ، إلى آخر ماجاء عنهم فى لحاق تلك الاية من آيات ، فمن أين لأرباب هـذا الزعم الفاسد ما قالوه من أن الله تعالى مدح اليهود عامة فى سورة الأعراف بقوله « ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » ؟ .

وما قالوه من أن الله تعالى مدح النصارى عامة فى سـورة آل عمران بقوله سبحانه : « من أهل الـكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله أناء الليل وهم يسـجدون » هو فيما نرى لغو لايعبأ به ، لأن الآية الـكريمة كما قلنا فى كتابنا العقائد المسيحية بين القرآن والعقل ص ٢٤٢ : ٢٤٣ بيان لحال طائفة من أهل الـكتاب استمسكت بالحـق واعتصمت به ، واحتفظت بعقيدتها نقية سليمة من التحريف والتزييف حتى بعث الله رسوله محمدا رسوله صلى الله عليه وسلم فدخل من بقى من هذه الطائفة فى دين الله سبحانه لمـا عرفوه من كتبهم عن رسول الله صلى الله عليـه وسلم من كونه نبى آخر الزمان الذى أمرت الـكتب السماوية كل من أدركه باتباعه و الإيمان به .

وقد جاء هذا البيان بعد بيان ـــ الله ـــ سبحانه فى الآيات السابقة لما عليه طوائف أخرى من أهل الـكتاب من الفسق والفجور والعصيان الذى استحقوا بسببه ما ضربه الله عليهم من الذلة والمسكنة والهوان .

فدل هذا على أن حكم الله عز وجل فى أهل الـكتاب كان حكما عدلا ، يقضي لـكل طائفة منهم بمـا لها وما عليها ، فهم فى ميزان العدل الإلهى ليسوا سواء . ا . هـ .

ونضيف هنا أن جملة الآيات النازلة فى الخيار من أهل الكتاب على ثلاثة أنواع :

أحدها : ما كان صريحا فى الذين أدركوا النبي صلى الله عليه وسلم وآمنوا قبل إيمانهم أو بعده كقوله تعالى فى سورة البقرة: « الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به » ١٢١ .

وقوله فى سورة القصص : « الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون » إلى قوله : « أولئك يؤتون أجرهم مرتين » ٢٨ : ٥٢ : ٥٤ الآيات ومثلها فى سورة الأنعام والرعد والإسراء والقصص والعنكبوت .

وثانيها : ما كان صريحا فى الذين كانوا فى عهد موسى عليه السلام واستقاموا معه ثم فى عهود من بعده من الأنبياء إلى عهد البعثة العامة قبل بلوغ دعوتها إليهم كقوله : « ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » .

وثالثها : ما احتمل القسمين معا كقوله تعالى : « من أهل الكتاب أمة قائمة » إلى قوله: « والله عليم بالمتقين » .

وعلى هذا فمن تأول تلك الآيات الكريمة ونظائرها من آى القرآن على أنها مدح لليهود عامة ، أو للنصارى عامة أولهما معاً فقد حملها على غير وجهها الصحيح وقال فيها بما لا حجة له عليه ولا برهان .

هذه هى حجج المؤلف على دعاواه التى أسلفناها قد فندناها ورددنا عليها بما نظنه إن شاء الله مقنعا لكل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

لمن عقاب الله فى الآخرة ؟ :

رابعاً : ما قاله المؤلف من أن من لا يقبل هذه الكتب ولا يؤمن بها معاقب فى الآخرة بالعذاب الأليم كما أخبر الله تعالى فى سورة غافر آية (٥٣ ، ٧٠) حق نقره ولا ننكره ، ولكن الكتب التى أمرنا بالإيمان بها ونعاقب فى الآخرة على عدم التصديق بها هى ما أنزله الله تعالى على الأنبياء المكرمين كموسى وداود ، وعيسى ، ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، أما الفصول التى لفقوها ، والأسفار التى ألفوها فلم نؤمر بالإيمان بها ، ولا بالإذعان لما جاء فيها ، بل أمرنا من الله عز وجل ببيان ما حوته من تحريف وتزييف . وكيف لا ونحن أهل القرآن المصدق لما بين يديه من الكتاب والمهيمن عليه ؟ .

معنى تصديق الكتب السماوية لبعضها :

خامساً : ادعاء المؤلف أن القرآن حين يقول عن عيسى أو الأنجيل إنه مصدق لما بين يديه من التوراة كما فى الآية السادسة والأربعين من سورة المائدة (لا التاسعة والأربعين كما ذكر المؤلف) إنما يخبر عن موافقة تعاليم التوراة لتعاليم الإنجيل ادعاؤه ذلك مردود عليه لأن المصدق هو الأنجيل . والمصدق هو التوراة . وليس معنى تصديق أحد الكتابين للآخر أن الأول موافق فى تعاليمه للثانى بل معناه أن المصدق مؤمن بالمصدق به ومعترف بأصله الأول ومصدره الذى جاء منه سلسلة هى متلاحمة الحلقات كل واحدة منها متصلة بسابقتها وإن اختلفت عنها فى

الشكل أحيانا لكن مضمونها واحد وكما جاء عيسى وإنجيله مصدقين لما بين يديهما من التوراة فقد جاء رسول الله محمد وقرآنه مصدقين لما بين يديهما من الأنجيل والتوراة .

منهج مستمر لإصلاح سائر البشر ، لا يكذب اللاحق فيه السابق بل يصدقه ويؤمن به . وإن خالفه فى التشريعات لأن لكل عصر ما يناسبه . ولكل زمن ما يلائمه اقرأوا إن شئتم قوله تعالى (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى . قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) آل عمران ٨١

مناقشة المؤلف فى اعتراضه وجوابه :

سادساً : ما أجاب به المؤلف عن ما أثاره فى كتابه هذا من اعتراض نصه : « ورب معترض يقول إن الأسفار الموجودة الآن بأيدى المسيحين باسم العهد القديم والعهد الجديد ليست هى الكتب الأصلية المشار إليها فى القرآن أو أنها صارت محرفة وإن لم تحرف فهى على كل حال منسوخة ما أجاب به نيافته عن هذا الاعتراض من قوله إن هذا الاعتراض يعارض نصوص القران على خط مستقيم إذ يقول بعدم تغيير كلمات الله فى سورة الأنعام آية ٣٤ « ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين » وفى سوره يونس آية ٦٤ « لا تبديل لكلمات الله » وفى سورة الكهف آية ٢٧ « واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته » مردود وغير مسلم . لأن المراد بكلمات الله فى آيات الأنعام ويونس

(م — ٤)

والكهف سننه ووعوده وبشاراته ونذره فكل هذا لا يبدل ولا يغير بدليل قوله تعالى فى سورة الصافات « ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون » ١٧١ : ١٧٣ وقوله سبحانه فى سورة ق « ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد » ٢٩ .

أما اليهود والنصارى فقد أخبرنا الله فى كتابه العزيز بأنهم حرفوا الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ، وبدلوا فى كتبهم قال تعالى « فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون » البقرة ٥٩ .

فالبون شاسع بين المعنى الحقيقى للآيات وبين ما قصده المؤلف وارتضاه من مغالطات وافتراءات .

قال صاحب المنار : فإن قيل : ألا يدل قوله : « لا مبدل لكلماته » على استحالة التحريف أو التبديل فى الكتب الإلهية السابقة قلنا لم يرد نص بمنع تحريفها وعدم تغيير ألفاظها بل أثبت الله تعالى فى كتابه تحريف اليهود والنصارى لها ونسيانهم حظاً منها ، وما كفل تعالى حفظ كتاب من كتبه بنصه إلا هذا القرآن المجيد الذى قال فيه : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » الحجر ٩ وظهر صدق كفالته بتسخير الألوف الكثيرة فى كل عصر لحفظه عن ظهر قلب والكتابة النسخ التى لا تحصى منه فى كل عصر من زمن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم إلى هذا العصر ، وناهيك بما طبع من ألوف الألوف من نسخه فى عهد وجود الطباعة بمنتهى الدقة والتصحيح ولم يتفق ذلك لكتاب إلهى ، ولا لغير إلهى ، فأهل الكتاب

لم يحفظوا كتب رسلهم فى الصدور ولا فى السطور ا . هـ . بتصرف [١] .

افتراء على القرآن :

سابعاً : استدل المؤلف على وجود الكتاب المقدس — كما يقول — أى العهد الجديد والقديم بسلامته حين مجىء القرآن وعلى أن تلك الكتب المنزلة — كما زعم — التي كانت بأيدى اليهود والنصارى هى التي بأيديهم الآن دون ما تغيير فى ذواتها وأسمائها بما خلاصته : أن القرآن والسنة اشتملا على ما يوافق بعض ما فى كتبهم من فقرات فضلا عن ما بينهما من التشابه فى كثير من القصص كقصة يوسف عليه السلام ، واستشهد لذلك بقوله تعالى فى سورة المائدة : « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس » إلى قوله سبحانه : « والجروح قصاص » إذ قد رأى أن هذه الآية الكريمة منقولة من سفر الخروج (إصحاح ٢١ : ٢٣ : ٢٥) ونصه (وإن حصلت أذية تعطى نفساً بنفس وعيناً بعين وسناً بسن ، ويداً بيد ، ورجلا برجل الخ) . وبقوله فى سورة الأنبياء آية ١٠٥ « ولقد كتبنا فى الزبور » كتاب داود «من بعد الذكر» أى التوراة « أن الأرض » أرض الجنة أو الأرض المقدسة « يرثها عبادى الصالحون » عامة المؤمنين — كما قلنا — نقله المؤلف عن البيضاوى ملخصا ، حيث رأى أن هذه الآية الكريمة مقتبسة من (مزمور ٣٧ عدد ٣٩) ونصه : « الصديقون يرثون الأرض ويسكنونها إلى الأبد » .

---

(١) تفسير المنار للشيخ رشيد رضا ط . الهيئة المصرية العامة جـ ٨ ص ١٢ — ١٣ .

وبقوله تعالى فى سورة الأعراف آية ٣٩ « إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط » حيث زعم أن هذه الآية مقتبسة من الإنجيل كما فى بشارة متى (إصحاح ١٩ عدد ٢٤) قال « وأقول لكم أيضاً إن مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غنى إلى ملكوت الله » وفى بشارة مرقس (إصحاح ١٠ عدد ٢٥) لفظ العدد بعينه ، وفى بشارة لوقا (إصحاح ١٨ : ٢٥) قال « لأن دخول جمل » إلى آخر العدد بلفظه ا . ه . ثم قال المؤلف بعد ذلك وكذا يشتمل القرآن على مقتبسات كثيرة جدا من أسفار الكتاب المقدس لا يمكن تعليلها ولا فهمها إلا بمراجعة الأصل فنقتصر على ذكر واحدة منها ورد فى سورة (آل عمران آية ٩٣) اسم إسرائيل بدل يعقوب وأنه حرم على نفسه طعاماً فمن المستحيل أننا نقدر أن نفهم لماذا أبدل اسم يعقوب بإسرائيل وما هو نوع الطعام الذى حرمه على نفسه إلا بمراجعة التوراة انظر (سفر التكوين إصحاح ٣٢ : ٢٢ : ٣١) حيث تجد ذلك مشروحا شرحا وافياً

واستشهد من السنة المطهرة بما ورد فى كتاب « مشكاة المصابيح » صفحة ٤٨٧ من النسخة المطبوعة سنة ١٢٩٧ ﻫ الباب الأول والفصل الأول فى كلامه عن وصف الجنة وأهلها « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قال الله تعالى أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » حيث قال فلا يشك أحد أن هذا الحديث منقول من الرسالة الأولى لبولس الرسول إلى أهل كورنثوس إصحاح ٢ : ٩ -

ونحن نقول إن ما استدل به على صحة الكتاب المقدس وكونه كما هو مذ نزل إلى الآن لم يصبه تحريف ولا تبديل ليس فيما نرى بدليل . لأن ما قد يكون بين القرآن والسنة . وبين الكتاب المقدس من التوافق فى بعض الجمل والعبارات أو التشابه فى بعض القصص والحكايات مع أن مبلغه كان بشهادة الجميع رجلا أمياً لم يقرأ تلك الكتب ولم يعرف ما فيها لا يدل على صحة ما زعمه المؤلف وادعاه بل يدل دلالة قاطعة على أمرين :

أحدهما : أن المنزل لهذه الكتب كلها واحد وهو الله رب العالمين .

وثانيهما : أن من هذه الكتب ما حرف ومنها ما لم يحرف . فما غير وبدل جاء منافياً لما فى الكتاب العزيز ومجافيا له وما بقى على حاله جاء موافقاً لبعض ما فى القرآن وموائماً له . لا سيما فى الأمور التى لم يختلف عليها نبى ولا رسول كتوحيد الله تعالى وإرسال الرسل وتنزيل الكتب ووجود الملائكة وحساب الناس فى الآخرة ودخول المؤمنين الجنة والكافرين النار . إلى غير ذلك مما هو متفق عليه فى كل الشرائع السماوية وبين جميع الأنبياء فكيف يستبيح المؤلف لنفسه أن يقول عن رجل أمى لم يقرأ قبل القرآن كتاباً واحدا ولا خطه بيمينه إنه نقل آية المائدة من سفر الخروج أو اقتبس آية الأنبياء من أحد مزامير داود أو أخذ آية الأعراف من بشارة متى . إذ من أطلعه يا ترى على أسفار التوراة ومزامير داود وإصحاحات الأناجيل حتى نقل منها ما نقل أو اقتبس منها ما اقتبس ؟ وأين كان هذا الاقتباس الذى اجترأ المؤلف على نسبته إلى ساحة رسول الله

المصطفى أكان فى مكة التى لم يكن يوجد فيها أحد من أهل الكتاب قاطبة والتى نزلت عليه فيها سورة الأنبياء والأعراف محل شاهد المؤلف العزيز أم فى المدينة التى كان اليهود فيها تلامذة على سيد المهاجرين إليها، يأوون إليه بين مؤمن برسالته ومستجير بعدله والتى جاءه النصارى بها مناقشين ومجادلين .

فما كان منهم بعد الحجاج والمجادلة وتحديهم بالدعوة إلى المباهلة إلا أن رفعوا لواء الصلح والموادعة وقفلوا إلى بلادهم راجعين. فى أى من هذين البلدين كان الأخذ والاقتباس ؟ .

ولم لم يعلن أهل هذه الكتب أن ذاك اقتباس رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقله من كتبهم على الملأ حتى يكشفوا أمرهم ويظهروا للناس اقتباسه ونقله ، ويبينوا لهم أن هذا القرآن ليس من عند الله . وإنما هو مأخوذ من الأنجيل أو الزبور أو التوراة ؟ لماذا لم يعلنوا ذلك فى عصر رسول الله مع أنهم داخلون فى دائرة التحدى الوارد فى قوله تعالى « فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين » الطور ٣٤ .

ومع أنهم قد جابهم القرآن الكريم بأنهم يحرفون الكلم عن مواضعه . وبأنهم نسوا حظا مما ذكروا به . وبأنهم ملعونون على لسان داود وعيسى بن مريم . أكانوا بكتبهم يومئذ أشد جهلا منك أيها المؤلف النحرير ؟ أم كانوا على القرآن يومئذ أشفق منك . نبئنا بعلم إن كنت من الصادقين ؟

على أن ما زعمه المؤلف منقولا من سفر الخروج لم ينسبه القرآن إلى

نفسه ، بل قال « وكتبنا عليهم فيها » أى التوراة فهل بعد هذا عدل ؟ وهل وراء هذا إنصاف ؟ وكون ذلك المكتوب مازال موجوداً فيها لا يدل على أن غيره لم يحرف لأننا لم نقل بتحريف كل شيء فى التوراة ، وإنما نقول بوقوع التحريف فيها عامة وما زعمه نيافته مقتبساً من مزامير داود لم يخرج عن كونه حكما عاماً للصالحين بسكنى الأرض الطيبة وميراثها وهو أمر قضت به حكمة الله لهم منذ الأزل . فوجوده فى أحد مزامير داود وفى القرآن لا يدل على سلامة تلك المزامير من التحريف والتبديل إذ لا يمنع أن يكون غيره قد حرف أو بدل كما سبق أن ذكرنا وإذا صدقنا القرآن فى هذا فلنصدقه أيضا فيما حكم به على أهل الكتاب من تحريفهم لكتبهم وتغييرهم فيها ، وما زعمه أيضاً مقتبسا من بشارة متى لم نجد فيه وجها للاتفاق لأن آية الأعراف تخبرنا بأن المكذبين بآيات الله كالنصارى واليهود والمشركين لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط ، وما فى بشارة متى يخبرنا بأن خروج الجمل من عين الأبرة أيسر من دخول غنى فى ملكوت الله مع أنه قد يكون من الأغنياء من هو طيب صالح متصدق عابد . جدير برحمة الله عز وجل والدخول فى ملكوته . فكيف يحرم مثل هذا بنص البشارة السالفة الذكر من الدخول فى ملكوت الله ؟

وما قاله الكاتب من اشتمال القرآن على مقتبسات كثيرة من أسفار الكتاب المقدس لا تمكن تعليلها ولا فهمها إلا بمراجعة الأصل كقوله

تعالى فى سورة آل عمران : « كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل إلا ما حرم اسرائيل على نفسه » ٩٣ لأن نوع الطعام الذى حرمه إسرائيل على نفسه وسبب تحريمه عليه . والسر فى تغيير اسم يعقوب إلى إسرائيل شىء لا يمكن فهمه إلا بمراجعة سفر التكوين إصحاح ٣٢ الفقرات ٢٢ : ٣١ كما زعم المؤلف وادعى .

ما قاله من هذا الكلام ونحوه غير صحيح لأن القرآن كما أسلفنا قد جاء مصدقا لهذه الكتب فى أصولها الأولى ومصححا لما اعتراها من تبديل وتغيير فهى ليست أصلا له ولا هو فرع عنها . وإنما هو كما أخبر الله عنه مهيمن عليها ومبين لها ، وما استشهد به على صحة زعمه هذا غير مقبول لأنه أول الآية الكريمة على غير وجهها الصحيح ، وحملها على غير ما ينبغى أن تحمل عليه من المعنى السليم ؛ إذ الذى أقره العلماء وارتضاه المفسرون وفهموه من تلك الآية هو أن كل الطعام كان حلالا لبنى إسرائيل ولإبراهيم من قبل بالأولى ثم حرم الله عليهم بعض الطيبات فى التوراة عقوبة لهم وتأديبا كما قال « فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم » النساء ١٦٠ والمراد باسرائيل شعب إسرائيل . كما هو مستعمل عندهم لا يعقوب نفسه . ومعنى تحريم الشعب ذلك على نفسه أنه ارتكب الظلم واجترح السيئات التى كانت سبب التحريم . كما صرحت به آية النساء السالفة فكأن المعنى إذا كان الأصل فى الأطعمة الحل . وكان تحريم ما حرم على اسرائيل تأديبا لهم على جرائم أصابوها

وكان النبي وأمته لم يجترحوا تلك السيئات ، فلم تحرم عليهم الطيبات ؟ وبذا يكون الله عز وجل قد رد بتلك الآية الكريمة على شبهة أثارها اليهود وطنطنوا بها قديماً وحديثاً وهي إذا كنت يا محمد على ملة إبراهيم والنبيين من بعده — كما تدعى — فكيف تستحل ما كان محرما عليه وعليهم كلحم الإبل ؟ هذا هو معنى الآية الكريمة وذاك سر نزولها فمن أين المؤلف بذلك التأويل الذى أول به نص القرآن حتى يجعل منه شاهداً له لا عليه .

وبمراجعتنا للفقرات التى نص عليها فى الإصحاح الثانى والثلاثين من سفر التكوين والتي أرجع إليها الآية الكريمة وجدنا فيها ما يفيد أن يعقوب كان يصارع الله عز وجل وأنه غلبه وظل ممسكا به حتى كادت الشمس أن تطلع ولم يطلقه إلا بعد أن وعده بالبركة وجعل اسمه إسرائيل بدل يعقوب وحدث أثناء تلك المصارعة أن ضرب الله حق فخذ يعقوب على عرق النسا فحرمه لذلك بنو إسرائيل على أنفسهم إلى اليوم ، هذا يا أخى القارىء هو المرجع والأصل الذى أرجع إليه مؤلفنا الألمعى الآية الكريمة وجعل معناها لا يفهم ولا يدرك إلا بمراجعة الأصل الذى أسلفنا لك عنه شيئا .

فهل مثل هذا الكلام يجعل للقرآن أصلا ومرجعاً ؟ وهل لمثل هذا يخضع منطق العقلاء . ولا صحة لما ادعاه المؤلف من أن قول بولس فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس « بل كما هو مكتوب ما لم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعده الله للذين يحبونه » (٢ : ٩)

هو الأصل الذى نقل منه النبي صلى الله عليه وسلم الحديث « أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » لاصحة لهـذه الدعوى ولا قيمة لها لأن هـذا الحديث ليس حديثاً نبوياً بل هو حديث قدسى يرويه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن ربه عز وجل ولم نعهد فى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كذباً على الناس ، حتى يكذب على الله سبحانه وينسب إليه مالم يقله .وما دام هذا الكلام من الله تعالى فلا مانع أن يكون قد أوحى مثله إلى عيسى عليه السلام ونقله بولس فيما نقل عنه من وصايا وحكم ، ويدل لصحة ما نقول قوله « بل كما هو مكتوب » إذ فيه مايفيده أن هذا الأمر إلهى كتبه الله تعالى أزلا ، وعليه فيكون هذا التوافق راجعاً إلى كون قائل هذا الكلام واحد وهو الله عز وجل ، وإلا فمن أين لمحمد صلى الله عليه وسلم وهو الأمى الذى لا يقرأ ولا يكتب بالاطلاع على رسالة بولس هذا وقراءة ما فيها .

ولا ترقى هـذه العبارة وغيرها من عبارات الفضيلة ببولس هذا إلى مرتبة النبوة والرسالة، بله مرتبة التقوى والصلاح فـكم من أشخاص لاكوا عبارات الفضيلة وكلماتها بألسنتهم وتشدقوا بها ليلا ونهارا وهم منها براء وعنها بمعزل ، وإنمـا الذى يجعل أيا من الناس نبياً أو رسولا إنمـا هو — الله — عز وجل حيث يصطفيه لذلك المهمة الشاقة ويجتبيه ، ويؤيده بالمعجزات الباهرات فيما يقوله ويدعيه ويعصمه طوال حياته كلها من عظائم الذنوب وكبائرها بحيث يكون فى نظر من تربى معهم مثلا أعلى فى الصدق والأمانة وسائر خلال الخير ، والباحث عن بولس هذا الذى تعجب المؤلف

من ذممنا له وشككنا فى نبوته ورسالته نجد أنه كان يهودياً ثم دخل فى المسيحية لا إيماناً منه بها وإنما ابتغاء إفسادها وتشويش أفكارها بما عرفه من فلسفات مختلفة وأفكار متباينة . فهل مثل هذا — والتاريخ يشهد عليه بما ذكرنا عنه وأكثر — ينتقل فجأة من يهودى متفلسف إلى نبى ورسول ؟ اللهم ان هذا لهو الإفك المبين .

مقارنات المؤلف وتفنيدها :

ثامنا : عقد المؤلف مقارنة بين القرآن وغيره فى تقسيم الكتاب المقدس زعم فيها أن اليهود يقسمون كتابهم إلى ثلاثة أقسام وهى الناموس والأنبياء والمزامير ، وهذا التقسيم يرجع عهده إلى سنة ١٣٠ قبل المسيح ، وأما الآن فإن اليهود يسمون القسم الثالث « الصحف » .

وأن النصارى يقسمون الكتاب المقدس إلى قسمين : العهد القديم ويتضمن الأسفار المقدسة القانونية عند الأمة اليهودية وكتبت فى الأصل باللغة العبرانية ماعدا القليل منها فإنه قد كتب باللغة الآرامية .

والعهد الجديد قد كتب باللغة اليونانية .

فأما اليهود فإنهم لا يؤمنون إلا بالعهد القديم فقط ، وأما النصارى فإنهم يؤمنون بالعهدين معاً .

وأما القرآن فيشير إلى الأسفار المقدسة جميعها بكتاب واحد هو : « الكتاب المقدس » ويقسمه إلى ثلاثة أقسام : هى التوراة والزبور والإنجيل ، وأنه كثيرا ما يشير إلى أنبياء العهد القديم ويعلق على الإيمان

بهم أهمية عظيمة ومن ذلك قوله فى البقرة آية ١٣٦ «قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون» وجاء مثل ذلك فى سورة آل عمران آية ٨٤ . ثم انتهى من مقارنته تلك إلى أن القرآن متفق مع الإنجيل فى الشهادة بأن كل أسفار الكتاب فى تلك الأقسام الثلاثة موحى بها .

وإلى أن العهد الجديد أى الإنجيل كان منتشرا فى عصر محمد صلى الله عليه وسلم فى قسم عظيم من المعمور بين الشعوب المسيحية .

هذا ما ذكره المؤلف وادعاه ، ونحن نرى أنه لا وجه لتلك المقارنة أصلا ، ولا صحة لما استنتجه الكاتب منها لما يأتى :

١ ــ ما يتحدثون عنه من تقسيمهم لكتابهم فى واد وما يتحدث عنه القرآن فى واد آخر ؛ إذ ما يذكره كتاب الله العزيز ليس تقسيما لكتابهم كما زعموا ، بل هو بيان لكتب أنزلها الله على أنبيائه ، كل كتاب منها له خصائصه ومميزاته ونبيه الذى أنزل عليه ، وزمنه الذى أنزل فيه ، أما مايفعلونه هم فهو تقسيم لكتاب خلطوا بعضه ببعض وجعلوه أقساماً توافق أهواءهم وأغراضهم فما وجه المقارنة بين هذا وذاك ؟ ؟ .

٢ ــ لم يتفق القرآن مع أناجيلهم فى الشهادة بأن أسفار الكتاب المقدس موحى بها كما قال الكاتب وافترى ؟ وإنما الذى أعلنه القرآن هو أن الإنجيل موحى به إلى عيسى ، وأن الزبور موحى إلى داود ، وأن التوراة موحى بها إلى موسى ، وأن أسفار هذا الكتاب الذى تحت أيديهم الآن قد أصابها شر عظيم نتيجة النسيان بعضها ، وتحريف بعضها الآخر ،

وتوعدهم بالويل والنكال على ذلك بقوله سبحانه في سورة البقرة آية ٧٩ « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ».

٣ ــ ما في آيتي البقرة وآل عمران ليس مجرد إشارة إلى أنبياء العهد القديم واهتمام بالإيمان بهم فقط كما تخيل الكاتب وتصور ولكنه رد على اليهود الذين قالوا للناس كونوا هودا أو نصارى تهتدوا إذ لم يؤمن اليهود إلا بأنبيائهم ، ولم يؤمن النصارى إلا بأنبيائهم كذلك كفر الفريقان بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم . فبين الله لهم في هذه الآية وفي آية آل عمران أن الإيمان الصحيح المفضي بأهله إلى الجنة هو التصديق بالله عز وجل وبما أنزله من كتب وبمن أرسلهم من رسل وأنبياء دون ما تفريق بين رسول ورسول أو نبي ونبي ، فابراهيم واسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى ومن قبلهم نوح وهود وصالح وشعيب ، ومن بعدهم محمد عليهم الصلاة والسلام كلهم أنبياء الله ورسله ولا يصح إيمان أحد إلا إذا اعترف بهذه الحقيقة وأذعن بها وسلم قال تعالى « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير »[1] .

---

(١) البقرة : ٢٨٥ .

خلاصة موجزة لما ذكرناه فى هذا الفصل :

هذا ولا يتبقى لنا بعد ما انتهينا بحول الله وطوله من الرد على ما ذكره المؤلف فى هذا الفصل من شبهات إلا أن نضع بين يدى القارىء الكريم خلاصة موجزة لما ذكرناه فنقول وبالله التوفيق :

أولا : أن ما يشهد له القرآن . ويعلن بأنه موحى به من عند الله ويحترمه ويعظمه ويسميه كتاب الله — وكلام الله والفرقان والذكر ونورا وهدى ورحمة ويأمر المسلمين بالإيمان به ويعاقب به من لم يؤمن به إنما هو كتاب الله المنزل على موسى والمسمى بالتوراة ، وكتاب الله المنزل على داود والمسمى بالزبور . وكتاب الله المنزل على عيسى والمسمى بالإنجيل ، وكذا صحف ابراهيم وبقية الكتب التى أنزلها الله على من شاء من أنبيائه ورسله لا تلك الأسفار التى اختلط بعضها ببعض والتى أصابها من التحريف والتبديل ما جعلها متناقضة غاية التناقض .

ثانيا : أن هذه الأسفار التى كانت منتشرة فى عصر رسول الله صلى الله عليه وزمن نزول القرآن كانت مصابة بالتحريف والتبديل المتعمد منه وغير المتعمد بدليل أن القرآن جابه أهل هذه الكتب بتحريفهم لكتبهم فلم يستطيعوا لذلك إنكارا ولا نفيا ، ولو أنهم أنكروا ذلك أو نفوه لاشتهر عنهم اشتهار القرآن وتواتره . إذ ما أكثر أعداء القرآن الذين لا يفوتهم ذكر مثل ذلك ونقله فى كل زمان ومكان . لكنه لم يحدث فدل على أن القوم لم يتمكنوا من الدفاع عن جرم ارتكبه أسلافهم ورضوا هم به وأقروهم عليه .

ثالثاً : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بسؤال أهل الكتاب فيما يشك فيه كما فهم النصارى من آية يونس ، بل الآية مسوقة كما قلنا على سبيل الفرض والتمثيل لا على سبيل القطع والتحقيق بدليل قول الله في ختام الآية « لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين » وقول الرسول صلى الله عليه وسلم عند نزولها « لا أشك ولا أسأل » فهل آن للمتعصبين أن يرفعوا عصابات الجهل عن أعينهم وينظروا للدين نظرة شمول كامل . فلا يفرقوا بين كتاب وكتاب . ولا بين رسول ورسول ويذعنوا لما جاءهم به محمد خاتم المرسلين من الله رب العالمين ؟ .

الفصل الثانى

مناقشة المؤلف فى دعوى عدم نسخ الكتاب المقدس

حاول المؤلف أن يثبت فى الفصل الأول بشتى مالديه من وسائل ـ أن القران الكريم قد شهد لما تحت أيديهم الآن من كتب وأسفار وقد وفقنا الله تعالى فأبطلنا هذه المحاولات كلها بحجج بالغة وبراهين دامغة ، أثبتنا من خلالها أن القرآن العظيم ما شهد لتلك الأسفار ولا اعترف بها بل الذى شهد له القرآن حقا . ودعى إلى الإيمان به صدقا هو ما أنزله الله على رسله من كتب كصحف إبراهيم وتوراة موسى وزابور داود وإنجيل عيسى ، وغيرها مما كلفنا بالإيمان به جملة وتفصيلا . وشهد على أرباب هذه الكتب بأنهم أهملوها بعد انبيائهم فحرفوا بعضها ونسوا بعضها الآخر .

وما أن فرغ المؤلف مما جعله فى الفصل الأول أساساً لبنيانه الذى آتيناه بحول الله وطوله من القواعد فخر وتهاوى حتى خرج علينا فى هذا الفصل من كتابه بما مفاده أن الكتاب المقدس محكم وغير منسوخ وسنسوق فيما يلى ما احتج به المؤلف على صدق تلك القضية وصحتها ونرد عليه بما يبطل حججه ويدحضها إن شاء الله تعالى فنقول وبالله التوفيق :

الدليل الأول ونقضه :

أولا : زعم الكاتب أن القرآن والسنة لم يشيرا إلى نسخ الكتاب المقدس بكلمة واحدة . بل إن القول بنسخ القرآن لما قبله أمر يشوش تعليم القرآن ويقلبه رأسا على عقب لأن نسخ بمعنى أزال أو أبطل لم يرد فى القرآن إلا فى موضعين الأول من (البقرة آية ١٠٦) وهو قوله « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها » والثانى سورة الحج آية ٥٢ وهو قوله « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته » فلا توجد فى الموضع الأول ولا فى الموضع الثانى أقل إشارة تدل على أن القرآن ناسخ للكتاب المقدس بل هو ناسخ لنفسه فى بعض أجزائه حتى إن بعضهم عدد الآيات المنسوخة من القرآن فبلغت مائتين وخمسا وعشرين آية وما ذكره البيضاوى من القراءات المختلفة فى آية البقرة هو عند التأمل واحد فى المعنى[1] ولا يمكن أن يطلق على تلك القراءات معنى النسخ

---

(١) القراءات التى ذكرها البيضاوى وأشار اليها المؤلف فى تدليله على صحته قضيته هى :

١ ــ ما ننسخ بضم النون من أنسخ .
٢ ــ قراءة ابن كثير وأبى عمرو ننسأها أى نأخذها من النسىء .
٣ ــ قرىء ننسها أى الناس .
٤ ــ قرىء تنسها بالتاء أى أنت يا محمد .
٥ ــ قرى تنسها بالبناء للمفعول .
٦ ــ قرأ عبد الله ما ننسك من آية أو ننسها .

هذه هى جملة القراءات التى أوردها البيضاوى فى تفسيره ط بيروت ص ٢٢ : ٢٣ .

٧ ــ قرأ حذيفة ما ننسخ من آية وننسكها باظهار المفعولين .

الذى هو الإزالة أو الأبطال فالإشارة إذاً إلى نسخ القرآن نفسه فى بعض أجزائه كما سلف بيانه ، وأما النسخ المشار إليه فى سورة الحج فهو كما ذكر البيضاوى إنما كان لما ألقاه الشيطان على لسان النبى صلى الله عليه وسلم أثناء قراءته لقوله تعالى فى سورة النجم « أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى » من قوله « تلك الغرانيق العلا وأن شفاعتهن لترتجى » فلا وجه إذن للقول بأن القرآن ناسخ للكتاب المقدس .

هذا أول دليل من أدلة المؤلف على صدق قضيته تلك وصحتها .

وردا عليه نقول ليست آية البقرة بيانا لنسخ القرآن لنفسه . ولا هى خالية من الأشارة إلى نسخ القرآن للكتاب المقدس كما قال المؤلف وافترى . بل هى أكبر دليل على أن القرآن الكريم ناسخ لجميع ما قبله من الكتب التى أنزلها الله تعالى وأوحى بها إلى انبيائه ورسله . وليس فيها على الإطلاق ما يشير إلى أن القرآن ناسخ لنفسه لأن معناها كما ذكر المفسرون المنصفون ما ينسخ الله معجزة من معجزات الأنبياء السابقين أو شرعة من شرائعهم أو حجة من حججهم أو ينسها سبحانه الناس يأت بخير منها أو مثلها ولا راد لحكمه بنسخ معجزة نبى بمعجزة نبى آخر ، وحجة نبى بحجة نبى آخر أو بإنسائه الناس بعض حجج الأنبياء الآخرين ، لا راد لحكمه بهذا أو بذاك ؛ لأنه على كل شىء قدير ، ولأنه مالك السموات والأرض وما لأحد من دونه من ولى ولا نصير ، ولا مانع من وقوع مثل هذا فى الكون عقلا بل لابد منه لإصلاح أحوال الناس حالا بعد حال ، وأجيالهم جيلا إثر جيل ،

وأطوارهم طورا تلو طور ، فما كل الناس متحدة أحوالهم ولا كل الأجيال متسقة أعمارهم ، بل لكل حال ما يوائمها ولكل جيل ما يناسبه والله بعباده خبير بصير .

وكيف لا ؟ وها هم اليهود والنصارى كأوضح مثل يذكر قد افتروا على الله ما لم يقله فقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى ، وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا وقالت النصارى المسيح ابن الله بئست مقالتهم وكفروا بما قالوا . وخالف بعضهم بعضاً ، فقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء .. الأمر الذى اقتضت معه حكمة الله أن يرسل محمداً صلى الله عليه وسلم خاتما للانبياء جميعاً وأن ينزل عليه القرآن ناسخا لما قبله من الكتب الأخرى مع تصديقه بأصولها وهيمنته عليها وذكره لبعض أمورها .

قال صاحب المنار بعد أن بين أن الآية فى قوله تعالى « ما ننسخ من آية » ليس مرادا بها الآية القرآنية . والمعنى الصحيح الذى يلتئم مع السياق إلى آخره أن الآية هنا هى ما يؤيد الله تعالى به الأنبياء من الدلائل على نبوتهم أى ما ننسخ من آية نقيمها دليلا على نبوة نبى من الأنبياء أى نزيلها ونترك تأييد نبى آخر بها . أو ننسها الناس لطول العهد بمن جاء بها فاننا بما لنا من القدرة الكاملة والتصرف فى الملك نأتى بخير منها فى قوة الإقناع وإثبات النبوة أو مثلها فى ذلك ومن كان هذا شأنه فى قدرته وسعة ملكه فلا يتقيد بآية مخصوصة يمنحها جميع أنبيائه اهـ[1] .

---

(١) تفسير المنار للشيخ رشيد رضا ج ١ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ٣٤٣ : ٣٤٤ .

هذا ما قاله المفسرون فى معنى آية البقرة فأين ما ارتآه المؤلف من كونها خالية من الإشارة إلى نسخ الكتاب المقدس ومشيرة إلى نسخ القرآن بالقرآن ؟ وإذا قال قائل أين الآية الدالة إذاً على نسخ القرآن بالقرآن قلنا انها قوله « وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون » النحل ١٠١ ، وأما آية الحج فليس معناها نسخ ما جرى على لسان النبى صلى الله عليه وسلم من قول الشيطان « تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهن لترتجى » كما زعم الزاعمون وافترى المفترون إذ حاشاه صلى الله عليه وسلم أن يتسلط الشيطان عليه فيلبس ما أوحى الله به إليه لأنه عليه الصلاة والسلام لو جاز عليه ذلك لما أمن أخذ الشريعة منه خوفاً من الوهم والالتباس ولانتفت عنه العصمة التى أثبتها الله تعالى له بقوله « والله يعصمك من الناس » المائدة ٦٧

ولا قيمة للروايات التى ذكرت هذا الخبر وصرحت به لأنها روايات لم يقل بصحتها أحد من جهابذة المحدثين الأماثل وأئمة العلماء الأفاضل ، بل الوارد عنهم أن هذه روايات غير صحيحة ومدسوسة على الإسلام وإن صرح بها فى بعض كتب التفسير : قال القرطبى نقلا عن القاضى عياض فى هذا الصدد ما نصه : فيكفيك أن هذا حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ، ولا رواه بسند صحيح سليم متصل ثقة ، وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب ، المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم قال أبو بكر البزار : وهذا حديث لا نعلمه يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم بإسناد متصل يجوز ذكره ، إلا ما رواه شعبة عن أبى بشر عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس فيما أحسب ، والشك فى الحديث أن النبى صلى الله

عليه وسلم كان بمكة وذكر القصة ، ولم يسنده عن شعبة إلا أمية بن خالد وغيره يرسله عن سعيد بن جبير ، وإنما يعرف عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ، فقد بين لك أبو بكر رحمه الله أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا ، وفيه من الضعف مانبه عليه مع وقوع الشك فيه الذى ذكرناه ، الذى لا يوثق به ولا حقيقة معه ، وأما حديث الكلبي فمما لا تجوز الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه ، كما أشار إليه البزار رحمه الله ، والذى منه فى الصحيح : أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ : والنجم بمكة فسجد وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس ا.هـ (١)

وقال البيضاوى الذى احتج المؤلف بكلامه بعد ماذكر هذه الرواية « وهو مردود عند المحققين » ا . هـ (٢)

ليس هذا معنى الآية الكريمة ولا مضمونها كما قلنا سلفا ، بل معناها والله أعلم بمراده من كتابه ـ كما يفهم من سباقها وسياقها ولحاقها ـ أنا ما أرسلنا قبلك يا محمد من رسول ولا نبى إلا إذا حدث قومه بحديث من عند الله ألقى الشيطان فى قلوبهم من الأباطيل والوساوس ما يحرفون به الحديث فينحرفون بسبب ذلك عن الجادة والمنهج القويم فينسخ الله ما يلقى الشيطان فى شرع هذا النبى أو الرسول بما ينزله سبحانه وتعالى أو يوحى به إلى رسول آخر ، ثم يحكم الله فى النهاية آياته بإرسال النبى الخاتم الذى لا تنسخ شريعته شريعة أخرى ، ولا ينسخ كتابه كتاب آخر والله عليم بأحوال عباده حكيم فيما يشرع لهم من شرائع ويرسل لهم من رسل ، وقد

---

(١) تفسير القرطبى ج١٢ دار احياء التراث العربى بيروت لبنان ص١٢.

(٢) تفسير البيضاوى ج ١ ط بيروت ص ٤٤٧ .

جعل سبحانه هذا الإلقاء الشيطانى واقعاً ومكنه منه مع أنه قادر على منعه من كل ذلك ليفتن به ذوى القلوب المريضة أو القاسية وإن الظالمين لفى شقاق بعيد .

ذلك فيما نرى هو أصح ما ينبغى أن تحمل عليه الآية الكريمة لما يأتى :

١ ــ قوله تعالى فى أول هذه الآية « من قبلك » يفيد أن حديثها عن الرسل والأنبياء السابقين لا عن محمد صلى الله عليه وسلم فما وجه إدخاله معهم فيه ؟ .

٢ ــ ما ذكره تعالى فى الآيات السابقة من تكذيب القدامى لرسلهم وتعذيب الله لهم على ذلك بشتى أنواع العذاب والنكال يدل فيما نرى على أن تلك الآية الكريمة قد سيقت هنا لبيان سر تكذيب هؤلاء وسبب انحرافهم عن الصراط المستقيم .

٣ ــ قوله سبحانه بعد هذه الآية مباشرة « وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم » دليل قوى فى رأينا على على أن ما فى تلك الآية الكريمة من بيان لنسخ الله تعالى ما يلقيه الشيطان فى حديث نبى أو رسول بحديث نبي أو رسول آخر واحكام ذلك الأمر فى النهاية بالرسول الخاتم والحديث الأخير الذى هو القرآن العظيم ، إنما سيق ليعلمه أهل العلم بالدين والكتب المنزلة على الأنبياء والمرسلين فيؤمنوا به فتخضع له قلوبهم وتطمئن به « وان الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم » .

هذا بالنسبة للقرآن الكريم ، وأما السنة المطهرة فقد جاءت فيها

أحاديث كثيرة تدل على أنه لا إيمان لأحد من اليهود والنصارى إلا إذا صدق بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ونفذ مافيه من أوامر ونواهى ، وترك ماسوى ذلك مما فى الكتب الأخرى ، من تلك الأحاديث ما أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته من كتاب الإيمان بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « والذى نفس محمد بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أصحاب النار » إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة التى تدل على نسخ شريعة نبينا صلى الله عليه وسلم لسائر الشرائع السابقة ، وعلى نسخ كتاب الله المنزل عليه لسائر الكتب السابقة ، فكيف يستجيز أحد لنفسه أن يقول بعد ذلك إن القرآن الكريم غير ناسخ لما سبقه من الكتب أو أنه ليس فى القرآن والسنة دليل على عدم نسخ القرآن لغيره أو الشريعة الإسلامية لما سبقها من الشرائع المختلفة ؟ .

الدليل الثانى ونقضه :

ثانياً : لا صحة لما استشهد به المؤلف على عدم نسخ القرآن للكتاب المقدس من قوله قال الشيخ رحمت الله الهندى فى كتابه إظهار الحق « إن القول بنسخ التوراة بنزول الزبور ونسخ الزبور بظهور الإنجيل بهتان لا أثر له فى القرآن ولا فى التفاسير بل لا أثر له فى كتاب من الكتب المعتبرة لأهل الإسلام . والزبور عندنا ليس بناسخ للتوراة ولا بمنسوخ من الإنجيل وكان داود عليه السلام على شريعة موسى عليه السلام وكان الزبور أدعية » .

لا صحة لهذا الاستشهاد ولا اعتداد به ، لأن الشيخ رحمت الله الهندى لم يقل هـذا الـكلام فى كتابه ولا فى غيره ، بل نسبه إليه المؤلف زوراً وإدعاءاً وبهتاناً وافتراءاً والذى قاله الشيخ فى كتابه بعد تعريفه للنسخ وتبيين أنه ليس من البداء فى شيء وبيان ما يقع فيه النسخ كالأحكام العملية وما لا نسخ فيه كالقصص والأدعية والاعتقادات ـ هو بالنص ما يأتى « وإذا علمت هذا فأقول ليست قصة من القصص المندرجة فى العهد العتيق والجديد منسوخة عندنا ، نعم بعضها كاذب مثل أن لوطا عليه السلام زنى بابنتيه وحملتا بالزنا من الأب كما هو مكتوب فى الأصحاح التاسع عشر من سفر التكوين . أو أن يهوذا ابن يعقوب عليه السلام زنى بثامار زوجة ابنه وحملت بالزنا منه فولدت توأمين فارص وزارح كما هـو مذكور فى الإصحاح الثامن والثلاثين من السفر المذكور وداود وسليمان وعيسى عليهم السلام كلهم من أولاد فارص المذكور فى الإصحاح الأول من انجيل متى أو أن داود عليه السلام زنى بامرأة أوريا وحملت بالزنا منه فأهلك زوجها بالمكر وأخذها زوجة له كما هو مذكور فى الإصحاح الحادى عشر من سفر صموئيل الثانى أو أن سليمان عليه السلام ارتد فى آخر عمره وكان يعبد الأصنام بعد الارتداد وبنى المعابد لها كما جاء فى الإصحاح الحادى عشر من سفر الملوك الأول . أو أن هرون عليه السلام بنى معبـداً للعجل وعبده . وأمر بنى إسرائيل بعبادته كما هو مـذكور فى الإصحاح الثانى والثلاثين من سفر الخروج فنقول : إن هذه القصص

وأمثالها كاذبة باطلة عندنا ولا نقول إنها منسوخة والأمور القطعية العقلية والحسية والأحكام الواجبة والأحكام المؤبدة والأحكام الوقتية قبل أوقاتها والأحكام المطلقة التى يفرض فيها الوقت والمكلف والوجه متحد لا تكون هذه الأشياء كلها منسوخة ليلزم الشناعة . وكذا لا تكون الأدعية منسوخة فلا يكون الزبور الذى هو أدعية منسوخة بالمعنى المصطلح عندنا . ولا نقول قطعاً أنه ناسخ للتوراة ومنسوخ من الانجيل كما افترى هذا الأمر على أهل الإسلام صاحب (ميزان الحق) وقال إن هذا مصرح به فى القران والتفاسير وإنما منعنا عن استعمال الزبور والأسفار الأخرى من العهد العتيق والجديد لأنها مشكوك فيها يقينا بسبب عدد أسانيدها المتصلة وثبوت وقوع التحريف اللفظى فيها بجميع أقسامه كما عرفت فى الباب الثانى .

ويجوز النسخ فى غير المذكورات من الأحكام المطلقة الصالحة للنسخ فنعترف بأن بعض أحكام التوراة والانجيل من الاحكام التى هى من جنس الأحكام الصالحة للنسخ منسوخة فى الشريعة المحمدية ولا نقول إن كل حكم من أحكامها منسوخة كيف وأن بعض أحكام التوراة لم تنسخ يقينا مثل : حرمة اليمين الكاذبة والقتل والزنا واللواطه والسرقة وشهادة الزور والخيانة فى مال الجار وعرضه ووجوب اكرام الأبوين ، وحرمة نكاح الآباء من بناتهم والأمهات من أبنائهن والبنات من أخواتهن والأعمام من بنات أخواتهم والعمات من أولاد أخواتهن والأخوال من بنات أخواتهم والخالات من أولاد اخواتهن ،

وكذلك حرمة الجمع بين الأختين وغير ذلك من الأحكام الكثيرة ، وكذا بعض أحكام الإنجيل لم تنسخ يقيناً ، مثلا وقع فى الأصحاح الثانى عشر من إنجيل مرقس هكذا ٢٩ « فأجابه يسوع أن أول كل الوصايا هى : اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد » ٣٠ « وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك . هذه هى الوصية الأولى » ٣١ « وثانية مثلها : هى تحب قريبك كنفسك ليس وصية أخرى أعظم من هاتين » فهذان الحكمان باقيان فى شريعتنا على أوكد وجه وليسا بمنسوخين ا . ه[١] .

هذا ما قاله الشيخ فى كتابه فأين مافيه من الشهادة للكتاب المقدس بأنه محكم وغير منسوخ كما تقول المؤلف وادعى ؟ .

الدليل الثالث :

زعم المؤلف أن القارىء للكتاب المقدس يرى بمزيد من الوضوح أن تعاليم أسفار العهد القديم والعهد الجديد واحدة وأنها سائرة على نظام واحد ، وأفاض فى بيان ذلك الزعم وتوضيحه فاستعرض أسفار العهدين من ابتداء سفر التكوين إلى نهاية سفر الرؤيا استعراضاً موجزاً خرج منه بأن الكتاب المقدس أشبه ما يكون بعمارة عجيبة التوراة أساسها والانجيل ختامها وبأن كلا منهما يظهر حكمة الله وعدالته ومحبته ورحمته الفائقة وأنه خالق كل الأشياء » . ثم قال عن ما فى التوراة من طقوس مادية

(١) اظهار الحق للشيخ رحمت الله الهندى دار التراث العربى تحقيق أحمد السقا ص ٢٩٦ : ٢٩٧ .

وما فى الإنجيل من تعاليم روحانية ما خلاصته أن الشريعة الطقسية فى التوراة قد ارتقت فى الإنجيل إلى الروحانية الملائمة لجميع البشر حيث إن العهد القديم كان بين الله وبنى إسرئيل فقط ومدته انتهت بمجىء المسيح وتأسيس ملكوته وأما العهد الجديد الذى تنبأ به أرميا النبى فعهد بين الله والمؤمنين بالمسيح سواء كانوا من بنى إسرائيل أم من الأمم فهذا العهد الأخير أعم وأهم من الأول لأن الأول كان قائما على فرائض وطقوس ورسوم تدرب بنى إسرائيل فقط على إدراك الحقائق الروحية تدريجيا استعداداً لأن يكونوا تلاميذ المسيح واساتذة العالم أجمع . فالعهد الأول والحالة هذه يشبه بذرة محصورة فى دائرة ضيقة . وأما العهد الجديد فيشبه شجرة متأصلة نامية شاغلة مكانا متسعا ، فكأن بذرة العهد القديم أنبتت شجرة العهد الجديد والاثنان واحد جوهرا وإن اختلفا ظاهراً فلا وجه إذاً لقول قائل بنسخ العهد الجديد للعهد القديم وقسم وصايا التوراة عامة إلى قسمين أحدهما : الوصايا الطقوسية وهى التى تطورت فى الإنجيل إلى الروحانيات .وثانيهما : الوصايا الأدبية وهى التى لا يصيبها تغير أو تطور ، بل هى فى العهدين واحد ومثل لهذه الوصايا بحرمة الزنا وحرمة القتل وحرمة اليمين الكاذبة إلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة التى ذكرها فى هذا الصدد .

ومثل للوصايا الطقوسية بالختان الذى ارتقى من إيلام الجسد بقطع

جزء منه إلى التطهير الروحانى بالمعمودية وبما تقرر فى التوراة وفيما قبلها من تقديم الذبائح قربانا لله الذى تم فى الأنجيل بتقديم الذبيحة العظمى ألا وهى المسيح عيسى بن مريم وبما يقدمه النصارى بعد ذلك من ذبائح نفوسهم ليكونوا ذبائح حية مقدسة مرضية عند الله الحى الأزلى .

وبشريعة غسل الجسد بالماء فى التوراة لتنظيفه من النجاسات والأرجاس التى ارتقت فى الإنجيل إلى غسل الروح بدم المسيح لأن غسل الجسد بالماء قد صار عديم الفائدة فى تربية النفس وتهذيبها. إلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة التى ساقها نيافته فى هذا المجال .

تلك خلاصة موجزة لما كتبه المؤلف فى أكثر من عشرين صفحة عن اتحاد الكتاب المقدس تمهيدا منه بين يدى تساؤل أورده بعد ذلك وأجاب عنه حيث قال ما نصه :

ربما يظهر للبعض أنه لمناسبة تقدم العالم فى المدنية والحضارة فالدين الذى كان ملائما للناس فى زمن موسى لم يلائمهم فى زمن المسيح إذ أنه عتق وشاخ ، ومثل ذلك الدين الذى وضعه المسيح إذ مر عليه ستمائة سنة خلق وقدم أيضا ولم يعد يلائم العالم فى عصر محمد فولى الأدبار أيضا وقام مقامه الإسلام .

فردا على ذلك نقول :

(أولا) بما أن الطقوس والرسوم الدينية هى رموز تشبيهية فيجوز أن تهرم وتشيخ متى أتى المرموز إليه وعوضا عما كانت مفيدة فى زمن الرمز بها لا تكون مفيدة فى العصور الأخرى ، بل ربما أضرت فهذا مسلم .

أما المبادىء الجوهرية للدين الحق فلا تقبل التغيير ولا يؤثر عليها مرور القرون واختلاف العصور كالشريعة الأدبية ، فانها إن كانت حقا وواجبة فى زمن تبقى كذلك فى كل الأزمان فمبادىء شريعة موسى الأدبية كانت حقا فى زمن آدم وإبراهيم والمسيح وهى حق فى هذا الزمان وتبقى حقا إلى يوم القيامة ، بل إلى ما لا نهاية له لأن جوهر الدين الحق لا يقبل التغيير ولا يعجز عن التأثير .

(ثانيا) نقول إن كان العالم قد تقدم فى المدنية والعلم يقتضى تقدمه فى الدين أيضا ولو سلمنا جدلا أن عصر محمد وجزيرة العرب مسقط رأسه كان أكثر حضارة وأرقى مدنية من بلاد فلسطين ومن الأمة اليهودية فى عصر المسيح واقتضى تنزيل دين الاسلام مشايعا لهذه المدنية الباهرة لكان من اللازم أن يكون الاسلام راقيا كرقى الديانة المسيحية على الأقل من حيث المبادى الأدبية وروحانية العبادة والعتق من نير الطقوس اليهودية المتراكمة فهل الإسلام راق هذا الرقى من هذه الحيثيات أم يرجع القهقرى إلى زمن موسى ؟ اننا نترك الحكم لأهل الأنصاف والخبرة بالتوراة والانجيل والقرآن .

(ثالثا) نقول إن الطبيعة البشرية واحدة فى كل العصور من حيث احتياجاتها وأميالها والفساد المتسلط عليها ولذلك يحتاج البشر أجمعون إلى روح الله القدوس ليطهر قلوبهم من زمن مضى أو حاضر أو مستقبل ، إلاأن ابن آدم مائل للخطية ومحتاج إلى يد تنشله وتقربه إلى الله على الرغم من أمياله الطبيعية وهذه اليد الناشلة لا يمكن الوصول إليها إلا أن كان

يتفضل الله علينا ويحبنا أولا ويكون هو البادىء بالصلح . نعم هذا هو الانجيل بعينه لأنه إعلان محبة الله للعالم الأثيم . قال الرسول يوحنا أحد الحواريين الأثنى عشر « نحبه لأنه أحبنا أولا » .

فهذه الطريقة هى أرق وأشجع وأفضل طريقة معقولة لاجتذاب الإنسان إلى الله ومصالحته مع خالقه سبحانه وتعالى من أجل ذلك لايقدر أن يتصور العقل البشرى وسيلة دينية تحمل الإنسان على إنكار نفسه والعروج إلى أرقى درجات الصلاح والتعبد لله مثل الإيمان بأن الله أحبنا أولا وبذل ابنه من أجلنا [1] ا . ه كلام المؤلف .

نقض هذا الدليل وإبطاله :

ونحن نقول ردا على هذا الكلام وتصحيحا له ، لا خلاف بيننا وبين المؤلف فى أن الوصايا الأدبية كما يسميها هو أو أصول الدين كما نسميها نحن مثل وجود الصانع عز وجل وتوحيده سبحانه ، وكذا الأدعية والأمور الحسية كضوء النهار وظلمة الليل والأحكام المؤبدة مثل « ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا » والأحكام المؤقتة قبل أن يأتى وقتها مثل « فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره » والقصص الإلهى الصحيح أزلية أبدية لا يعتريها نسخ ولا تبديل ، أما الشريعة الطقسية كما يسميها المؤلف ، أو الأحكام العملية المطلقة كما نسميها نحن فتلك هى التى يطرأ النسخ عليها بشرط عدم اتحاد الوقت والمكلف والوجه ، بل لا بد لإمكان وقوع النسخ فيها من الاختلاف

(١) ميزان الحق للمؤلف ص ٨٧ : ٨٩ .

فى الكل أو البعض من هذه الشروط الثلاثة . وما تطور الشرائع الطقسية فى التوراة وارتقائها إلى الروحانيات المذكورة فى الإنجيل كما زعم المؤلف إلا إبطال لتلك الشرائع ونسخ لها بدليل أن المتمسكين بالإنجيل يباشرون المعمودية مثلا بدل الختان الذى هو قطع جزء من الجسد . والمتمسكين بالتوراة يباشرون الختان بدل المعمودية وهذا بالتأكيد غير هذا فمن عمل بالثانى منهما فهو تارك للأول وعليه فلا شك أن الأول عنده منسوخ بالثانى وليس معنى النسخ المصطلح عليه[١] أن الله تعالى أمر أو نهى أولا وما كان يعلم عاقبة الأمر والنهى ثم بدا له رأى فنسخ الحكم الأول لأن هذا جهل والجهل على الله تعالى محال ، بل معناه كما ذكر صاحب الإظهار أن الله كان يعلم أن هذا الحكم يكون باقيا على المكلفين إلى الوقت الفلانى ثم ينسخ فلما جاء الوقت أرسل حكما آخر ظهر منه الزيادة والنقصان أو الرفع مطلقا ، وفى الحقيقة هذا بيان انتهاء الحكم الأول ، لكن لما لم يكن الوقت مذكوراً فى الحكم الأول فعند ورود الثانى نتخيل لقصور علمنا فى الظاهر أنه تغيير . ونظيره بلا تشبيه أن تأمر خادمك الذى تعلم حاله بخدمة من الخدمات ويكون فى نيتك أن يكون على هذه الخدمة إلى سنة مثلا . وبعد السنة يكون على خدمة أخرى لكن ما أظهرت عزمك ونيتك على هذا الخادم .

---

(٢) النسخ المصطلح عليه عندنا هو بيان مدة انتهاء الحكم العملى الجامع للشروط الآتية : أن يكون الحكم محتمل الوجود والعدم ، أن يكون غير مؤقت وغير مؤبد بل يكون مطلقا ، أن لا يكون متحد الوقت والمكلف والوجه

فاذا مضت المدة وعينته على خدمة أخرى فهذا بحسب الظاهر عند الخادم وكذا عند غيره الذى ما أخبرته عن نيتك تغيير وأما فى الحقيقة وعندك فليس بتغيير .

ولا استحالة فى هذا المعنى لا بالنسبه إلى ذات الله ولا إلى صفاته . فكما أن فى تبديل المواسم مثل الربيع والصيف والخريف والشتاء ، وكذا فى تبديل الليل والنهار وتبديل حالات الناس مثل الفقر والغنى والصحة والمرض وغيرها حكما . مصالح لله تعالى سواء ظهرت لنا الحكمة أو لم تظهر فكذلك فى فسخ الأحكام حكم ومصالح له نظرا إلى حال المكلفين وحال الزمان والمكان ألا ترى أن الطبيب الحاذق يبدل الأدوية والأغذية بملاحظة حالات المريض وغيرها على حسب المصلحة التى يراها ولا يحمل أحد فعله على العبث والسفاهة والجهل فكيف يظن عاقل هذه الأمور فى الحكيم المطلق العالم بالأشياء بالعلم القديم الأزلى الأبدى؟ اهـ(١)

من هذا يتبين أن المقصود بنسخ القرآن لما سبقه فى الكتب السماوية من أحكام عملية مطلقة إنما هو بيان انتهاء مدة العمل بهذه الاحكام التى علم الله أزلا أن العمل بها ستنتهى مدته فى هذا الوقت من الزمان . وابتداء العمل بالأحكام الجديدة بالنسبة إلينا لا بالنسبة لعلم الله تعالى إذ قد علم سبحانه أزلا أن العمل بهذه الأحكام سيبدأ فى انوقت كذا فلما حان حينه وآن أمرنا الله تعالى بالعمل بتلك الأحكام لما عرفه سبحانه أزلا من

---

(١) اظهار الحق للشيخ رحمت الله الهندى ج ١ ص ٢٩٥ : ٢٩٦ دار التراث العربى للطباعة والنشر .

ملاءمتها للعصر الذى نزلت فيه ولما سيأتى بعده من عصور أخرى .

ولم يسع المؤلف رغم دفاعه المستميت عن عدم نسخ للتوراة بالإنجيل إلا أن يعلن هذه الحقيقة رغما عنه حيث يقول (العهدالقديم كان بين الله وبنى اسرائيل فقط ومدته انتهت بمجىء المسيح وتأسيس ملكوته .

ونحن نقول له إن الذى أنهى العهد القديم فى نظرك بمجىء المسيح وتأسيس ملكوته قد أنهى العهدين معا بمجىء المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم ونزول القرآن عليه بدليل أن التبشير بذلك النبى العظيم قد صرح الله تعالى به على لسان عيسى عليه السلام فى القرآن الكريم . وأشارت إليه عبارات كثيرة فى العهدين القديم والجديدرغم ماأصابهما من تحريف وتبديل وإضافة وتغيير .

فأما العهد القديم فمما جاء فيه عن ذلك قوله فى الإصحاح الثامن عشر من سفر التثنية الفقرات١٥ : ٢٣ يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلى له تسمعون حسب كل ما طلبت من الرب إلهك فى حوريب يوم الاجتماع قائلا لا أعود أسمع صوت الرب إلهى ولا أرى هذه النار العظيمة أيضا لئلا أموت قال لى الرب قد أحسنوا فى ما تكلموا ، أقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم مثلك واجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ماأوصيه به ويكون أن الانسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا طالبه ، وأما النبى الذى يطغى فيتكلم باسمى كلاما لم أوصه أن يتكلم به أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبى ، وإن قلت فى قلبك

كيف تعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب فما تكلم به النبى باسم الرب ولم يحدث ولم يصر ، فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب بل بطغيان تكلم به النبى فلا تخف منه.

والمتأمل فى هذا النص يجد أن فى قوله « يقيم لك الرب إلهك نبيا وقوله وسوف أقيم لهم نبيا » بشارة صريحة لموسى عليه السلام بنبى يأتى من بعده ، وهذا النبى المبشر به ليس يشوع عليه السلام كما يزعم أحبار اليهود ولا هو عيسى عليه السلام كما يزعم علماء النصارى ، بل النبى المبشر به فى هذا النص هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لما يأتى :

١ ـ كان يشوع مع موسى عليه السلام ومن بعده ، وقد رآه اليهود وعايشوه ومع ذلك فإن اليهود الذين عاصروا عيسى عليه السلام كانوا ينتظرون نبيا آخر مبشرا به عندهم بدليل ما جاء فى الإصحاح الأول من انجيل يوحنا من أن يهود أورشليم قد أرسلوا إلى يوحنا من يسأله عن هويته فقال لهم لست أنا المسيح ، قالوا فأنت ايليا ، قال ولا أنا ايليا ، قالوا فأنت النبى إذن قال ولا أنا بالنبى أيضا .

فلو لم يكن لديهم مايفيد ظهور نبى غير يشوع الذى كانوا بعد ظهوره بزمن طويل ، وعيسى عليه السلام الذى كانوا يعاصرونه ما زعموا أن يوحنا كما جاء فى سؤالهم النبى المعهود الذى أخبر عنه موسى فى الاصحاح الثامن عشر من سفر التثنية على ما بيناه سلفا .

٢ ـ أن قوله فى النص السالف (سوف أقيم) يعنى أن النبى المبشر به

لم يكن موجودا مع موسى عليه السلام ويسوع الذى زعموه محل تلك البشارة كان موجودا فى زمن موسى حاضرا معه فكيف تصدق عليه تلك البشارة ؟ .

٣ — أن ما جاء فى النص السالف من قوله « أجعل كلامى فى فمه » يشير إلى أن ذلك النبى المبشر به سينزل عليه كتاب ، وإلى أنه سيكون أميا حافظا للكلام وذلك لا يصدق على يشوع لانتفاء كلا الأمرين عنه.

٤ — أن المثلية الواردة فى قوله «وسوف أقيم لهم نبيا مثلك» حاصلة بين موسى ومحمد عليهما السلام فى أمور كثيرة منها : أن كلا منهما عبدالله ورسوله وأن لكل منهما والدين وأن كلا منهما ذو نكاح وأولاد وأن شريعة كل منهما مشتملة على سياسات مدنية ، وأن كلا منهما مأمور بالجهاد فى سبيل الله وأن الطهارة وقت العبادة ووجوب الغسل على الجنب والحائض والنفساء ، وطهارة الثوب من البول والغائط ، وحرمة غير المذبوح والقرابين للأوثان مأمور به فى شريعة كل منهما ، وأن شريعتهما مشتملة أيضا على العبادات البدنية ، والأمر بحد الزنا ، وتعيين الحدود والتعازير والقصاص وتحريم الربا ، وأن كلا منهما قد مات على فراشه ودفن فى قبره دون ما قتل أو صلب ، أو اختفاء ، إلى آخر تلك الأمور الكثيرة التى يشترك فيها موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ولعل هذا التماثل هو السر فى تشبيه الله سبحانه - لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم إلى قومه برسالة موسى إلى فرعون حيث يقول (إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا) المزمل ١٥ وفيما حكاه القرآن عن الذين صرفوا

من الجن لاستماع القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم — حين ذهبوا إلى قومهم بعد ذلك « قالوا ياقومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم » الأحقاف ٣٠ .

ولا يوجد شيء من هذا التماثل بين موسي ويشوع وعيسى عليهم السلام لما ثبت فى التوراة من أن أحدا من بنى اسرائيل ليس مثل موسى على ماصرحت به الآية العاشرة من الإصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية حيث تقول : ولم يقم بعد ذلك نبى فى بنى اسرائيل مثل موسى الذى عرفه الرب وجها لوجه ويشوع وعيسى عليهما السلام من بنى اسرائيل فلا مثلية بينهما وبين موسي عليهم السلام ، إذ لو وجدت مثلية بينهم لزم عليه وقوع الكذب الصراح فى التوراة وهذا مالا يقولون به .

ومن جهة أخرى فان موسى كان صاحب كتاب . ولم يكن كذلك يشوع عليه السلام فكيف تتأتى المثلية بينهما ؟

وكيف تتأتى المثلية بين موسى الذى هو عبد الله ورسوله وبين عيسى الذى زعمه النصارى إلها يدين له بالعبودية سائر الناس ومنهم موسى عليه السلام وكذلك فان شريعة موسى مشتملة على أمور عملية كالحدود والتعازير بخلاف شريعة عيسى عليه السلام فانها خالية منها على ما تشهد به أناجيلهم . وكان موسى عليه السلام رئيساً مطاعاً فى قومه نفاذا لأوامره ونواهيه بخلاف عيسى عليه السلام فانه لم يكن كذلك .

٥ — جاء التصريح فى هذه البشارة بأن النبى الذى ينسب إلى الله

مالم يأمر به يقتل ، وقد جاء نظير ذلك فى القرآن حيث يقول سبحانه عن محمد صلى الله عليه وسلم «ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين » الحاقة ٤٤ : ٤٦ .

فلو لم يكن محمد صلى الله عليه وسلم نبياً حقاً لقتل ، لكنه لم يقتل بل تكفل الله سبحانه بحفظه ورعايته ، وأخبر بذلك فى كتابه الكريم حيث يقول « والله يعصمك من الناس » المائدة ٦٧ .

وقد أنجز الحق وعده فما قتل رسول الله على كثرة أعدائه ، وعدم اتخاذه الحراس لنفسه بعد هذه الآية ، بل بقى يؤدى الرسالة ، ويبلغ الأمانة حتى لحق بالرفيق الأعلى وهو على فراشه وبين أهله وذويه ، بخلاف عيسى عليه السلام فإنه قد رفع إلى الملأ الأعلى كما أخبر الله بذلك فى قوله « وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما » النساء ١٥٧ .

فلو كانت هذه البشارة بعيسى عليه السلام وهو على زعمهم قد قتل للزم أن يكون نبيا كاذبا كما يزعم اليهود لعنهم الله .

٦ــ وماجاء فى النص السالف من قوله « فما تكلم به النبى باسم الرب ولم يحدث ولم يصر فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب .

يفيد أن علامات النبى الكاذب أن يقع ما يخبر به من أمور الغيب على غير ما أخبر به ، أو لا يتحقق شىء مما يخبر به من المغيبات .

وقد ثبت صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل ما أخبر به سواء أكان عن الماضى أو الحاضر أو المستقبل ، فدل هذا على أنه النبي الصادق المبشر بإتيانه بعد موسى حقاً .

٧ ــ قد أقر كثيرون من علماء اليهود فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم بأن محمدا صلى الله عليه وسلم هو نبى آخر الزمان المبشر به فى التوراة ، ومنهم من آمن ، ومنهم من بقى على كفره وعناده . وفى السيرة وكتب الحديث الصحيحة كثير من هذه الأخبار فلو لم تكن البشارة بالنبى واضحة فى التوراة ما أقر بها علماء يهود ا. هـ[1] .

وأما العهد الجديد فمما جاء فيه عن التبشير بنبى آخر الزمان ما نقله متى فى الإصحاح الحادى والعشرين من انجيله الفقرات ٣٣ : ٤٥ عن عيسى عليه السلام من قوله « استمعوا مثلا آخر كان انسان رب بيت غرس كرما وأحاطه بسياج وحفر فيه معصرة وبنى برجا وسلمه إلى الكرامين وسافر ولما قرب وقت الأثمار أرسل عبيده إلى الكرامين ليأخذ أثماره فأخذ الكرامون عبيده وجلدوا بعضاً وقتلوا بعضاً ، ورجموا بعضاً ثم أرسل أيضاً عبيداً آخرين أكثر من الأولين ففعلوا بهم كذلك وأخيرا أرسل إليهم ابنه قائلا يهابون ابنى وأما الكرامون فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم هذا هو الوارث هلموا نقتله ، ونأخذ ميراثه فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه فمتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرامين قالوا له أولئك الأردياء يهلكهم هلاكا رديا ويسلم الكرم إلى كرامين آخرين يعطونه الأثمار فى أوقاتها ، قال لهم يسوع أما قرأتم قط فى الكتب الحجر الذى رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا

---

[1] العقائد المسيحية بين القرآن والعقل للدكتور هاشم جودة ص٣٢ــ٣٨.

لذلك أقول لكم أن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره ، ومن سقط على هذا الحجر يترضرض ومن سقط هو عليه يسحقه ، ولما سمع رؤساء الكهنة ، والفريسيون أمثاله عرفوا أنه تكلم عليهم » .

وكذا حديث عيسى الأخير الذى انفرد يوحنا بتسجيله فى إنجيله على مدى أربع إصحاحات كاملة من أول الإصحاح الرابع عشر إلى آخر الإصحاح السابع عشر .

والباحث فى نقل متى السالف يجد أن رب البيت هو كناية عن الله عز وجل والكرم كناية عن الشريعة واحاطته بسياج وحفر معصرة فيه وبناء برج ، كنايات عن بيان المحرمات والمباحات والأوامر والنواهى ، والكرامون الطاغون كناية عن اليهود كما فهمه رؤساء الكهنة والفريسيون والعبيد المرسلون كناية عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، والأبن كناية عن عيسى عليه السلام على ماجاء فى مزاعمهم الباطلة أو على تأويل كلمة الابن هنا بالعبد الصالح والحجر كناية عن محمد صلى الله عليه وسلم وهو الحجر الذى إذا سقط عليه أحد ترضرض ، وإذا سقط على أحد سحقه والأمة التى تعمل أثماره كناية عن أمته صلى الله عليه وسلم ، وما ادعاه علماء النصارى من أن الحجر هو كناية عن عيسى عليه السلام فمردود لما يأتى :

١ — قد شبه النبى نفسه صلى الله عليه وسلم باللبنة التى يحسن البناء بها فى حديثه الصحيح حيث يقول « مثلى ومثل الأنبياء قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة فجعل الناس يطوفون به ويقولون ما أحسنه وما أجمله إلا موضع هذه اللبنة فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين » .

ولم يثبت عن عيسى أنه شبه نفسه ، بمثل ذلك التشبيه فدل هذا على

أن لفظ الحجر الوارد فى النص السالف هو كناية عن محمد صلى الله عليه وسلم لا عن غيره .

٢ ـ قول داود عليه السلام « الحجر الذى رفضه البناءون قد صار رأسا للزاوية ، من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا » يفيد أن اليهود عامة وداود خاصة يعجبون من كون الحجر الذى تركه البناءون ولم يستعملوه فى البناء لعدم استحسانهم له قد صار بأمر الله رأس الزاوية ، فلو كان هذا الحجر كناية عن عيسى عليه السلام ما صدر منهم هذا العجب فى حقه ، لأن عيسى من آل يهوذا من آل داود عليه السلام ، فهو من اليهود ، فكيف يعجب اليهود من كون واحد منهم قد صار رأس الزاوية ، وكيف يصدر العجب من ذلك عن داود بصفة خاصة مع أنه كما يزعم النصارى يعظم عيسى عليه السلام فى مزاميره تعظيما بليغا ، ويعتقد الألوهية فى حقه بخلاف ما إذا قلنا إن الحجر كناية عن محمد صلى الله عليه وسلم فإن تعجبهم هذا يكون مقبولا لأنهم كانوا يحقرون أولاد اسماعيل غاية التحقير فكون واحد منهم يصير رأساً للزاوية بأمر الله تعالى هو شيء يثير العجب عندهم ويملأ قلوبهم حقداً وحسدا ، ا . ه[1] .

والباحث فى نقل «يوحنا» يجد أن حديث عيسى الأخير يعالج مسائل أساسية وآفاقا مستقبلية ذات أهمية بالغة ، يحدد فيها بشكل قاطع المرشد الذى على الإنسانية أن تتبعه بعد اختفائه عليه السلام والدى ستمكث

---

(١) راجع فى ذلك كتابنا العقائد المسيحية بين القرآن والعقل من ص ٣٨ : ٤١ .

شريعته فى البشرية إلى الأبد ويسميه باسم يونانى هو **Parakletos** (باركليتوس) الذى ترجمته بالفرنسية **Paraclet** (باركليت) وترجمته بالعربية المعزى أو المحمود المشهور أوالحامى والشفيع على اعتبار أن الأصل اليونانى هو باركليتس لا باركليتوس ولما كانت كل هذه الأسماء تنطبق على محمد صلى الله عليه وسلم فهو محمود عند متبعيه ، ومشهور بين سائر الناس ، وشفيع للكل يوم القيامة ، وضعوا كلمة الروح القدس تفسيرا للمعزى حتى يصرفوا الأذهان عن هذا البيان الواضح ويقودوا الناس إلى متاهات الكلام بغية طمس تلك البشارة البينة بالنبى عليه الصلاة والسلام ، وقد أدرك بعض الباحثين المدققين المنصفين هذه الحقيقة فأعلنوها صريحة واضحة لا لبس فيها ولا غموض مثل موريس بوكاى العالم الفرنسى الكبير الذى حقق هذه المسألة وقال فيها كلمة الفصل والعدل والانصاف ألا وهى أن المرشد الذى أمر عيسى عليه السلام الانسانية باتباعه هو نبى يأتى من بعده وليس روح القدس كما جاء فى الإنجيل[٢] .

وأما القرآن الكريم فقد ذكر عن عيسى صراحة أنه مصدق لما بين يديه من التوراة ومبشر برسول يأتى من بعده اسمه أحمد فقال « وإذ قال عيسى بن مريم يابنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد ، فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين » الصف ٦ .

ولا أظننى بعد هذا العرض الوافى الضافى للبشارات بالنبى صلى الله تعالى

---

(٢) راجع فى ذلك دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة لموريس بوكاى ط دار المعارف ص ١٢٥ : ١٣٠ .

عليه وسلم في التوراة والإنجيل والقرآن - مبالغا أن قلت إن ماذكره المؤلف من انتهاء العهد القديم بوجود العهد الجديد لأن رسومه وطقوسه ليست سوى رموز تشبيهية تنتهي بمجيء المرموز إليه، وبقاء العهد الجديد أبديا لا ينهيه شيء إلى يوم القيامة، لا أظنني مبالغا إن قلت إن هذا الكلام من صاحبه هراء ومحض افتراء .

وما كان الدين الالهي أبداً تابعاً للتقدم الاجتماعي والرقي الحضاري كما تصور الكاتب وتخيل بل هو صانع لهما في كل مجتمع يتمسك به وينفذ تعاليمه ، وما رجع الاسلام بأهله القهقري إلى الطقوس اليهودية ونبذ الرقي الروحي كما تزيد المؤلف وتقول ، بل ارتقى بمتبعيه من وهاد الجهل وحمأت الرذيلة إلى ذرا العلم وقمم الفضيلة واستخلفهم الله عز وجل بسبب هذا الدين في الأرض وبدلهم من بعد خوفهم أمنا وما ذلك كله إلا أنهم تمسكوا بتعاليم الله جل سناه المادي منها والروحي إذ اقتضت حكمة الله تعالى أن يجمع هذا الدين بين الروحانيات التي تملأ الوجدان والعواطف بهجة وسروراً والعمليات التي تضع للحياة نظاماً محكما موفورا .

ولا عجب أن جاء هذا الدين على لسان رجل أمي يعيش في الجزيرة العربية التي كانت آن ذاك أقل حضارة من الأمم المجاورة لها الأن في هذا أبلغ رد على من زعموا أن محمداً صلى الله عليه وسلم قد جاء بهذا الدين من عنده إذ ما كان لرجل أمي يعيش في بلد غير حضاري أن يخرج على الناس بهذا الفيض الغامر من العلوم والمعارف التي عزت وتعز على أساطين العلم وفحول العلماء والتي كانت وما زالت وستظل إن شاء الله مصدراً للهدى والنور في سائر أنحاء الأرض وشتى مجالات الحياة ، فلا غرو إذن أن ينسخ الله بتلك الشريعة الخاتمة الغراء ما سبق من

أحكام عملية مطلقة فيما قبلها من الشرائع الأخرى وأن يجعل القرآن المنزل بها على محمد ﷺ مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه .

أما أصول الدين كالتوحيد والقصص الإلهى الصحيح والأحكام المؤقتة قبل أن يأتى وقتها , وما إلى ذلك من سائر تلك الأصول فهى واحدة لا اختلاف فيها ولا تغيير ولا نسخ لها ولا تبديل من عهد آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . إذ قد تربت الطبيعة البشرية على مثل هـذه المبادىء الثابتة الواحدة فى كل العصور وبهـا قاومت الفساد المتسلط عليها . أما احتياجات تلك الطبيعة البشرية وميولها واندفاعها نحـو الخطايا والموبقات فانه لا يصلح ولا يقوم إلا بالأحـكام الإلهيـة العملية المطلقه التى ظلت تتجدد عصرا بعد عصر وجيلا إثر جيل متناسبة مع ما يستجد فى حياة البشر من ظروف وأحوال على مر العصور والأجيال حتى اذا ما تم النضج البشرى واكتمل . ولم يبق فيه من خلل إلا موضع لبنة بعث الله نبيه محمـــداً صلى الله عليه وسلم بالدين الخاتم والشريعة الأخيرة فكان هو اللبنة وكان خاتم النبيين . ولا يتصور عقل بشرى وسيلة صحيحة تحمل الانسانية على العمل للدنيا والآخرة إلا هـــذا الدين العظيم الذى جمع بين ما تصلح عليه دنيا الناس وآخرتهم وكيف لا والذى أنزله هو الله العليم الحكيم انه بعباده خبير بصير .

الدليل الرابع وابطاله :

ما ذكره المؤلف من أن دعوى نسخ التوراة منقوضة بأقوال الأنبياء والرسل بل بأقوال المسيح نفسه ليس فيما نرى صحيحا ولا مقبولا لأن

أقوال الأنبياء والرسل ومنهم عيسى المسيح عليه السلام لم تنقض دعوى نسخ التوراة على ما ذكره المؤلف وافتراه ، بل نقضت دعوى نسخ أصول الدين وابطال كلمات الله أى وعوده ومواعيده فى أى كتاب كانت كالوعد بنصر رسله ونشر دينه ، والبعث والنشور ، وقيام الساعة وحساب الناس بين يدى الخالق العادل وخلود المؤمنين بعد ذلك فى الجنة والكافرين فى النار إلى غير ذلك من أصول الدين التى لا يكذب فيها نبى نبيا ولا يخالف فيها كتاب سماوى صحيح كتابا سماويا صحيحا قال تعالى « وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم » الانعام ٦:١١٥

وعلى هذا المعنى يكون ما احتج به المؤلف من قول أشعيا « يبس العشب ذبل الزهر وأما كلمة إلهنا فتثبت إلى الأبد (سفر أشعيا ص٤٠ : ٨) . دليلا على صحة ماذكرناه لا على ماذكره الكاتب وادعاه ، ويكون معنى قول المسيح عليه السلام « السماء والأرض تزولان ولكن كلامى لا يزول بشارة متى ص ٢٤ : ٣٥ وبشارة مرقس ص ١٣ : ٣١ وبشارة لوقا ص ٢١ : ٣٣ على فرض تسليم صحته أن ما أوصاهم به عيسى سلام الله عليه من توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة دون سواه لا يبطل ولا يزول بل يصدقه ويثبته النبي الآتى بعده كما صدق فيه عيسى من قبله من الأنبياء فهو لا يتغير ولا يتبدل إلى يوم القيامة . وعلى هذا المعنى أيضا يحمل قول عيسى عليه السلام إن صح نقله من رذلنى ولم يقبل كلامى فله من يدينه ، الكلام الذى تكلمت به هو يدينه فى اليوم الأخير « بشارة يوحنا ص ١٢ : ٤٨ »

وكيف لا يدان فى اليوم الأخير من ترك كلام عيسى وهو الداعى إلى وحدانية الله والمبشر برسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والعائد إلى الأرض قبيل الساعة إن شاء الله ليكسر الصليب ويقتل الخنزير ويحمل الكفار من أهل الكتاب وغيرهم على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله بما فيهم محمد صلى الله عليه وسلم واليوم الآخر ثم يكون يوم القيامة عليهم شهيدا قال تعالى « وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا » النساء ١٥٩ .

فالإدانة فى اليوم الأخير ليست بموجب ما جاء فى هذه الأناجيل التى كتبوها وإنما هى بموجب كلام المسيح ووصاياه الصحيحة التى أوصى بها أنصاره وحوارييه ، وبشرهم فيها بنبى آخر الزمان على ماذكرناه سلفا فى موضعه من هذا البحث ، ومع ذلك فقد جعل الكاتب من قول بولس فى رسالته إلى أهل غلاطية « ص١ : ٨ » ولكن ان بشرناكم نحن أوملاك من السماء بغير مابشرناكم فليكن أثيما بعد أن أوله بما يرضى هواه السبب فى كفر النصارى بأى نبى يأتى بعد عيسى وتأكدهم من أن مافى العهد الجديد هو الوحى الأخير حيث قال مانصه : « وعدا ذلك أمرنا فى الانجيل أمرا صريحا أنه أن جاءنا أعظم عظيم ولو ملاك من السماء وبشرنا بخلاف ما ورد فى الإنجيل وادعى بأنه مرسل من الله يكون ملعونا « رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية ص ١ : ٨ » ولهذه الأسباب ابتعد المسيحيون الحقيقيون عن ضلالات الأنبياء الكذبة الذين ظهروا بعد المسيح وادعوا بأنهم المشار إليهم فى الانجيل بالفارقليط مثل مانى الفارسى وغيره وكذلك لم يتوقعوا وحيا جديدا غير المتضمن فى العهد الجديد قال هذا وتشدق به

ونسى نيافته أن بولس صاحب هذا الكلام كان يهوديا متعصبا دفعه تعصبه إلى اضطهاد كنيسة الله اضطهادا شديدا قبل أن يتنصر كما ذكر هو عن نفسه فى الفقرة الثالثة عشرة من نفس الإصحاح فلما لم يجده ذلك نفعا تنصر ليضرب النصرانية من الداخل لا من الخارج ، فمن مصلحته إذن أن يحض الناس على تصديق ما يقوله لهم دون سواه حتى يزرع فيهم ما يشاء من بذور الشر ونواه ، ونسى أيضا أنه لا يصح أن يعارض ما بينه عيسى المسيح عليه السلام فى حديثه الأخير من صفات المرشد الذى ينبغى على الإنسانية اتباعه بعد اختفائه عليه السلام بكلام يهودى متعصب تنصر بعد فترة من الكفر والانحراف كبولس هذا ، نسى أو تناسى كل هذه الحقائق وادعى ما ادعاه كى يصل إلى مأربه من أن القرآن لم ينسخ الانجيل والتوراة ... وهيهات ... ثم هيهات أن يتحقق له ما أراد والقرآن حجة الله البالغة بين أيدى الناس فى كل عصر ومصر شاهد على أن ما سبقه من كتب سماوية صحيحة قد صار أمرا نصدق به ولا نعمل بما جاء فيه من أحكام عملية مطلقة حيث قد انتهت مدة العمل بها ليحل محلها ما جاء فى الدين الخاتم من أحكام يصلح عليها أمر الناس فى شتى أقطار الأرض دنيا وأخرى .

خلاصة موجزة لما سبق من أفكار :

والآن ... وبعد أن كررنا على ما ادعاه المؤلف واحتج له من اتحاد الكتاب المقدس وعدم نسخ القرآن الكريم له فأبطلناه بما هدانا الله تعالى إليه من الأدلة البالغة والبراهين الدامغة نستطيع أن نقول للكاتب وأمثاله

خاصة وللنصارى عامة إن ما تدعونه من امتناع النسخ باطل لا ريب فيه كيف لا وأن المصالح تختلف باختلاف الزمان والمكان والمكلفين فبعض الأحكام يكون مقدورا للمكلفين فى بعض الأوقات ولا يكون مقدورا فى بعض آخر ، ويكون البعض مناسبا لبعض المكلفين دون بعض آخر ، ألا ترون أن المسيح عليه السلام قال مخاطبا للحواريين « إن لى أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية ، ذاك يمجدنى لأنه يأخذ مما لى ويخبركم » انجيل يوحنا ١٦ فقرات ١٢ : ١٤ .

وها قد جاء روح الحق ، ورسول الصدق ، وأرشد الخلق بما أنزل إليه من ربه إلى جميع الحق وما آتاهم بشىء من عند نفسه ، بل بلغهم ما سمع من ربه دون ما زيادة ولا نقصان « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى » النجم ٣ ، ٤ .

وأخبر بغيبيات أعلمه بها رب السماء ، ومجد عيسى وغيره من سائر الرسل والأنبياء ، ودعى الناس ليلا ونهارا إلى عبادة الواحد القهار ، وتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه عن طواعية واختيار ، لا عن إكراه واضطرار ، فهل تعتبرون يا أولى الأبصار ؟ ؟

الفصل الثالث

عرض ومناقشة

مناقشة الكاتب فى دعوى أن أسفار العهد القديم والجديد المتداولة اليوم هى بعينها التى كانت فى عصر محمد وشهد لها القرآن

زعم الكاتب أن فى هذا الفصل والذى يليه بحثين غاية فى الأهمية :
أولهما : هل أسفار العهدين المنتشرة اليوم هى بذاتها التى كانت فى عصر محمد .
وثانيهما : إن كانت هى بذاتها فهل اعتراها تحريف أو تبديل كثير أو قليل .

زعم الكاتب بأن الطعن فى الكتاب المقدس تكذيب للقرآن :

ثم قال وقبل البحث فى هذا وذاك لنفرض .
أولا : ان الكتاب المقدس المتداول اليوم لم يكن هو بذاته الذى كان فى عصر محمد ...
ثانياً : أو على الأقل اعتراه تحريف بحيث أصبح لا يوثق به كما يزعم جهال المسلمين فإن كان الأمر هكذا فما أشقى بنى آدم وما أنكد حظهم وأنحس طالعهم لأن كلام الله الذى لا يقبل التغيير على حسب فهمنا ونطقت به الأنبياء والرسل كما يصرح القرآن ويحتم على المسلمين أن يقروا ويعترفوا به قد تلاشى (واحسرتاه) من الوجود أو تشوه بالباطل فسقطت قيمته ، ما أشقى الجنس البشرى بهذا المصاب العظيم حتى القرآن طاش سهمه وخاب

مسماه لأن الله أنزله مهيمنا على الكتاب المقدس ليحفظه سالما من أيدى الأغراض ولم يحفظه ، ان هذا ليهدم ركنا عظيما من أركان الثقة بالقرآن كيف لا وقد وكل الله إليه مأمورية فأهملها شر إهمال لكن هذه الدعوى باطلة ، والشكر لله فان كلمته التى فى العهدين لم تتلاش ولا تحرفت بل بقيت محفوظة بعنايته الضابطة لكل شىء كما يعترف القرآن ويهدى أتباعه إلى صراط مستقيم من هذه الحيثية .

ومن الغريب أننا نحن معاشر المسيحيين بواسطة تمسكنا بشهادة القرآن فى حق الكتاب المقدس بالصحة والنزاهة ندافع عن القرآن نفسه من هجمات أغبياء المسلمين الذين لو دروا أن الطعن فى الكتاب المقدس طعن فى قلب القرآن لم يطعنوا .

نقض حجج المؤلف وإبطالها :

لا صحة لما ادعاه الكاتب من أن تحريف الكتاب المقدس يفضى إلى شقاء الناس . وكذب القرآن لأن ما أنزل الله على رسله من كتب لا يعصم من التبديل والتغيير إلا بعاصم واحد هو وعد الله تعالى بحفظ ما يريد حفظه من تلك الكتب من عبث العابثين وتزيد المتزيدين فاذا فاز كتاب ما من الكتب السماوية بهذا الوعد الكريم عز على الناس النيل منه أو التطاول عليه . ولما لم يتحقق هذا الوعد للتوراة والزبور والإنجيل ولما سبقها من كتب الله المنزلة على رسله إلى الناس كانت غير معصومة من التحريف والتبديل وما نص عليه القرآن من أن كلام الله لا يبدل

كما فى قوله تعالى « وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم » الأنعام ١١٥ ، ومن أنه مصدق لما بين يديه من جنس الكتب الإلهية ومهيمن عليها لا يدل على عصمة كتابهم المقدس من التحريف والتبديل ولا على أن كتابهم هذا إذا بدل أو حرف شيء منه كان ذلك مدعاة لكذب القرآن وطيش سهمه وخيبة مسعاه على ماذكره المؤلف وافتراه ؛ لأن المراد بكلمة الله التى لا تبدل ولا تغير ماله من إرادة نافذة فى هذا الكون كله ووعوده التى تصدر عنه سبحانه على لسان رسله الأكرمين إلى غير ذلك مما تحدثنا عنه فى محله من هذا البحث ، والمراد بكون القرآن مصدقاً لما بين يديه من جنس الكتب الإلهية ومهيمنا عليها هو أنه يصدق بأصول هذه الكتب ويقر بها ويدعو الناس إلى الإيمان بكل كتاب منها ويهيمن عليها هيمنة كاملة يبين من خلالها مكانة هذه الكتب عند نزولها وما آل إليه أمرها بعد عبث العابثين بها ، وتزيد المتزيدين فيها فهو أمين عليها يشهد لها بما كانت عليه من صحة وثبوت ولا ينكرها ، ويشهد عليها بما فعل فيها المبطلون من تحريف وتزييف وما إلى ذلك مما بيناه موضحا فى محله من هذا البحث أيضاً فالقول بأن الطعن فى الكتاب المقدس تكذيب للقرآن قول باطل يريد به قائله التلبيس على الناس حيث يربط قضية التحريف الثابتة الواضحة بقضية هامة تجعل البسطاء من المسلمين يستهينون بكل شيء من أجلها ألا وهى صحة القرآن وعدم الشك فيه ، ويجعل من المهام الكبرى لهذا الكتاب الكريم أنه يحرس الكتب السماوية المنزلة قبله ، ويحافظ عليها

من عبث العابثين ، وزيف المزيفين ويوهم الناس بأنه إذا اختل شيء من هذا يكون القرآن قد أهمل المأمورية التي وكل بها على حد تعبير الكاتب وتصويره . ولعمري إنه لتلبيس إبليس . « وما يعدهم الشيطان إلا غرورا » .

مفتريات الكاتب على الشيخ رحمت الله الهندى :

اتهم الكاتب الشيخ رحمت الله الهندى بأنه قد أخطأ خطأ فاحشاً حينما قرر أن التوراة والإنجيل الأصليين قد فقدا قبل رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وأن الأسفار الموجودة اليوم فى جملتها لا تخرج عن كونها كتب أقاصيص ملفقة من باطل وحق . وأن ما أصابها من تحريف أو تبديل لم يدهمها فى عصر محمد صلى الله عليه وسلم بل أصابها قبل ذلك بزمن طويل .

أدلته على صحة هذا الاتهام :

ودلل الكاتب على صحة هذا الاتهام بما مفاده أن الشيخ رحمت الله الهندى إن كان يعنى بالتوراة والأنجيل الأصليين نفس الصورتين اللتين كتبهما موسى ورسل عيسى بأيديهم فقد ورط نفسه من جهة القرآن ؛ لأن نسخته الأصلية قد ضاعت أيضاً . وإن كان يقصد بالتوراة والإنجيل الكتابين اللذين هما طبق الأصل فان دعواه بضياعهما باطلة حيث زعم أن التوراة الأصلية فقدت عندما سبى بختنصر الملك أورشليم وهدم هيكل سليمان سنة ٥٨٧ قبل المسيح . وأقام الدليل على ذلك من سفر

مزمور يدعوه بعضهم سيدراس الثانى ويدعوه بعضهم الرابع وحاول اقناع المسلمين بأن سيدراس هذا إنما هو عذرا المسمى فى القرآن عزيرا وأن عزراً هذا قد ألف كتاباً وادعى أنه هو التوراة الحقيقية الأصلية التى نزلت على موسى النبى على حين أن المراجع لهذا السفر الذى بشير الشيخ إليه لايجد ما يدل على صحة دعواه مطلقا بل يجد ما يدحضها ويزيفها . إذ قد ورد فى إصحاح ١٤ : ٢١ ، ٢٢ أن عزرا استدعى الكتبة الى كتابة كل ماعمل فى العالم من البدء كما هو مكتوب فى أسفار الشريعة ، وإذا صح هذا السند فإنه يدل على أن عزرا كان من حفظة أسفار الوحى فأملاها على الكتبة فكتبوها ودونوها فلا يقال عن عزرا والحالة هذه إنه ألف كتابا من عند نفسه وادعى بأنه التوراة ، وجاء فى تفسير البيضاوى لسورة (التوبة آية ٣٠) ماينقض زعم رحمت الله الهندى ويؤيد نقيضه قال مامعناه . عندما سبى بختنصر اليهود لم يبق أحد من حفظة الوحى فبعث الله عزيرا من الأموات وقد مر عليه مائة سنة ميتاً فأملى التوراة وجاءت طبق الأصل حتى تعجب منه اليهود ومع أن ما ذكره البيضاوى هو المثير للعجب حقا وأنه لا يوجد شيء من تلك السخريات وهذه الخرافات فى سفر سيدراس الثانى والرابع إلا أنه يؤخذ من هذه المزاعم التى رواها البيضاوى فى تفسيره ورحمت الله فى إظهار الحق أن عزرا كان حافظا لأسفار الوحى لا مزورا .

وعلى فرض صحة الرواية الواردة فى سفر سيدراس الثانى فلا يؤخذ منها أن التوراة انعدمت من الوجود بسبب حرق كل نسخها ، كما أنه لا ينعدم

القرآن إذا أحرق وذلك لأنه كان يوجد حفظة للتوراة كما يوجد حفظة للقرآن الذين فى إمكانهم أن يدونوه فى الكتب .

هذا بالإضافة إلى أنه لا يوجد أحد من علماء اليهود أو المسيحيين قد اعتمد سفر سيدراس هذا ونسبه إلى عزرا بل الذى يظهر من مطالعة الجزء الأول منه أنه كتب ما بين سنة ٨١ ، ٨٦ ميلادية ومعلوم أن عزرا كان قبل الميلاد بنحو خمسمائة سنة وعليه تكون نسبة هذا السفر إلى عزرا منتحلة وبالنتيجة يكون السفر مزورا وأن اليهود الأولين لم يعدوه بين أسفارهم القانونية إلى أن قبله فى القرن الثالث الميلاد بعض اليهود الذين يجهلون اللغة العبرانية المكتوب بها .

وبعد أن بان أمر هذا السفر واتضح وثبت بالدليل الواضح أن التوراة والأسفار الموحى بها إلى الأمة اليهودية لم تتلاش قط من الوجود يمكن القول بأنه إن ثبت وجود التوراة فى حياة عزرا ثبت وجودها فى زمن بختنصر . أما أنها كانت موجودة فى زمن عزرا فالدليل عليه من نفس سفر عزرا المقبول لدى اليهود والنصارى أجمعين فلقد ورد فيه قوله « عزرا هذا صعد من بابل وهو كاتب ماهر فى شريعة موسى التى أعطاها الرب إله إسرائيل» (توراه سفر عزرا ص ٧ : ٦) قابل بين هذا وبين مارد فى سفر نحميا ص ٨ ثم جاء أيضاً فى سفر عزرا أن شريعة الرب أى التوراة كانت بيده وقت صعوده من بابل إلى أورشليم وعلى ذلك قول الملك أرتحشستا له «من أجل أنك مرسل من قبل الملك ومشيريه السبعة لأجل السؤال عن يهوذا وأورشليم حسب شريعة إلهك التى بيدك » (عزرا ص ٧ : ١٤) .

من هنا يظهر بمزيد الوضوح أن التوراة لم تتلاش فى زمن بختنصر بموجب هذا الدليل الكتابى وهنا دليل آخر على عدم تلاشى التوراة من الوجود ورد فى كتاب قديم كتب فى القرن الثانى للميلاد واسمه « برقى أبهوث» ماخلاصته : أن التوراة نزلت على موسى فى جبل سيناء فاستودعها موسى إلى يشوع وهذا سلمها إلى شيوخ إسرائيل وهؤلاء سلموها إلى الأنبياء وسلمها الأنبياء إلى السنهدريم « مجمع اليهود الأعظم » وكان هذا المجمع فيما يروى مؤلفا من علماء اليهود أسسه عزرا لغرض واحد هو المحافظة على التوراة وتعاليم الشعب ، وقد ورد فى التلمود « كتاب تقليد اليهود » أن المجمع العظيم أعاد إلى التوراة مجدها وجلالها القديم بعد السبى البابلى ، وإلى هذا المعنى يشير كتاب برقى أبهوث حيث يقول إن ذلك المجمع وضع ثلاث وصايا كشعائر مقدسة : الأولى : احترس فى القضاء — الثانية : علم كثيرين . الثالثة : كن حصنا منيعا للتوراة . وقد نفذ اليهود هذه الوصايا لا سيما الأخيرة منها على أتم الوجود وأكملها إلى حد أنهم أحصوا عدد كلمات التوراة وحروفها ، وإلى هذا يشير « برقى أبهوث » حيث يروى لنا عن سمعان العادل قوله « إن العالم قائم على ثلاثة أعمدة التوراة ، العبادة ، العمل الصالح . بمثل هذا الاهتمام والتدقيق تداولت التوراة بين اليهود من السلف إلى الخلف جيلا بعد جيل فى لغاتها الأصلية وهى العبرية والآرامية بكل اعتناء وتدقيق .

ومن الأدلة على عدم زوال التوراة وتلاشيها تعدد قرآتها الأمر الذى يدل على أنها لم يكتبها شخص واحد ولا كتبت فى عصر واحد ، وكذا

ما يوجد فيها مما يشبه التناقض فى أخبار بعض الوقائع والمسائل التى ليس لها مساس بالجوهر ، إذ وجود شيء من هذا القبيل فى أسفار التوراة مع سكوت اليهود عنه وعدم تجاسرهم على تسويته لدليل قوى على تمسكهم بالمتون الأصلية واستحفاظهم عليها مهما يكن من أمرها تماماً كما هو فى القرآن حيث ورد فى سورة آل عمران (٥٥) قوله « إذ قال الله ياعيسى إنى متوفيك ورافعك إلى » وورد فى سورة النساء آية ١٥٧ قوله « وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته » أى عيسى على ماذهب إليه بعضهم وورد فى سورة مريم آيه ٣٣ قوله « والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا » فهذا كله منقرض بما جاء فى سورة النساء آية ١٥٦ من قوله « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » إذ هو فى المواضع الأولى يثبت موته وفى الموضع الأخير ينفيه ، وهذا تناقض ظاهري فى متن القرآن ووجوده على حاله هكذا بدون إصلاح أكبر دليل على أن المسلمين لم يمسوا المتن الأصلى لكتابهم بسوء فكذلك ما فى التوراة من التناقضات الظاهرية يدل وجودها على أن أهلها لم يمسوا متونها الأصلية بسوء ، ومع ذلك فقد كتب بعض علماء المسلمين كالشيخ رحمت الله الهندى ومن على شاكلته جدولا طويلا من المتناقضات الواردة فى الكتاب المقدس وزعم أنها متناقضات حقيقية ، وهي فى الحقيقة تناقضات ظاهرية فقط كمثل التى ذكرت فى القرآن آنفا ، وقد وفق العلماء بين كثير من تلك المتناقضات ، وما لم يوفقوا بينها فصعوبتها قائمة على عدم معرفتهم كل ظروفها وأحوالها .

ولعله بعد هذا يكون قد اتضح أن ما زعمه الشيخ رحمت الله الهندى من تلاشى التوراة وزوالها قبل عصر محمد أمر غير صحيح وما جمعه من المتناقضات الواردة فى الكتاب المقدس ليوهم بسطاء المسلمين بوقوع التناقض فى هذا الكتاب أمر غير مستساغ ولا مقبول .

هذا ما رمى به الكاتب الشيخ الامام علم الاسلام واتهمه به ...

نقض هذه المفتريات ودفعها :

وردا عليه نقول والله المستعان :

أما ما اتهم به الكاتب الشيخ رحمت الله من الوقوع فى الخطأ الفاحش حين قال إن التوراة قد فقدت قبل عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بزمن طويل على يد بختنصر ولم يدهمها التحريف فى عصر محمد صلى الله عليه وسلم بل أصابها من قبل ذلك ، فانه منقوص بالتاريخ الصحيح الذى لا يوجد فى مثل هذا الأمر حكم فصل سواه ، فقد ذكر ابن حزم فى كتابه الفصل فى الملل والأهواء والنحل والعلامة شهاب الدين القرافى فى كتابه الأجوبة الفاخرة والمؤرخ اليهودى الكبير سيمون دينوق ما خلاصته :

أن يوشع بن نون قد حكم بنى اسرائيل من بعد موسى عليه السلام ودبر أمرهم على الدين الصحيح والالتزام بالتوراة التى كانت آنذاك عند يوشع العازار بن هارون عليه السلام صاحب السرادق بما فيه لا عند غيره باقرارهم جميعاً . ثم حكمهم من بعد يوشع بن نون فنحاس بن العزر بن هارون خمساً وعشرين سنة على الإيمان

والالتزام بالدين . والاستقامة لله رب العالمين فلما مات فنحاس هذا كفر بنو إسرائيل ، وارتدوا كلهم وعبدوا الأوثان علانية فملكهم على ذلك ملك صور وصيدا مدة ثمانية أعوام . ثم دبر أمرهم بعد موته عثيقال بن قنار بن أخى كالب بن يهوذا أربعين سنة على الإيمان فلما مات كفر بنو اسرائيل كلهم وعبدوا الأوثان للمرة الثانية وملكهم على ذلك عفلون ملك بنى موآب ثمانية عشر عاما ، ثم دبر أمرهم بعد موته أهوذ بن قارا . قيل إنه من سبط أفرايم وقيل من سبط بنيامين .

واختلف أيضا فى مدة رياسته فقيل ثمانون سنة وقيل خمس وخمسون على الإيمان إلى أن مات فحكمهم سمعان بن غاث خمساً وعشرين سنة على الكفر حتى مات فدبرت أمرهم على الإيمان (دبور) النبية من سبط يهوذا . وكان زوجها من سبط أفرايم واسمه السدوث فلما مات كفر بنو إسرائيل وعبدوا الأوثان للمرة الرابعة وملكهم على ذلك عوزيب وزاب ملك مدين سبع سنين ، ثم دبر أمرهم بعده جدعون بن مواس من سبط أفرايم . وقيل من سبط منشا أربعين سنة على الإيمان حتى مات . فحكمهم ابنه أبو ملك وكان خبيث النفس فكفر بنو اسرائيل فى عهده للمرة الخامسة وبنوا للأوثان بيوتاً وظلوا تحت حكمه كفارا مرتدين ثلاث سنين حتى قتل فملكهم مولع بن قوا من سبط يساخر ثم ملكهم من بعده يابين بن جلعاد اثنتين وعشرين سنة على الإيمان إلى أن مات فارتد بنو اسرائيل كلهم للمرة السادسة وعبدوا الأوثان . وملكهم على ذلك هيلم بن جلعاد

ستة أعوام على الكفر لا على الإيمان . فلما مات ولى أمرهم من بعده أنصات من سبط يهوذا سبع سنين وقيل ست سنين ثم مات على الإيمان فوليهم من بعده أيلون من سبط زبلون عشرة أعوام إلى أن مات فحكمهم عبدون بن هلال من سبط افرايم ثمانى سنوات على الإيمان .

فلما مات كفر بنو إسرائيل للمرة السابعة وعبدوا الأوثان جهاراً فملكهم الفلسطينيون أربعين سنة على الكفر .

ثم دبر أمرهم شمشون بن مانوح من سبط دانى عشرين سنة على أشد ما يكون من الفسق والفجور . فلما مات حكم بنو اسرائيل بعضهم بعضاً بلا رئيس وبلا ملك أربعين سنة فى سلامة وإيمان ، ثم دبر أمرهم الكاهن الهارونى عشرين سنة على الإيمان أيضا إلى أن مات فحكمهم شمويل ابن فتان النبي من سبط أفرايم عشرين سنة وقيل أربعين سنة على الإيمان كذلك ثم ولى عليهم شاول الدباغ بن قيش بن افيل بن سارون ابن يوراث بن آسيا بن خس من سبط بنيامين وهو طالوت فحكمهم عشرين سنة ويصفونه بالنبوة والفسق والظلم والمعاصى معا . ويتهمونه بأنه قتل من بنى هارون نيفا وثمانين شخصا وقتل نساءهم وأطفالهم لأنهم أطعموا داود عليه السلام خبزا فقط ثم قتل فتولى أمرهم داود عليه السلام أربعين سنة وقد نسبوا إليه الزنا بأم سليمان عليه السلام . وزعموا أنها أنجبت ولدا من الزنا قبل سليمان واتهموه بأنه قتل أولاد شاول لذنب أبيهم حاشا صغيرا مقعداً .
ثم ولى أمرهم سليمان عليه السلام أربعين سنة بنى خلالها الهيكل فى بيت المقدس وجعل فيه السرادق والمذبح والمنارة ثم مات عليه السلام فافترق .

أمر بنى اسرائيل من بعده وعادى بعضهم بعضا وأخذ يدب الضعف فيهم ويتسرب الخور اليهم حتى صار ملك الأسباط العشرة منهم الى ملك يسكن بنابلس على ثمانية عشر ميلا من بيت المقدس وبقى سبطا يهوذا وبنيامين مع بنى سليمان فى بيت المقدس فتولى أمرهم رحبعام بن سليمان وكان ابن ستة عشرة سنة فآثر الكفر على الايمان والفجور على الصلاح وأعلن عبادة الأوثان جهارا وظل على ذلك حتى انتهى حكمه بعد مدة دامت سبعة عشر عاما .

ترك بعدها المدينة أسيرة فى يد ملك مصر الذى غزاها فى عهده واستولى عليها وعلى هيكلها المقدس وانتهب كل ما فيه ثم مات رحبعام على الكفر بعد أن ولى مكانه ابنه أبيا وله ثمانى عشرة سنة فبقى على الكفر هو وجنده ورعيته حتى انتهت مدة حكمه بعد ست سنوات حارب خلالها الأسباط العشرة التى سكنت نابلس ويقولون إنه قتل منهم فى تلك الحروب نحوا من خمسمائة ألف انسان.

ثم تولى من بعده ابنه أسا وهو ابن عشر سنين فأعاد قومه إلى الإيمان وحكمهم على ذلك واحداً وأربعين عاما فلما مات ولى من بعده ابنه يهوشافاط وهو ابن خمس وثلاثين سنة . وقد استمرت ولايته خمساً وعشرين سنة على الإيمان الى أن مات فولى من بعده ابنه يهورام وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة وقد استمرت ولايته ثمانية أعوام فولى من بعده ابنه أخزياهو وله اثنتان وعشرون سنة فأظهر الكفر فى رعيته وكانت ولايته سنة وقتل فوليت أمه عثلياهو بنت عمرى ملك الأسباط العشرة فتمادت من بعد ابنها اخزياهو على أشد ما يكون من الكفر والفجور وقتلت الأطفال وأمرت باعلان الزنا فى البيت المقدس وعهدت

أن لا تمنع امرأة ممن أراد الزنا معها وأن لا ينكر ذلك أحد فبقيت كذلك ست سنين إلى أن قتلت فولى مكانها ابن ابنها يؤاش بن أخزيا هو وهو ابن سبع سنين وقد دامت ولايته أربعين سنة أظهر خلالها الكفر وعبادة الأوثان وقتل نبي الله زكريا عليه السلام ، ثم قتله غلمانه ، فولى من بعده ابنه أمصياه وهو ابن خمس وعشرين سنة فسار على سنة أبيه في اعلان الكفر وعبادة الأوثان طوال فترة حكمه التي استمرت تسعا وعشرين سنة انتهبت خلالها ملوك الأسباط العشرة البيت المقدس وخربته مرتين فلما قتل ولى بعده ابنه عزيا هو وهو ابن ست عشرة فسار على سنة أبيه وجده في استمراء الكفر وعبادة الأوثان هو وجميع رعيته طوال فترة حكمه التي دامت اثنين وخمسين عاما كاملة وقتل عاموس النبي عليه السلام الداودى ، ثم دبر أمرهم بعده ابنه يوثام ست عشرة سنة وكانت سنه حين تولى أمرهم خمسا وعشرين سنة ، فلما تولى مكانه ابنه أحاز وهو ابن عشرين سنة أعلن الكفر وعبادة الأوثان إلى أن مات فحكمهم من بعده ابنه حزقيا تسعا وعشرين سنة وكانت سنه حين ولى أمرهم خمسا وعشرين سنة فأظهر الإيمان وهدم بيوت الأوثان وقتل سدنتها وبقى على الإيمان هو وجميع رعيته إلى أن مات ، وفي السنة التي سبقت ولاية حزقيا هذا انقطع ملك الأسباط العشرة التي كانت تقطن نابلس وغلب عليهم سلمان الأعصر ملك الموصل وسباهم ونقلهم إلى آماد وبلاد الجزيرة وأسكن في بلاد الأسباط العشرة أهل آماد والجزيرة فأظهروا دين السامرة الذين أقاموا في هذه البلاد ثم دبر أمرهم من بعد حزقيا ابنه منشا خمسا وخمسين سنة

أظهر الكفر بعد الأعوام الثلاثة منها وقتل أشعيا النبي عليه السلام قيل نشره بالمنشار وقيل أحرقه بالنار وقيل قتله بالحجارة ...

ومن عجب أنهم يقولون إن ملك بابل أسره وأدخله فى ثور من نحاس وأوقد النار تحته فدعا الله فأرسل إليه ملكا فأخرجه من الثور ورده إلى بيت المقدس وأنه كان يوحى إليه من الله تعالى ومع ذلك كله فقد تمادى فى كفره حتى مات فولى مكانه ابنه آمون وهو ابن اثنتين وعشرين سنة فكانت ولايته سنتين على الكفر وعبادة الأوثان إلى أن مات فولى مكانه ابنه يوشيا وهو ابن ثمانية أعوام فأعلن الإيمان فى السنة الثالثة من مدة رياسته وظل على ذلك إلى أن قتله ملك مصر ... وفى أيامه أخذ أرميا النبى السرادق والتابوت والنار وأخفاها فى مكان لا يعلمه أحد ، ثم ولى من بعده ابنه يهوياحوز وهو ابن ثلاث وعشرين سنة فأعاد الكفر وأعلن عبادة الأوثان وأخذ التوراة من الكاهن الهارونى ونشر منها أسماء الله حيث وجدها وكانت ولايته ثلاثة أشهر أسره بعدها ملك مصر فولى مكانه أخوه يهويا قيم ابن يوشيا وهو ابن خمس وعشرين سنة فأعلن الكفر وبنى بيوت الأوثان ، هو وجميع أهل مملكته ، وقطع الدين جملة ، وأخذ التوراة من الهارونى فأحرقها بالنار ، وقطع أثرهم وكانت ولايته إحدى عشرة سنة ومات ، فولى مكانه ابنه يهوياكن وهو ابن ثمانى عشرة سنة فأقام على الكفر وأعلن عبادة الأوثان وكانت ولايته ثلاثة أشهر أسره بعدها بختنصر فولى مكانه عمه متنبيا ابن يوشيا وهو ابن إحدى وعشرين سنة فثبت على الكفر وأعلن عبادة الأوثان هو وجميع أهل

مملكته وكانت ولايته إحدى عشرة سنة وأسره بعدها بختنصر وهدم البيت والمدينة واستأصل جميع بنى اسرائيل وأخلى البلد منهم وحملهم مسبيين إلى بلاد بابل وهو آخر ملوك بنى إسرائيل وبنى سليمان الذين كانوا يعيشون بجوار بيت المقدس ، أما ملوك الاسباط العشرة الذين سكنوا نابلس فترة من الزمان ثم نقلهم سليمان الأعصر بعد أن هزمهم وهيمن عليهم إلى آماد والجزيرة فلم يكن فيهم مؤمن قط بل كانوا جميعا عبادا للأوثان مخيفين للانبياء بحيث لم يكن فيهم نبى قط إلا مقتولا أو هاربا خائفا ، مانعين القصد إلى بيت المقدس بحيث لا يمكنون من زيارته أحدا أبدا .[1]

من هذا يعلم أن التوراة لم تكن من عهد موسى عليه السلام إلى انقضاء دولة بنى إسرائيل على يد بختنصر إلا عند الكوهن الاكبر من الهارونيين فى الهيكل فقط ؛ ولم تنتقل منه إلى أى من البلاد التى سكنها الاسباط العشرة بعد أن انفصلوا عن إخوتهم الذين كانوا يسكنون بجوار بيت المقدس وأن ماحدث للبيت والهيكل من أحداث نتيجة لكفر بنى إسرائيل وارتدادهم عن عبادة الله إلى عبادة الأوثان قد أثر تأثيرا بليغا على التوراة إلى درجة أن بعضهم قد نشر أسماء الله منها ، وبعضهم قد عمد إلى إحراق كثير من أجزائها واستولى الفلسطينيون عليها وعلى التابوت فترة غير قصيرة حتى أغار عليهم بختنصر فأجهز على البقية الباقية منها على ما بيناه فى عرضنا التاريخى السالف لملوك بنى اسرائيل وأحوالهم من عهد موسى

---

(١) انظر ما جاء عن ذلك فى كتاب الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم ج ١ ط صبيح ص ١٤٧ : ١٦٠ والفاروق بين المخلوق والخالق لشهاب الدين القرافى ط الموسوعات بالقاهرة ص ١٠٩ وما بعدها واليهودية والصهيونية للأستاذ أحمد عبد الغفور ص ٣٦ وما بعدها .

إلى الغزو البابلى فكيف يستجيز أحد لنفسه بعد ذلك أن يخطىء من قال بأن التوراة قد فقدت تماما على يد بختنصر قبل زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدهور الطوال ، وأن الأسفار الموجودة اليوم فى جملتها لا تخرج عن كونها كتب أقاصيص ملفقة من باطل وحق ، وأن ما أصابها من تحريف أو تبديل لم يدهما فى عصر محمد صلى الله عليه وسلم بل أصابها قبله بزمن طويل ؟ .

وأما ما استدل به الكاتب على صحة ما وجهه إلى الشيخ رحمت الله من مفتريات وأباطيل فإنه لا يخرج فى جملته عن كونه حججا ملفقة أراد بها صاحبها تزييف الحق ودعم الباطل بما لا أساس له ولا صحة فيه ، حيث زعم أن الشيخ إن كان يقصد بالتوراة والإنجيل المفقودين نفس النسخة التى كتبها موسى ورسل عيسى فقد ورط نفسه من جهة القرآن إذ إن نسخته الأصلية قد ضاعت أيضا . وإن كان يقصد بهما النسخ التى كتبت عن الأصول فان دعواه بضياعهما باطلة .

وهذا زعم فاسد لأن النسخة الأصلية للقرآن لا تنحصر فى مكتوب إذا أحرق ضاع القرآن بإحراقه وإنما كانت للقرآن إلى جوار النسخة المكتوبة نسخ أخرى حية تتحرك فى كل مكان ألا وهى حفاظه الذين أودعوه فى سويداء قلوبهم ، فإذا أحرقت النسخة الأصلية أو ضاعت فلا يعنى هذا ضياع القرآن، ولا كذلك التوراة لأن موسى حين تركها لبنى اسرائيل لم يستودعها سويداء قلوبهم ومكنون أفكارهم ، بل استحفظ عليها يوشع بن نون الذى كان يتلوها عليهم وهم له مجرد مستمعين .

فإذا مات هـذا الرجل ولم يستحفظ عليها أميناً آخر ، أو ضاعت نسختها الأصلية أو استحفظ عليها من لم يحفظها كان ذلك دون ماريب مدعاة لضياع التوراة وفقدها .

فشتان بين القرآن وغيره من الكتب السماوية فى هذا المجال ولأن إبطال دعوى الشيخ — طيب الله ثراه بفقد ما نقل عن الأصل الأول من التوراة — على يد بختنصر ، منقوض بالتاريخ الصحيح الذى استعرضناه من عهد موسى عليه السلام إلى السبى البابلى فى بداية ردنا على تلك المفتريات وبما ثبت من أن تواتر توراة موسى قد انقطع باستيلاء الفلسطينيين على التابوت فى حربهم مع بنى اسرائيل ولما أعادوه أعادوه ببقية مما ترك آل موسى وآل هارون لا بكل ما فيه ، وإلى هذا يشير القرآن الكريم بقوله « وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون » الخ البقرة ٢٤٨[1] . وبما قرره جمهور أهل الكتاب من أن الذى صنف السفر الأول والثانى من أخبار الأيام هو عزرا بمعونة حجى وزكريا الرسولين وحتى هذين السفرين قد وقع التناقض فى الإصحاح السابع والثامن من السفر الاول منهما فى بيان أولاد بنيامين كما وقع بينه وبين التوراة المشهورة فى الحديث عن هؤلاء الاولاد أيضاً من وجهين أحدهما فى الاسماء والآخر فى العدد حيث يفهم من الإصحاح السابع أنهم ثلاثة ومن الإصحاح الثامن أنهم خمسة ومن التوراة المشهورة أنهم

---

(١) انظر ما جاء فى ذلك فى تفسير المنار ج ٢ ط مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ٣٨٢ واظهار الحق ط دار التراث العربى ص ٨٤ بالهامش

عشرة ، وقد اتفق علماء أهل الكتاب على أن ما وقع فى السفر الأول غلط وسبب هذا الغلط هو أن عزرا لم يميز بين الأبناء وأبناء الأبناء وأن أوراق النسب التى نقل عنها عزرا كانت ناقصة ، ولا شك أن هؤلاء الأنبياء الثلاثة بما فيهم عزرا المنسوب إليه الخطأ السالف كانوا متبعين لتوراة موسى فلو كانت توراة موسى هى هذه التوراة المشهورة لما خالفوها ووقعوا فى الغلط ولما اعتمد عزرا فيما دونه على الأوراق الناقصة دونها ، ولا صحة لما ادعاه الكاتب من أن سفر سيدراس (عزرا) خال تماما من الإشارة إلى فقد التوراة على يد بختنصر لأن ما جاء فى هذا السفر ٤ : ١٤ من قوله « إن النار أبطلت شريعتك فلم يعد سبيل لأى امرىء أن يعرف ما صنعت »

يشير فى صراحة ووضوح إلى ما تعرضت له التوراة على يد بختنصر أو نبوخذ نصر من فقد وضياع .

ولا حجة له كذلك فيما نقله عن الإمام البيضاوى عند تفسيره للآية الثلاثين من سورة التوبة من قوله « عندما سبى بختنصر اليهود لم يبق أحد من حفظة الوحى فبعث الله عزيراً من الأموات وقد مر عليه مائة سنة ميتاً فأملى التوراة وجاءت طبق الأصل حتى تعجب منه اليهود . لا حجة له فى ذلك لأن هذا من الاسرائيليات المكذوبة المفتراة التى دسها فى الإسلام المغرضين من اليهود ونقلها عنهم بعض المفسرين من غير تمحيص ولا تدقيق وعلى فرض صحة هذا الكلام فإن فحواه يعطى أن التوراة قد فقدت حين سبى بختنصر اليهود وأن عزرا هو الذى كتبها بعد ذلك وهذا هو ما قاله

الشيخ رحمت الله الهندى فكيف يقال إن ما ذكره البيضاوى رحمه الله ينقض كلام الشيخ ولا يؤيده ؟

ولا صحة أيضا لما زعمه الكاتب من أن التوراة لو انعدمت باحراق نسخها فى زمن بختنصر ـ كما وردت به الرواية فى سفر سيدراس الثانى لما كان ذلك سببا فى ضياعها لأنها كانت محفوظة فى صدور أهلها كالقرآن سواء بسواء ، لا صحة لهذا الزعم ولا ثبوت له ، لأن ما يذكره التاريخ من عهد موسى إلى يومنا هذا يقول إن التوراة لم تكن محفوظة فى صدور أهلها بل كان المستحفظون عليها يقرءونها من الألواح أو الأوراق على أهلها من حين إلى حين وهم لها مجرد مستمعين ، ولأن ما يقرره الواقع ويؤكده هو أن للكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد لا يمكن حفظه عن ظهر قلب كالقرآن ، لطول أسفاره وتعدد كتابها من ناحية ولنقل عباراته والتوائها من ناحية أخرى : فالقول بأن التوراة كالقرآن إذا أحرقت نسخها لا تضيع لاحتواء الصدور لها قول غير سائغ ولا مقبول وقول الكاتب بأن بعض علماء اليهود والنصارى لم يقبلوا هذا السفر ولم يعتمدوه ، وبأن قارىء الجزء الأول منه يظهر له أنه كتب مابين سنة ٨٦،٨١ ميلادية لا يجعل نسبة هذا السفر إلى عزرا منتحلة كما ذكر المؤلف وادعى لأنه قول مبنى على الشك والتخمين لا على القطع واليقين من ناحية ، ولأن علماء القرن الثالث الميلادى من اليهود والنصارى قد اعتمدوا هذا السفر وأقروه كما اعترف به المؤلف نفسه من ناحية أخرى .

وليس صحيحا ما ذكره الكاتب من أنه إن ثبت وجود التوراة فى

زمن عزرا ثبت وجودها في زمن بختنصر لما أثبتناه بالأدلة القاطعة فيما سلف من أن التوراة قد فقدت على يد بختنصر فقداً كاملا ، وأن عزرا هو الذي كتبها من جديد بعد ذلك بزمن غير يسير .

وما جاء في سفر عزرا من قوله « عزرا هذا صعد من بابل وهو كاتب ماهر في شريعة موسى التي أعطاها الرب إله إسرائيل » لا يدل على أن التوراة لم تتلاش في زمن بختنصر لأن فحوى ما تفيده تلك العبارة أن عزرا كاتب ماهر استطاع بمهارته أن يكتب لبني إسرائيل توراة يجمعهم عليها بعد ما فقدوا كتابهم الأول في السبي البابلي على يد بختنصر ، وما جاء في كتاب « برقي أبهوث » من أن موسى سلم التوراة لشيوخ بني إسرائيل وهؤلاء سلموها بدورهم إلى الأنبياء وسلمها الأنبياء إلى مجمع السنهدريم إلى آخر ما نقله المؤلف عن هذا الكتاب منقوض بالتاريخ الصحيح الذي أثبتنا من خلاله أن تواتر التوراة قد انقطع باستيلاء الفلسطينيين على التابوت وردهم إياه إلى اليهود ببقية مما ترك آل موسى وآل هارون لا بكل ما فيه وما جاء في التلمود كتاب تقليد اليهود من أن المجمع العظيم قد أعاد للتوراة مجدها القديم بعد السبي البابلي ، هو أكبر دليل على ما أثبتناه من فقد التوراة على يد بختنصر ، ووصية المجمع بصيانة التوراة وقول سمعان العادل إن العالم بني على ثلاثة أعمدة : التوراة ، والعبادة ، والعمل الصالح إنما هو بالنسبة لما كتبوه هم .

أما التوراة الحقيقية فمحال أن يصلوا إليها ، لأن نار الغزو البابلي قد

التهمتها فلم تبق منها ولم تذر وتعدد قراءات التوراة وما فيها من تناقض لم يستطع مفسروها أن يزيلوه ليس دليلا على تواترها وتداول اليهود لها صحيحة جيلا بعد جيل كما زعم المؤلف وافترى لأن منشأ تعدد قراءاتها إنما هو فى الحقيقة من اختلاف الكاتبين لها واختلاف أزمان كتابة أسفارها واختلاف اللغات التى كتبت بها . ومنشأ التناقضات الواقعة فيها إنما هو فى الحقيقة من اختلاف الأفكار التى أدخلت عليها وعبث العابثين بها تارة بالزيادة وأخرى بالنقص ، ألا ترى أن بعض علماء اليهود قد ردوا أسفاراً منها قبلها بعضهم الآخر ورد آخرون أسفاراً أخرى ارتضاها بعضهم الآخر . الأمر الذى يدل على أن ما أنزله الله على موسى لم يبقه أتباع موسى على حاله بل لعبوا فيه بأهوائهم وقالوا فيه بعقولهم وجعلوا ما قالوه جزءاً لا يتجزأ من الكتاب المنزل من عند الله فاختلط الحق بالباطل اختلاطا أدى إلى هذا التناقض الذى لم يستطيعوا إزالته .

ومن عجب أن يجعل المؤلف من ذلك دليلا على تواتر التوراة وتداولها صحيحة جيلا بعد جيل ولا وجه للمقارنة التى عقدها المؤلف بين التوراة والقرآن فى هذين الأمرين لأن منشأ تعدد القراءات فى القرآن إنما هو فى الحقيقة من الله عز وجل حيث أنزله على سبعة أحرف ، كما ذكر لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأية قراءة يقرأ القرآن بها هى بالقطع منزلة من عند الله ولا مدخل لأحد فيها ولأن مازعمه الكاتب تناقضا فى القرآن إنما هو دون ما جدال راجع إلى سوء فهمه له ، وإلا فكل ما فى القرآن

حق ، والحق لا يناقض بعضه بعضا ، وأما ما قد يكون فيه من عام خصص أو مبهم بين أو مطلق قيد ، أو منسوخ بقيت تلاوته فكل ذلك خارج عن دائرة الاختلاف والتناقض ، والكذب والمهاترة ، والزيف والتضليل .

وما استدل به الكاتب من الآيات القرآنية على وجود التناقض فى القرآن ليس بدليل لأن الموت المثبت لعيسى عليه السلام فى آيات آل عمران والنساء ومريم سوف يقع عليه إن شاء الله بعد نزوله إلى الأرض وإمضائه فيها الفترة المقدرة له . والموت المنفى عنه فى آيتى النساء إنما هو بالنسبة له حال حياته فى الأرض ، فعيسى عليه السلام لم يمت فى حياته الدنيوية الأولى لا بالقتل ولا بالصلب ولا بغيرهما بل رفعه الله إليه وسينزله إلى الأرض عند ما يشاء ليعيش فيها ما شاء الله له أن يعيش . ثم يميته الحق سبحانه. ثم يبعثه بعد ذلك حياً، فالجهة منفكة بين الموت المثبت لعيسى عليه السلام والموت المنفى عنه ، فمن أين إذن يوجد التناقض فى القرآن ظاهرياً كان أو غير ظاهرى ؟ ؟

فالبون شاسع بين ما قالوا عنه إنه تناقض فى القرآن وبين ما وقع عليه العلماء المسلمون وغيرهم من تناقضات حقيقية فى الكتاب المقدس استرعت انتباه جل دارسيه إن لم يكن كلهم . وحيرتهم أزماناً طويلة إلى درجة أنهم أقروا بعد طول بحث وسعة درس بعدم فهمهم لمثل هذه الأمور المتناقضة تارة وبخطأ بعض الكاتبين فى بعض العبارات الواردة

فى الكتاب المقدس تارة أخرى . لذا قلنا ونقول دائماً إن المقارنة بين القرآن والكتاب المقدس فى مثل هذه الأمور نوع من المغالطة التى يأباها العقل السليم ويربأ أرباب الفكر غير المتعصب عن الوقوع فى أمثالها ، ولعله بعد هذا يكون قد تبين بجلاء أن الشيخ رحمت الله الهندى طيب الله ثراه كان محقاً فيما قاله ودلل عليه من أن التوراة الحقيقية قد تلاشت قبل عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بزمن طويل وأن ماوقع فيها من تناقضات جمع جلها فى جدول طويل ، إنما هو نتيجة لما أصابها على مر العصور من التحريف والتبديل . . . . .

تدليل الكاتب على سلامة الكتاب المقدس بكثرة نسخة وتعدد تراجمه

هذا ، وقد دلل الكاتب على سلامة الكتاب المقدس وعلى أن أسفاره المتداولة بين أيدينا اليوم هى بعينها التى كانت فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وإليها أشار القرآن . . .

دلل على ذلك بما خلاصته :

أن لديه جملة جداول محصاة فيها أسفار العهد القديم التى يرجع تاريخها إلى ما قبل محمد وهى موافقة لتوراة العصر الحاضر تمام الموافقة ، وأن عدد هذه الأسفار كما قال يوسيفوس المؤرخ اليهودى فى كتابه الذى كتبه سنة ٩٠ ميلادية ــ وكما اتفق عليه مجمع جامنية الذى انعقد سنة ٩٠ ميلادية أيضا ومجمع لادوكيه ــ اثنان وعشرون سفرا موحى بها من الله تعالى محتوية على تاريخ كل العصور ، منها خمسة أسفار لموسى تشتمل على شريعة الله وتاريخ الجنس البشرى من ابتداء العالم إلى موته أى نحو ثلاثة آلاف سنة تقريبا . ومن ذلك الوقت إلى حكم الملك أرتزركسيس الذى خلف زركسيس مدون فى ثلاثة عشر سفرا والأربعة الأسفار الباقية لتسبيح الله وتهذيب الأخلاق ، وأن أهل القرون المتأخرة قد جزءوا بعض تلك الأسفار لسهولة المراجعة تجزئة يمكن تعيين تاريخها بالضبط والتحديد ، كنسخة بطرسبرج التى كتبت باللغة العبرية سنة ٩١٦ ميلادية فإنها ماتزال مشتملة على الأسفار الصغار للأنبياء الاثنى عشر (هوشع ، ويوئيل ، وعاموس

وعوبديا ، ويونان، وميخا ، وناحوم، وحبقوق، وصفنيا، وحجى،وزكريا وملاخى) كل سفر فيها كان يعتبر اصحاحا مجزأة فيه أعداد الآيات وكذا تقسيم كل من سفر صموئيل والملوك والأخبار إلى جزئين وفصل عزرا عن نحميا فانه قد تم لأول مرة فى طبعة العهد القديم العبرية فى البندقية سنة ١٥١٦ ، ١٥١٧ ميلادية ، وأما الكتب الأخرى التى لا يساوون بينها وبين الأثنين والعشرين سفرا القانونية فى الوثوق بأقوالها فانها رغم كتابتها وترجمتها من قبل المسيح بكل اعتناء وتدقيق لم ينزلوها منزلة الأسفار القانونية ولا عدوها معها كما ذكر ذلك يوسيفوس المؤرخ اليهودى وأقر به ، وأن هذه الأسفار قدترجمت إلى اليونانية بمصر بناءا على طلب بطليموس الثانى الملقب بفلادلفيوس بين سنة ٢٠٠ ، ٢٥٠ قبل المسيح وتدعى هذه الترجمة بالسبعينية نسبة إلى عدد الذين ترجموها فانهم كانوا سبعين عالما من علماء اليهود وهى أقوم ترجمة للتوراة فى الوجود ، وترجمت إلى اليونانية مرة أخرى بواسطة أكويلاسنة ١٣٠ ميلادية وترجمها رجل سامرى اسمه سيماش سنة ٢١٨ ميلادية ، وترجمت كذلك إلى اللاتينية القديمة فى القرن الثانى للميلاد نقلا عن الترجمة السبعينية ثم ترجمها جيروم عن اللغة العبرية إلى الطليانية سنة ٤٠٥ ميلادية ، وترجمها بشستا إلى السريانية فى أواخر القرن الأول تقريبا ، ويقال إنها ترجمت أيضا فى حياة المسيح بناءا على طلب ملك أودسا أبجار ، والترجمة السريانية الفيلكسية أتمها بوليكاربوس نحو سنة ٥٠٨ وهذبها وأصلحها توماس هرتل ٦١٦

وعليه فان كل الترجمات السريانية كانت موجودة قبل عصر محمد والترجمة الأخيرة من هذه اللغة قد بوشرت فى نفس أيامه .

ولما احتمى أصحاب محمد ببلاد الحبشة قبل الهجرة رأوا أهل تلك البلاد يقرأون التوراة والانجيل فى لغتهم الحبشية ومن أقدمية عهد تلك الترجمة عسر على الأحباش فهمها ، والمظنون أنها ترجمت فى القرن الرابع للميلاد ، وكذلك لما فتح عمرو مصر وجد الدين الغالب فيها النصرانية ووجد الكتاب المقدس مترجما إلى اللغة القبطية فى اصطلاحات البلاد الثلاثة الصعيدى والبحيرى والبشمورى ، وقد ترجمت عن الترجمة السبعينية. ويظن بعضهم أنها ترجمت فى ما بين القرن الثالث والرابع ويقول بعضهم بل قبل ذلك .

وترجم بعض أجزاء التوراة عن اللغة السريانية إلى الآرامية سنة ٤١١ م وعن الترجمة السبعينية سنة ٤٣٦ م وبعد ذلك بنحو قرن تمت الترجمة المشهورة بترجمة القديس جاورجيئس وقد كانت مع قرب عهدها قبل الهجرة بسنين كثيرة وترجم التوراة أسقف غونية إلى لغة أهل بلاده ، سنة ٣٦٠ م وأكثر هذه التراجم تممها قوم مسيحيون ما عدا الترجمة السبعينية والأكوبلية طبعا . واعلم أن اليهود كثيرا ما ترجموا بعض أسفار التوراة إلى الآرامية حينما ابتدأ أكثرهم يهملون التكلم بالعبرية ومن بين هذه التراجم ترجمة انكلوس التى تمت ما بين ١٠٥ ، ٢٠٠ م وترجم يوناثان ابن عزيل أسفار الأنبياء سنة ٢٢٠ م وعدا عن كل هذه التراجم كان يوجد كتاب الترجوم الأورشليمى وهو عبارة عن ترجمة

أسفار العهد القديم وشروحها إلى اللغة الآرامية وقد تم فى القرن السادس أى قبل الهجرة .. ومن المعلوم أنه كان فى سالف الزمان بغض شديد بين السامريين واليهود.

من أجل ذلك لم يعتمد السامريون من التوراة سوى أسفار موسى الخمسة واعتبروها كما هى موحى بها من الله تعالى ولم نعلم بالتأكيد متى تحصلوا على نسخة الأسفار الخمسة، فيظن البعض أنه كان فى سنة ٦٠٦ ق.م أى حينما ابتدأت سنو السبى السبعون . ويظن البعض أن منسى حفيد الياشيب الكاهن العظيم وهو الذى قد تزوج بابنة سنلبط كما جاء ذلك فى سفر نحميا اصحاح١٣ : ٢٨ أحضر هذه الأسفار إلى السامرة حينما نفاه نحميا من أورشليم وأسس هناك هيكلا على جبل جرزيم نحو سنة ٤٩٩ق م

ولا يزال بين أيدى المسيحيين بعض النسخ من توراة السامريين أى أسفار موسى الخمسة باللغة العبرانية الأصلية لكن بحروف مختلفة عن التى تستعملها اليهود وبمراجعة هذه الأدلة والتراجم المتعددة لأسفار العهد القديم عند اليهود والنصارى نجزم ونحتم أن توراة اليوم هى بذاتها التى كانت فى عصر محمد وشهد لها القرآن فى آيات كثيرة وأن القراءات المتعددة للتوراة لا تطعن فى سلامتها ولا تشوش نقاوتها لأنها لا تمس جوهر تعليمها ، واختلاف القراءات مسألة لا بد منها لكل كتاب قديم عظيم كاختلافات قراءات القرآن .

هذا بالنسبة للعهد القديم ، وأما العهد الجديد فان ما كتب فيه لم يكن

من حيث الضبط والعناية ، والدقة والرعاية بأقل حظ من سابقه ، بل كان له مثل ما للأول من الحيطة الشديدة فى الكتابة والنقل والترجمة والكثرة الكاثرة فى عدد نسخه وتراجمه التى غطت مساحة كبيرة من المعمورة .

وقد أثبتت الأبحاث العصرية المتأخرة أن تلاميذ المسيح (الحواريين) قد كتبوا فى عصره مذكرات مفصلة بأقواله وأعماله ، التى يجد القارىء كثيرا منها فى بشارة مرقس خاصة وفى بشارتى متى ولوقا بصفة عامة، إلا أن واقعة صلب المسيح وموته ودفنه وقيامته وصعوده لم يدون منها التلاميذ شيئا إلا بعد صعوده طبعا .

أما كتابة الإنجيل حال حياة المسيح فإنهم لم يروا ضرورة لها لأنهم لم يكونوا فى حاجة إليها أثناء حياته من ناحية ولأنه لم يأمرهم بادىء ذى بدء بتدوين الإنجيل بل أمرهم أن يكرزوا به ليوضع أساسه على شهادة قوم أحياء معاصرين له شهادة شفاهية مشفوعة بدلائل الصدق والاخلاص من ناحية أخرى ، ومضى الأمر على ذلك حتى كانت سنة اثنتين وعشرين أو ثلاث وعشرين بعد صعود المسيح فكتب بولس الرسول الانجيل أى (الخبر السار أو البشارة الطيبة) فى رسالتيه إلى أهل تسالونيكى ومثل هاتين الرسالتين بقية رسائل بولس فى وحدة التعليم فى كل المبادىء التى يتمسك المسيحيون بها إلى اليوم .

لكن لما مضى الجيل المعاصر للمسيح أو كاد مست الحاجة إلى تدوين الانجيل فى الأسفار لصون حقائقه من الطوارىء وإفادة الأجيال الآتية فألهم روح الله القدوس من اختار لإنفاذ هذه المهمة من رسل المسيح

ورفقائهم المقربين منهم فكتب أولا القديس مرقس بشارته قبل خراب أورشليم سنة ٧٠ للميلاد وظن بعضهم أنه كتبها ما بين سنة ٦٥ ، ٦٦ فى مدينة رومية . وكان مرقس رفيقا لرسل المسيح وأحد تلامذته الأولين وكان مشهورا فى الكنائس الأولى ومعروفا عنه بأنه تلميذ بطرس فكتب بشارته بناء على معلوماته الشخصية ومعلومات بطرس ، غير أن روح الله القدوس عصمه من الخطأ وذكره بما عساه يكون قد نسيه ، وألهمه ما يكتب فى تلك الأخبار وما لا يكتب . وكتب متى رسول المسيح بشارته قبل سنة ٧٠ للميلاد . وكتبها لوقا ما بين سنة ٦٠ ، ٧٠ وكتبها يوحنا ما بين سنة ٩٠ ، ١٠٠ أى حينما بلغ من العمر سن الشيخوخة فالذى بين أيدى المسيحيين اليوم بشارتان لرسل المسيح وهما بشارتا متى ويوحنا . وبشارتان لرفقائهم وهما بشارة مرقس — ومن المحتمل أن تكون من إملاء بطرس — وبشارة لوقا رفيق بولس الرسول ، وهذا الأخير يقول فى صدر كتابه إنه فحص واستعلم بالتدقيق عن كل ما كتب من شهود العين . ومما لا شك فيه أنه كتب الإصحاحين الأولين من بشارته حسب شهادة العذراء مريم .

وهنا يقول المؤلف ما نصه : وربما معترض يقول إن هذا كله لا يدل على أن هذه الكتب موحى بها من الله فأجيب نعم ليست موحى بها كالوحى الذى يتصوره المسلمون ويروونه عن القرآن من أنه كان مكتوبا فى اللوح المحفوظ من قبل خلق العالم ونزل إلى سماء الدنيا فى ليلة القدر

ثم أملاه جبريل على محمد نجوما حسب الوقائع والأحوال أن وحيا كهذا يظهر لنا معاشر المسيحيين أنه ليس بالجيد فضلا عن أنه لم يقم دليل على أن القرآن موحى به مثل هذا الوحى كما هو مثبوت فى كتاب « مصادر الإسلام » وعلماء النقد والتفكير يقولون إن فرضنا أن كتاباً مقدساً كتب فى السماء ونزل إلى الأرض على هذه الكيفية .

فلا يمكننا أن نقيم الدليل على أن ذلك الكتاب كتب فى السماء ولا أن له صلة بها وأما الوحى عندنا فهو عبارة عن أن الله إذا أراد أن يعلن لعباده أمراً من الأمور على يد أنبيائه لا يتخذهم كآلات صماء بل يستخدم عقولهم وأذهانهم وذاكرتهم وذكاءهم وأرواحهم فى ما يكتبونه فيكون وحيا (انظر بشارة يوحنا ص ١٦ : ١٣) اهـ .

ثم يتم برهانه هذا بما مفاده أن العهد الجديد قد كتب منه نسخة بالعبرانية فى ما بين سنة ٢٢٠ ، ٢٥٠ ميلادية وأخرى فى سنة ٥٩٧ ميلادية وثالثة فى ما بين سنة ٨٢٠ و ٨٥٢ وهى الآن محفوظة فى المتحف البريطانى تحت رقم ٤٤٤٥ ، ورابعة فى سنة ٩١٦ ميلادية وهاتان النسختان مأخوذتان عن نسخ أقدم منهما بكثير منها نسخة حليل التى كتبت فى سنة ٥٩٧ ميلادية .

ونسخة موخا التى كتبت فى نحو هذا التاريخ . ولا بد على الأقل أن إحدى هاتين النسختين اللتين كتبتا فى القرن السادس الميلادى كانت موجودة فى عصر محمد وليس هذا كل ما كتب من نسخ العهد القديم والجديد بالعبرانية بل هناك نسخ كثيرة منقولة عن نسخ عبرانية أقدم منها

فإن قيل ماذا جرى للنسخ العبرانية القديمة قيل إنهم كانوا عند ما تبلى نسخة من كثرة الاستعمال يحفظونها فى الخزانة حتى إذا مات ربانى مشهور دفنوها معه أو أجهزوا عليها بالحريق خشية الإهانة والاهمال ، وأنه قد كتبت من العهدين القديم والجديد نسخ مأخوذة عن الترجمة اليونانية السبعينية منها النسخة السينائية التى كتبت فى القرن الرابع أو فى بداية القرن الخامس منها النسخة الفاتيكانية التى كتبت فى ما بين نصف القرن الرابع تقريبا ، ومنها النسخة الاسكندرانية التى كتبت مابين نصف القرن الخامس ونهايته ، ومنها النسخة القطونية التى كتبت فى القرن الخامس أو السادس ، ومنها النسخة الامبروسانية التى كتبت فى نصف القرن الخامس ، ومنها ما اكتشف فى دير قديم قرب سوهاج إحدى مدائن صعيد مصر إذ قد عثر بهذا الدير على أربعة أجزاء من نسخة قديمة يرجع تاريخها إلى القرن الرابع تقريبا أو القرن السادس قطعاً يشتمل واحد منها على سفر التثنية ويشوع وآخر على سفر المزامير ، ويشتمل الثالث على البشائر الأربع والأخير على قطع من رسائل بولس الرسول ، ومنها النسخة البيزانية التى كتبت فى بداية القرن السادس . ومنها النسخة الإفرايمية التى كتبت فى أوائل القرن الخامس

كل هذه النسخ قد وجدت من قبل عصر محمد وفى عصره وإذا أراد الباحث أن يضاهى بين تلك النسخ القديمة ونسخة اليوم فما عليه إلا أن يزور مكاتب أوربا الشهيرة ويقابل هذه بتلك فسوف يجد أن نسخة العهد القديم اليونانية قد طبعت عن هذه النسخ القديمة المذكورة ، وأنه لافرق بينها وبين الأصل العبرانى إلا فى بعض أوجه القراءات التى ينشأ الاختلاف فيها عادة عن خطأ بعض المترجمين فى ترجمة كلمة صعبة على الفهم ، وأن لا فرق بين

نسخ اليوم وبين الترجمة السبعينية الأصلية إلا فى أعمار بعض الآباء الأولين المذكورين فى إصحاحى ٥ و١٠ من سفر التكوين ، وتلك الاختلافات كلها لا تمس جوهر الكتاب فى أدنى شيء ، وأن نسخة العهد الجديد اليونانية المتداولة اليوم معززه بالنسخ اليونانية الأصلية وقد كتبت على رقوق لا على ورق ، وعدا هذه النسخ القديمة الكبيرة فإنه توجد نسخ صغيرة مشتملة على أجزاء متفرقة من أسفار العهد الجديد بالأصل اليونانى من أقدمها عهداً نسخة مخطوطة على شقة واحدة من البردى اكتشفت حديثاً فى أطلال البهنسة وهى تشتمل على الإصحاح الأول والإصحاح العشرين من إنجيل يوحنا وقد كتبت ما بين سنة ٢٠٠ و ٣٠٠ ميلادية .

ولاكتشافى سوهاج والبهنسا هذين دلالتهما الكبيرة على صدق مايدعى من سلامة الكتاب المقدس لأنهما كانا تحت التراب قبل عصر محمد صلى الله عليه وسلم بمئات من السنين لم يمسسهما أحد بسوء ، فلا يستطيع بشر بالغاً مابلغ من التعصب أن يدعى أنهما مزورتان بعد نزول القرآن أو محرفتان فى أيام محمد صلى الله عليه وسلم أو بعده ، ويبلغ عدد النسخ المنمرة المشتملة على العهد الجديد كله أو على بعضه ٣٨٩٩ نسخة ونمرت لتسهيل معرفتها على طلاب اللاهوت ، وتوجد نسخ أخرى غير منمرة لاتقل عن ألفى نسخة .

هذا عن نسخ العهد الجديد بالأصل اليونانى — وهناك نسخ أخرى منقولة عن « باشيطاز السريانية » وعن غيرها من اللغات الأخرى كاللغة القبطية القديمة واللاتينية والأرمنية بالإضافة إلى الترجمة العربية التى ترجمها

عن السريانية ابن الطبيب المتوفى سنة ١٠٤٣ وسماها « دياتيسرون » (أى اتفاق البشيرين) إلى آخر ما لهذا الكتاب من ترجمات مختلفة بعضها كان قبل محمد صلى الله عليه وسلم بمئات السنين وبعضها الآخر كان في حياته ، ومنها ماتم من بعد عصره بزمن طويل وكلها متفقة متحدة لايختلف قديمها عن حديثها فمن أين لهم ماقالوه من أن الكتاب المقدس قد أصيب قبل زمن محمد صلى الله عليه وسلم أو أثنائه أو من بعده بالتحريف والتبديل .. ؟

هذا هو فحوى مابرهن به المؤلف على صدق ما ادعاه من سلامة الكتاب المقدس وبراءته من كل سوء وكون أسفاره المتداولة بين أيدينا اليوم هي بعينها التي كانت في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

دحض هـذه الحجج وتفنيدها :

ورداً عليه نقـول :

بادىء ذى بدىء أن يعلم الـكاتب وغيره من المدافعين عن الـكتاب المقـدس أنه لا بد لـكون أى سفر من الأسفار سماوياً واجب التسليم أن يثبت أولا بدليل تام أن هـذا السفر كتب بواسطه النبي الفـلانى ووصل بعـد ذلك إلينـا بالسند المتصـل بلا تغيـير ولا تبديل ، والاستناد إلى شخص ذى إلهـام بمجرد الظن والوهم لا يكفى فى إثبات أنه من تصنيف ذلك الشخص ، وكذلك مجرد ادعاء فرقة أو فرق لا يكفى فيه ألا ترى أن سفر المشاهدات والسفر الصغير للتـكوين وسفر المعراج ، وسفر الأسرار ، وسفر تستمنت وسفر الأقرار هـذه الأسفار منسوبة إلى موسى عليه السلام ، وكذلك السفر الرابع لعزرا منسوب إلى عزرا .

وسفر المعراج أشعيا ، وسفر مشاهدات أشعيا منسوبان إلى أشعيا . وسوى السفر المشهور لأرميا سفر آخر منسوب إليه وعدة ملفوظات منسوبة إلى حبقوق وعدة زبورات منسوبة إلى سليمان عليه السلام.

ومن أسفار العهد الجديد سوى الأسفار المذكورة أسفار جاوزت سبعين منسوبة إلى عيسى ومريم والحواريين وتابعيهم ، والمسيحيون الآن يدعون أن كلا من هذه الأسفار من الأكاذيب المصنوعة .

واتفق على هذه الدعوى كنيسة كريك والكاثوليك والبروتستنت وكذلك السفر الثالث لعزرا منسوب إلى عزرا وعند كنيسة كريك جزء من العهد العتيق مقدس واجب التسليم ، وعند كنائس الكاثوليك والبروتستنت من الاكاذيب المصنوعة وكذلك سفر باروخ . وسفر طوبيا وسفر يهوديت وسفر وزدم ، وسفر ايكليزياستكس وسفر المكابيين وجزء من سفر استير واجبة التسليم عند الكاثوليك وواجبة الرد عند البروتستنت :

فاذا كان الامر كذلك فلا نعتقد بمجرد استناد سفر من الاسفار إلى نبي أو حوارى انه إلهامى أو واجب التسليم بل لابد لمثل هذه الدعاوى من دليل مؤكد يثبتها وينفى الشك عنها .

ولا يكون هذا الدليل إلا الاسانيد المتصلة اتصالا تاما بنقل العدل الضابط عن نقله من أولها إلى منتهاها دون ما شذوذ ولا علة ، فاذا لم يتوفر مثل هذا فى نسبة سفر ما إلى نبى ما فلا يعتقد به ولا يوثق فيه وليس

عند القوم شيء من هذه الأسانيد ولا مما هو مقارب لها بل كل ماعندهم في هذا الأمر هو الظن والتخمين والظن لا يغني في مثل هذا المجال شيئا .
قال صاحب الاظهار — بعد ما ذكر نحو ما كتبناه — « طلبنا مرارا من علمائهم السند المتصل فما قدروا عليه ، واعتذر بعض القسيسين في محفل المناظرة التي كانت بيني وبينهم ، فقال : إن سبب فقدان السند عندنا وقوع المصائب والفتن على المسيحيين إلى مدة ثلثمائة وثلاث عشرة سنة ؛ وتفحصنا في كتب الأسناد لهم فما رأينا فيها غير الظن والتخمين ، يقولون بالظن ويتمسكون ببعض القرائن ، وقد قلنا إن الظن في هذا الموضوع لا يغني شيئا فما دام لم يأتوا بدليل شاف وسند متصل فمجرد المنع يكفينا وإيراد الدليل في ذمتهم لا في ذمتنا ا . هـ »[1]

ومع ذلك فنقول توضيحا لهذه الحقيقة وتبيينا لها أنه لا سند لكون هذه التوراة المنسوبة إلى موسى عليه السلام من تصنيفه لما يأتي :—

أولا : أثبت التاريخ الصحيح أن تواتر هذه التوراة منقطع قبل زمان يوشيا بن آمون والنسخة التي أوجدت بعد ثماني عشرة سنة من تولية الحكم لا اعتماد عليها يقينا لأنها ملفقة وناقصة، ومع كونها لا يعتمد عليها فقد ضاعت هي الأخرى قبل حادثة بختنصر ، وفي حادثته محيت التوراة وسائر كتب العهد العتيق من صفحة العالم بالكلية ، ولما كتب

---

(١) اظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندى ط دار التراث العربي ص ٨٣ : ٨٤ .

عزرا هذه الأسفار — على زعمهم — مرة أخرى ضاعت فى حادثة أنتيوكس على ما بيناه فى بحثنا هذا (١)

ثانيـا : توجد فى التوراة آيات واصحاحات لا يستطيع أحد أن يدعى أنها من كلام موسى عليه السلام ، والنصارى يقولون فى مثل هذه الآيات أو الاصحاحات بالظن والتخمين لعلها من ملحقات نبى من الأنبياء دون تحديد لزمن هذا الإلحاق (اسم النبى الملحق من تلك الاصحاحات ما جاء فى سفر أستير من الاصحاح العاشر إلى الاصحاح السادس عشر حيث قبله جمهور النصارى لمدة ألف ومائتى سنة حتى ظهرت فرقة البروتستنت فردوا حكم أسلافهم على هذه الاصحاحات وعلى ثمانية أسفار أخرى وقالوا إنها ليست إلهامية وليست واجبة التسليم) (٢) فلو كانت من تصنيف موسى عليه السلام وتواتر نقلها عنه ما اختلفوا فيها إلى درجة القبول والرد ، ومن هذه الفقرات قوله فى الفقرة الحادية والثلاثين من الاصحاح السادس والثلاثين من سفر الخليقة « وهؤلاء هم الملوك الذين ملكوا فى أرض أدوم قبلما ملك ، ملك لبنى اسرائيل فلا يمكن أن تكون هذه الفقرة من كلام موسى عليه السلام ، لأنها تدل على أن المتكلم بها موجود بعد زمان قامت فيه سلطنة بنى اسرائيل وأول ملوكهم شاول ، وكان بعد موسى عليه السلام بثلثمائة وست وخمسين سنة ، قال آدم كلارك فى المجلد الأول من تفسيره ذيل هذه الآية

(٢) انظر ص ٥٢ وما بعدها .

(٣) الأسفار المردودة عند البروتستنت هى ما بيناه فى هذا البحث .

غالب ظني أن موسى عليه السلام ما كتب هذه الآية والآيات التي بعدها إلى الآية التاسعة والثلاثين ، بل هذه الآيات هي آيات الاصحاح الأول من السفر الأول من سفر أخبار الأيام وأظن ظنا قويا قريبا من اليقين أن هذه الآيات كانت مكتوبة على حاشية نسخة صحيحة من التوراة فظن الناقل أنها جزء من المتن فأدخلها فيه . فاعترف هذا المفسر بالحاق الآيات التسع ، وعلى اعترافه يلزم أن أسفارهم كانت صالحة للتحريف ، لأن هذه الآيات التسع ؛ مع عدم كونها من التوراة دخلت فيه وشاعت بعد ذلك في جميع النسخ .

ثالثـا : من طالع المزامير وسفر نحميا وسفر أرمياء وسفر حزقيال علم يقينا أن كاتب التوراة غير موسى عليه السلام وأن هذا الكاتب قد جمع ما كتب من الروايات والقصص المشتهرة بين اليهود ثم ميز بين هذه الأقوال فما كان في زعمه قول الله أو قول موسى أدرجه تحت قال الله أو قال موسى ، وعبر عن موسى في جميع المواضع بصيغة الغائب فلو كانت التوراة من تصنيفات موسى لعبر عن نفسه بصيغة المتكلم ولو في موضع من المواضع لأن التعبير بصيغة المتكلم يقتضي زيادة الاعتبار والذي يشهد له الظاهر مقبول ما لم يقم على خلافه دليل قوي ومن ادعى خلاف الظاهر فعليه البيان .

رابعا : في التوراة من الاغلاط ما يحمل الباحث المنصف يطمئن إلى أنها ليست من تصنيف موسى عليه السلام لأن كلام موسى سلام الله عليه أرفع من أن يكون كذلك من هذه الأغلاط ما اعترف به المؤلف

نفسه ونسبه إلى المترجمين كالغلط فى نسب الآباء الأقدمين وما شاكل ذلك ومنها ما أحصاه بعض ذوى الفكر والنظر من كثرة بحثهم فى التوراة وفحصهم لما فيها كقوله فى الفقرة الثانية من الاصحاح الثالث والعشرين من سفر الاستثناء « ومن كان ولد زانيه لا يدخل جماعة الرب حتى تمضى عليه عشرة أحقاب » فهذا غلط وإلا يلزم أن لا يدخل داود عليه السلام ولا آباؤه إلى فارص ابن يهوذا فى جماعة الرب ، لأن فارص ولد زنى كما جاء فى الاصحاح الثامن والثلاثين من سفر التكوين وداود عليه السلام البطن العاشر منه كما يظهر من نسب المسيح المذكور فى انجيل متى ولوقا (٢٧) فكيف يكون ذلك كذلك مع أن داود عليه السلام هو رئيس الجماعة والولد البكر لله على وفق الزبور ؟

هذا هو حال التوراة التى هى رأس الملة الاسرائيلية ؛ وليس مافى العهد القديم من أسفار أخرى بأحسن حال من التوراة ، فسفر يشوع مثلا الذى هو السفر الثانى بعد التوراة لم يظهر لهم بالجزم اسم مصنفه ولا زمان تصنيفه بل افترقوا فيه إلى خمسة آراء :

أحدها أنه تصنيف أرمياء ، وبين يشوع وأرمياء ثمانمائة وخمسين سنة تقريبا ، الأمر الذى يدل دلالة واضحة على فحش اختلافهم فى مصنف هذا السفر وتباعد آرائهم فى تعيينه ، وعلى أنهم يقولون ما يقولونه عن ظن وتخمين لا عن علم ويقين وعلى عدم صحة سند هذا السفر كغيره من سائر أسفار التوراة .

ورابعها أنه من تصنيف شخص مجهول وأن مصنفه هذا ينقل بعض

حالات هذا السفر عن سفر اختلفت التراجم فى بيان اسمه ففى بعضها سفر اليسير وفى بعضها سفر ياصار وفى بعضها سفر ياشر وفى التراجم العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤ سفر الأبرار ، وفى الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ سفر المستقيم ، ولم يعلم حال هذا السفر المنقول عنه ، ولا حال مصنفه ، ولا حال تصنيفه غير أنه يفهم من الفقرة الثامنة عشرة من الإصحاح الأول من سفر صموئيل الثانى أن مصنفه معاصر لداود عليه السلام أو بعده فعلى هذا الغالب أن يكون مؤلف سفر يشوع بعد داود عليه السلام .

وخامسها : أن هذا السفر قد كتب قبل السنة السابعة من جلوس داود عليه السلام كما يلحظ ذلك من الآيات ٦٣ إصحاح ١٥ من هذا السفر . و ٦ و ٧ و ٨ من الإصحاح الخامس من سفر صموئيل الثانى وفوق هذا فإن بين هذا السفر وسفر الاستثناء من التناقض فى بعض الفقرات ما يدل على أن هذا السفر ليس من تصنيف يشوع عليه السلام ولا من تصنيف شخص إلهامى آخر لأنه لو كان من تصنيف يشوع للزم عليه عدم صحة نسبة التوراة المشهورة إلى موسى عليه السلام ويخالفها يشوع وهو الذى كان معايشاً لمعاملاتها ولأنه لو كان من تصنيف شخص إلهامى آخر للزم عليه وقوع الغلط فى كلام الملهم وهو عندهم معصوم من ذلك فهو على كلتا الحالين غير صحيح النسبة إلى يشوع أو إلى غيره ممن نسبوه إليه ظناً وتخميناً .

وسفر القضاه مختلف أيضاً فى مصنفه وفى زمان تصنيفه فقال بعضهم إنه من تصنيف فينحاس وقال بعضهم إنه من تصنيف حزقيا وقال بعضهم إنه

من تصنيف أرمياء وقالت طائفة إنه من تصنيف حزقيال وقالت طائفة أخرى إنه من تصنيف عزرا وبين عزرا وفينحاس أزيد من تسعمائة سنة فلو كان عندهم سند متصل ما وقعوا فى هذا الاختلاف الفاحش ، ومن عجب أن اليهود لا يقرون هـذه الأقوال ولا يعترفون بهـا وينسبون هـذا السفر وجماً بالغيب إلى صموئيل .

وفى أسـفار راعوث ونحميا وأيوب من الاختلاف الشديد فى أسماء مصنفيها وأزمان تصنيفها ما يدل دلالة كاملة على أن أهل الـكتاب ليس عندهم سند متصـل لأسفارهم بل يقولون بالظن والتخمين ما يقولون ، وليست مزامير داود بأحسن حالا من الأسـفار السالفة بل وقع الخلاف الفاحش فى تعين مصنفها وفى زمان جمعها فى مجلد واحد وفى كون أسماءها إلهاميه أو غير إلهاميـة فرأى بعض قـدماء المسيحيين كما أكستائن وكريز استم أن هذه المزامير كلها من تصنيف داود عليه السلام ، وأنكر ذلك بعضهم والآخر كجيروم ويوس بيس وغيرهما . ورأوا أن أزيد من ثلاثين مزموراً من هـذه المزامير لم يعلم اسم مصنفها وأن عشرة مزامير (من التسعين إلى التاسع والتسعين) هى من تصنيف موسى عليه السلام ، وأن واحد وسبعين مزموراً من تصنيف موسى داود عليه السلام ، وأن المزمور الثامن والثمانين من تصنيف هيمان الأزراحى . والمزمور الثـانى والسبعين والمائة والسابع والسبعين من تصنيف سليمان عليه السلام وثلاثة مزامير من تصنيف يدثون وأن اثنى عشر مزموراً من تصنيف اساف ، ويرى بعضهم أن المزمور الرابع والسبعين والتاسع والسبعين ليس من تصنيفه ونسبوا أحد عشر مزموراً من هذه المزامير إلى أبناء قورح الثلاثة ،

وذهب القدماء من علماء اليهود إلى أن هذه المزامير من تصنيف آدم ، وإبراهيم وموسى وآساف وهيمان ويدثون ، وأبناء قورح الثلاثة .

وأما داود فجمعها فى مجلد واحد وعلى هذا فداود عليه السلام عندهم هو جامع المزامير فقط لا مصنفها ، والمختار عند المتأخرين من علماء اليهود وكذا عند جميع المفسرين من النصارى أن مصنفى المزامير هم : موسى وداود وسليمان وآساف وهيمان وايثان ويدثون وأبناء قورح الثلاثة وكما اختلفوا فى مصنفى المزامير فقد اختلفوا أيضا فى جامعها وأزمان تصنيفها وكون أسمائها الهامية أم لا فقال بعضهم جمعت فى زمان داود وقال آخرون جمعها أصدقاء حزقيا فى زمانه ، وقال بعضهم بل جمعت فى أزمنة مختلفة وزعم بعضهم أنها الهامية وزعم آخرون أن الذى سماها بهذه الأسماء شخص من غير الأنبياء .

ولم تسلم باقى أسفار العهد القديم كأمثال سليمان والجامعة ونشيد الأنشاد وأستير ودانيال وأرمياء مما وقع فى نظائرها من الاختلافات الفاحشة والآراء المتباينة فى نسبة كل سفر إلى مصنفه وبيان زمن تصنيفه وإلحاق فقرات به وحذف فقرات منه إلى غير ذلك مما يقع فيه عادة من لا اعتماد له إلا على الظن والتخمين .

هذا عن العهد القديم .

وأما الأناجيل : فانها لم تخل هى الأخرى من الاختلافات البينة فى

نسبتها إلى مؤلفيها فقدماء النصارى كافة والكثيرون من متأخريهم على أن إنجيل متى كان باللسان العبرانى وفقد بسبب تحريف الفرق المسيحية والموجود الآن ترجمته ، ولا يوجد عندهم إسناد هذه الترجمة ، حتى اسم المترجم أيضا لا يعلم إلى هذا الحين ، كما اعترف به جيروم من أفاضل قدمائهم ، فضلا عن علم أحوال المترجم ، نعم يقولون رجما بالغيب : لعل فلانا أو فلانا ترجمه ولا يتم هذا على المخالف لأن الظن لا يثبت سند الكتاب إلى مصنفه ومن هؤلاء الذين قالوا فى هذا الأنجيل بالظن والتخمين المؤلف نفسه حيث يقول « نعم ظن بعض العلماء فى حق إنجيل متى فقط أنه لعله كان باللسان العبرانى أو العرامائى ثم ترجم فى اليونانى لكن الغالب أن هذا أيضا كتبه متى الحوارى باللغة اليونانية .

فاسناد هذا الإنجيل إلى متى كما ترى ليس قائما عنده على سند صحيح متصل بل يعتمد فيه على الظن الأغلب والظن كما قلنا غير مرة لا يغنى فى مثل هذا الأمر شيئا فمن أين له ما يدعيه من أن الكتاب المقدس قد كتب بالإلهام ونقل إلينا باليقين الذى لا شك فيه وكما أن إنجيل متى لم يسلم من الشك فكذلك لم تسلم منه باقى الأناجيل الأخرى فقد صرح جيروم فى كتبه أن بعض العلماء المتقدمين كانوا يشكون فى الإصحاح الأخير من انجيل مرقس وفى الاصحاحين الأولين وفى بعض الفقرات من الاصحاح الثانى والعشرين من انجيل لوقا وما كان هذان الاصحاحان مثبتين فى نسخة فرقة مارسيونى الأمر الذى يؤكد شك الأقدمين فيهما

ولم يثبت بالسند الكامل أن الأنجيل المنسوب إلى يوحنا من تصنيفه لما يأتى :

أولا : قوله فى الفقرة الرابعة والعشرين من الاصحاح الحادى والعشرين من هذا الإنجيل « هذا هو التلميذ الذى يشهد بهذا وكتب هذا ونعلم أن شهادته حق » يدل على أن كاتبه غير يوحنا لأنه عبر عن نفسه بكلمة نعلم وعن من ينقل عنه باسم الإشارة وضمائر الغيبة فى باقى الفقرة .

ثانيا : لو كان هذا الإنجيل من تصنيف يوحنا حقا لأقر بذلك أرينوس أمام من أنكروا نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا من أبناء القرن الثانى وهو تلميذ بوليكارب الذى هو تلميذ يوحنا الحوارى .

لكن أرينوس لما لم يسمع شيئا من أستاذه ، بوليكارب عن إنجيل يوحنا هذا لم ينكر قول من قالوا بأنه ليس من تصنيف يوحنا ويبعد جدا أن يقال لعل بوليكارب أخبر أرينوس بتصنيف يوحنا لانجيله هذا فنسى ما أخبر به لأن أرينوس لم يكن ينسى أدنى كلام أستاذه أهمية حتى يقال إنه نسى ما أبلغه به أستاذه عن مثل هذا الأمر العظيم . وأبعد منه أن يقال لعله كان حافظا لكنه لم ينقل ما حفظ عن هذا الامر فى مقابلة خصومه لأن المسألة هنا مسألة دين وعقيدة يترتب على عدم بيان الحق فيها ضياع رسالة كاملة فهل يسكت أرينوس عن بيان الحق فى مثل هذه المسألة — وهو يعلمه — خوفا من سطوة خصومه أو عقابهم ؟
ومن هذا يعلم ما يأتى :

(أ) أننا لسنا وحدنا الذين تنكر تصنيف يوحنا لهذا الإنجيل بل أنكره كذلك بعض أبناء القرن الثانى الميلادى رغم قربهم الشديد من زمن هذا الانجيل وصنفه .

(ب) لم يستطع المعتقدون فى صحة نسبة هذا الانجيل إلى يوحنا أن يثبتوا صدق معتقدهم هذا أمام منكريه فدل هذا كله على أنه لا صحة لما زعم من أن يوحنا الحوارى هو بالقطع مصنف هذا الانجيل ، على أنه قد ثبت عن فاستس أعظم علماء فرقة (مانى كيز) أنه كان يصيح فى القرن الرابع بقوله « ما صنف هذا العهد الجديد المسيح ولا حواريوه ، بل صنفه رجل مجهول الاسم ، ونسبه إلى الحواريين ورفقائهم ليعتبره الناس ، وآذى المريدين لعيسى إيذاءاً بليغاً بأن ألف الكتب التى فيها الاغلاط والتناقضات .

ثالثا : هناك نقول كثيرة عن عمالقة العلم فى النصرانية خاصة وفى الأديان عامة تؤكد أن هذا الانجيل ليس من تصنيف يوحنا وينسبه بعضها إلى أحد طلبة مدرسة الاسكندرية وينسبه بعضها الآخر إلى أسماء مجهولة الهوية ، وأيا ما كان الأمر فان هذه النقول تضع علامة شك بارزة فى نسبة هذا الانجيل إلى يوحنا .

من تلك النقول ما ذكره فى كتاب كاثوليك هرلد طبعة ١٨٤٤ مجلد ٧ ص ٢٠٥ من أن استيادلين قد كتب فى كتابه أن كاتب انجيل يوحنا طالب من طلبة مدرسة الاسكندرية بلا ريب ، ومنها ما ذكره برطشنيدر من أن هذا الانجيل كله ورسائل يوحنا ليست من تصنيفه بل صنفها واحد فى ابتداء القرن الثانى

ومنها ما قاله المحقق المشهور كرونيس من أن هذا الإنجيل كان عشرين اصحاحا فألحقت كنيسة أفسوس به الاصحاح الحادى والعشرين بعدموت يوحنا ، ومنها ماثبت من أن جمهور العلماء قد رد إحدى عشرة فقرة من الاصحاح الثامن من هذا الإنجيل وأن هذه الفقرات التى ردها العلماء لم تكن موجودة فى الترجمة السريانية فلو كان لأى من هذه الأناجيل سند صحيح متصل مااختلفوا فى أمرها كل هذا الاختلاف الذى يشكك فيها أدنى الناس بصراً بالأمور ، بله العقلاء والعلماء فهل بعد هذا إذا طبعت هذه الكتب وانتشرت فى أرجاء الدنيا وأنحائها يمحو انتشارها هذا وتداولها ما لحق بها قبل نشرها من أخطاء وأوهام واختلاف فى صحة نسبتها إلى مؤلفيها .

إن المؤلف قد أراد بذكر عدد ترجمات الكتاب المقدس وسعة انتشاره أن يغطى حقائق هامة لم يغفلها التاريخ ولم تمح من صفحة الزمن وبالتالى فلن يغطيها أبدا سعة انتشار الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد . . . بل ستظل تلاحقه هذه الحقائق أينما كان مادامت فى الدنيا عقول تفكر وقلوب تنبض وأعين تتفحص فى بواطن الكتب ومكنون التواريخ .[1]

بقى أن نقول ردا على قول الكاتب (وربما يقول معترض إن هذا كله لا يدل على أن هذه الكتب موحى بها من الله فأجيب نعم ليست موحى بها كالوحى الذى يتصوره المسلمون ويروونه عن القرآن من أنه

---

(١) انظر ما جاء مفصلا عن أحوال العهد القديم والجديد فى كتاب اظهار الحق للشيخ رحمت الله الهندى ص ٦١ ، ٨٥ : ١٠٥ ط دار التراث العربى تحقيق الدكتور أحمد السقا ..

كان مكتوبا فى اللوح المحفوظ من قبل خلق العالم ونزل إلى سماء الدنيا فى ليلة القدر ثم أملاه جبريل على محمد نجوما حسب الوقائع والأحوال أن وحيا كهذا يظهر لنا معاشر المسيحيين أنه ليس بالجيد فضلا عن أنه لم يقم دليل على أن القرآن موحى به مثل هذا الوحى كما هو مثبوت فى كتاب « مصادر الإسلام » وعلماء النقد والتفكير يقولون أن فرضنا إن كتابا مقدسا كتب فى السماء ونزل إلى الأرض على هذه الكيفية فلا يمكننا أن نقيم الدليل على أن ذلك الكتاب فى السماء ولا أن له صلة بها وأما الوحى عندنا فهو عبارة عن أن الله إذا أراد أن يعلن لعباده أمراً من الأمور على يد أنبيائه لا يتخذهم كآلات صماء بل يستخدم عقولهم وأذهانهم وذاكرتهم وذكاءهم وأرواحهم فيما يكتبونه فيكون وحيا (انظر بشارة يوحنا ص١٦ : ١٣) . اهـ.

بقى أن نقول ردا على هذا الكلام : إن الوحى بالقرآن الذى اعتبره الكاتب غير جيد عنده وعند أمثاله من النصارى يقوم على أساس ثابت متين لا يدع مجالا لشك شاك أو ريب مرتاب لأنه إعلام خفى يصدر من الله تعالى لأنبيائه عليهم الصلاة والسلام بواسطة ملك شديد القوى هو جبريل عليه السلام الذى قال عنه فى القرآن « قل من كان عدوا لجبريل فانه نزل على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين » البقرة ٩٧ .

وقال عنه أيضا « وأنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين » الشعراء ١٩٢ : ١٩٥ .

وقال عنه كذلك « علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الأعلى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى أفتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى » النجم الآيات من ٥ : ١٤

ومفهوم هذه الآيات أن جبريل عليه السلام ما كان ينزل بالآية أو الآيات أو السورة القرآنية الكاملة إلا باذن من الله عز وجل فى الوقت الذى يريده سبحانه وفى المكان الذى يشاؤه عز سلطانه ، وأن هذا الملك كان شديد القوى ذا حكمة وحصافة ، وكان شديد القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أن فؤاده الشريف لم يكن يجهله حين يراه أبدا ، بل كان عليه الصلاة والسلام يعرف جبريل كما يعرف أبناءه وذويه بل معرفته له أشد وذلك بواسطة العلم الضرورى الذى أودعه الله فيه كى لا يلتبس عليه الملك بالشيطان . كل هذا ليتمحص الحق من الباطل ويميز الخبيث من الطيب ويزول الخلط بين القرآن وغيره حتى يخرج هذا الكتاب المعجز الخالد إلى الناس صافيا شافيا كافيا لا زيادة فيه ولا نقصان ولا تحريف فيه ولا تبديل ، ولا باطل يأتيه من بين يديه أو من خلفه لأنه تنزيل من حكيم حميد قال تعالى عن القرآن « وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » فصلت ٤١ : ٤٢ .

وكان صلى الله عليه وسلم من شدة اهتمامه بما يلقى عليه يعجل بقراءته أثناء وحيه إليه ويحرك لسانه به خشية أن ينسى شيئا منه فقال له ربه عزوجل

« ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليـك وحيه وقـل رب زدنى علـماً » طه ١١٤ .

وقال سبحانه « لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرءانه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه » القيامة ١٦ : ١٩ .

وغنى عن البيان أن فى هذا النص دلالة واضحة على تـكفل الله عز وجل بجمع القرآن واقرائه وبيانه للنبى ﷺ ، وما قاله المؤلف وعلماء النقد وشككوا به من أن مثل هذا الكتاب لا يمكن أن يقام دليل على أنه كتب فى السماء أو أن له صلة ما بها مردود عليهم لأن الدليل على صدق ذلك ووقوعه هو قول النبى صلى الله عليه وسلم وبلاغه وأكبر دواعى تصديق النبى صلى الله عليه وسلم فيما قال وبلغ هو تاريخه القديم الذى أثبت أنه لم يكذب فى طفولته ولا فى شبابه قط حتى لقبوه بالصادق الأمين فما كان ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله ، ومعجزاته الباهرات حسية كانت أو معنوية ، فانها كلها تشهد بأن محمدا صلى الله عليه وسلم صادق فى دعوى النبوة والرسالة ، وأى القرآن نفسه الذى تحدى الله به الإنس والجن فقال « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هـذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » الإسراء ٨٨ .

فهل بعد هذا يقال لا يمكننا أن نقيم الدليل على أن هذا الكتاب كتب فى السماء أو أن له صلة بها ؟

أما كون القرآن كان فى اللوح المحفوظ قبل خلق العالم فذلك أمر

نعلمه من القرآن نفسه حيث يقول تعالى « إنه لقرآن كريم فى كتاب مكنون » الواقعة ٧٧ ، ٧٨.

ويقول سبحانه « بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ » البروج ٢١ ، ٢٢

وأما كونه نزل إلى سماء الدنيا فذلك أمر قد ذكرته بعض الآثار التى لم تبلغ الغاية فى الصحة ولا يعنينا هذا الأمر فى شىء إنما الذى يهمنا هو أن القرآن قد أوحى الله به إلى نبيه بواسطة جبريل يقظة لا مناما وتبليغا لا إلهاما .

وأما كونه نزل على النبى صلى الله عليه وسلم منجما حسب الوقائع والأحوال فتلك حقيقة لا يستطيع أحد انكارها ، وقد تحدث القرآن عن علتها فقال « وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا » الفرقان ٣٣ .

والوحى بمفهومه السالف خاصا بالنبى محمد صلى الله عليه وسلم بل هو عام لجميع الرسل بما فيهم عيسى عليه السلام كما أخبر الله عز وجل حيث يقول « إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده » النساء ١٦٣

ويقول أيضا « ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين » الزمر ٦٥

أما الوحى بمفهومه المتعارف عليه عند النصارى فهو مدعاة للخبط والخلط ، والتلبيس والتدليس ، وفرصة متاحة لمن شاء أن يقول ويكتب ما يشاء مدعيا أنه أحد الملهمين الذين استخدم الله عقولهم وأرواحهم فى كتابة ما يراد تدوينه وعصمهم من الخطأ فيما يكتب ومن هذا الباب الواسع

لمفهوم الوحي عند النصارى دخلت على كتابهم المقدس أباطيل كثيرة وأساطير جمة ، ولو أنهم فهموا الوحي فهما صحيحا ووقفوا عنـد مدلول الـكلمة وتأملوا فى معناها تأملا حقيقيا لعصموا كتابهم من أخطاء أدعياء الإلهام وأوهام المبطلين ذوى المطامع والأحلام .

ولا حجة للـكاتب فيما جاء في الفقرة الثالثة عشرة من الاصحاح السادس عشر من انجيل يوحنا حيث يقول « وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتـكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتـكلم به ويخبركم بأمور آتية » لأن مدلول هذا الـكلام أن روح الحق لا يتـكلم من عند نفسه بل يخبر من ينزل عليهم بما يسمعه من الله تعالى وهذا المعنى ينطبق تمام الانطباق على جبريل عليه السلام إذ هو الذى يسمع ما يسمع من ربه ويبلغه لمن يؤمر بتبليغه له من الأنبياء وإذا كان قد سماه يوحنا روح الحق نقلا عن عيسى عليه السلام فان الله سبحانه قد سماه فى القرآن بروح القدس والروح الأمين، والروح فقال تعالى (وأيدناه بروح القدس) البقرة آية ٢٥٣ . وقال سبحانه (نزل به الروح الأمين على قلبـك لتـكون من المنذرين) الشعراء ١٩٢ ، وقال عز اسمه (تعرج الملائـكة والروح إليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فاصبر صبرا جميلا) المعارج آية ٤ ، ٥ وقال أيضا (يوم يقوم الروح والملائـكة صفا لا يتـكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا) النبأ ٣٨ .

هذا هو معنى عبارة يوحنا كما يفيده مدلول ألفاظها ، وهـذا هو

ما ينطبق عليه ذلك المعنى كما تؤكده الآيات القرآنية كلها وبذا يكون الوحى متحدا لجميع الأنبياء والرسل لا يختلف فى ذلك الأمر محمد صلى الله عليه وسلم عن عيسى أو موسى أو إبراهيم عليهم السلام .

أما أن يجعل معنى عبارة يوحنا السالفة أن الله يستخدم عقول أنبيائه وذكاءهم فيكتبون ما يشاءون من عند أنفسهم لا من عند الله تعالى فذلك ما لا يقول به أحد من المنصفين . ولا تعطيه ألفاظ العبارة الإنجيلية التى أحالنا الكاتب عليها .

على أن القول بعصمة الأنبياء والحواريين من الخطأ فى التبليغ والتحرير وإن جاز عليهم السهو والنسيان فى جميع الأمور منقوض بما جاء فى الإصحاح الثالث عشر من سفر الملوك الأول عن حال النبى الذى جاء بأمر الله من يهوذا إلى (يربعام) وفحواه :

أن أبناء هذا النبى الشيخ الذى كان يسكن فى بيت ايل قد قصوا على أبيهم أعمال رجل الله وما قاله للملك فسألهم أبوهم عن طريقة فدلوه عليها فذهب إليه وطلب منه أن يعود معه إلى البيت ليأكل خبزا ويشرب ماء فقال له رجل الله لا أقدر لأن الرب قال لى لا تأكل خبزاً ولا تشرب هناك ماء . ولا ترجع سائراً فى الطريق الذى ذهبت فيه . فقال له أنا أيضاً نبى مثلك وقد كلمنى ملاك بكلام الرب قائلا ارجع به معك إلى بيتك فيأكل خبزاً ويشرب ماء كذب عليه فرجع معه وأكل خبزاً فى بيته وشرب ماء .

فلما فعل ذلك عاقبه الله بأن جعل أسداً يفترسه فى الطريق بعد عودته من بيت النبى الأول . وعندما علم بأمره ذلك النبى الشيخ ذهب إليه وأتى بجسده لينوح عليه[١] .

والمتأمل فى هذه الفقرات يجد أنه قد أطلق لفظ النبى على هذا الشيخ فى خمسة مواضع وأنه ادعى النبوة فى الفقرة الثامنة عشرة من تلكم الفقرات . وفى الفقرة العشرين ثبت أنه نبى حقا وهذا النبى الشيخ الصادق النبوة قد افترى على الله وكذب فى التبليغ وخدع رجل الله المسكين وألقاه فى غضب الرب وأهلكه الأمر الذى يدل دلالة قاطعة على عدم عصمة الأنبياء فى التبليغ أيضا .

إذ لو كان هذان الرجلان أو أحدهما معصوما فى التبليغ والتحرير ما كذب أحدهما على صاحبه مدعيا أن ما يقوله له إنما هو كلام الرب ، وما تردد الآخر فى تنفيذ ما تأكد أنه كلام الله إليه لكن ما أثبته هذا الإصحاح أن أحدهما كذب فى ادعائه ما أوصاه الله به فدل هذا على أن الأنبياء عندهم ليسوا معصومين فيما يقولونه عن الرب ويبلغونه للناس فكيف يستجيز الكاتب لنفسه وهو فيما نظن غير جاهل بما أنفق فى بحثه ودرسه من الكتاب المقدس جل عمره أن يجترىء على وحى الله عز وجل يصمه بعدم الجوده ، ويفضل عليه مفتريات وترهات تنقضها فقرات

(١) انظر اصحاح ١٣ سفر الملوك الأول فقرة ١١ : آخر الاصحاح .

كتابهم المقدس ويمجها الذوق السليم ويأباها العقل المتزن إن هذا لهو الإفك المبين ؟

وسائل أخرى اتخذها المؤلف لإقامة حجته على صحة كتابه المقدس :

بعد أن أجهد الكاتب نفسه فى التدليل على صحة كتابه المقدس بذكر نسخه وتراجمها شرع فى بيان وسائل أخرى ظنها تدل على صحة القضية التى تبيناها على مدى فصول هذا الكتاب — ألا وهى عدم تحريف الكتاب المقدس وأن هذا الكتاب الآن هو نفسه الذى كان قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من هذه الوسائل أن للمؤلفين من المسيحيين والمشركين اقتباسات كثيرة من الكتاب المقدس بحيث لو ضاع هذا الكتاب لأمكن أن يعاد من تلك الاقتباسات مرة أخرى كالقرآن الذى لو ضاع أو أحرق كما قال المؤلف — لأمكن أن يعاد من اقتباسات المسلمين منه مرة أخرى ، ومنها أن الكتابات والصور المنقوشة على مقابر مسيحى القرون الأولى المقشفة فى سراديب تحت الأرض بمدينة رومية تفيد أن هؤلاء المسيحيين الأول كانوا يؤمنون بالعقائد التى يعلمها الانجيل للمسيحيين فى هذه الايام .

ثم يقول بعد ذلك « وأظن أن فى هذا القدر كفاية لاقناع كل معاند جبار بأن أسفار العهد الجديد والقديم محفوظة بتمامها وتقاوتها من قبل عصر محمد الذى منها يقتبس ونها يشهد ولإياها يحترم .

وبما أنه قد ثبت لكم معاشر المسلمين بالأدلة القاطعة أن كتابنا المقدس هو كتاب الله يجب عليكم حتماً أن تطالعوه بتورع ودعاء عسى أن يفتح الرحمن الرحيم أذهانكم لفهمه حتى تروه كما وصفه القرآن « هدى وذكرى لأولى الالباب »

تعليقنا على هذا الكلام :

هذا آخر ما دلل به الكاتب على صحة كتابه المقدس منهيا بذلك الفصل الثالث من الفصول الأربعة التى تكون الباب الأول من كتابه ميزان الحق . .

وتعليقا على هذا الكلام نقول : إن الاقتباسات التي اقتبسها المؤلفون نصارى كانوا ، أو مشركين من الكتاب المقدس : لا تدل على صحته لأنهم أخذوا ما أخذوا بعد أن حدث في هذا الكتاب ماحدث من محو وإثبات ، وتغيير وتبديل فجاءت اقتباساتهم تلك بالضرورة موافقة للمصدر الذى أخذت منه ، فمن أين إذن دلالتها على صحة هذا الكتاب وسلامته قبل زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده ؟

ولا صحة لما ذكره الكاتب من كتابه المقدس لو ضاع يمكن إعادته من الاقتباسات المبثوثة فى كتب المؤلفين نصارى كانوا أو مشركين ولا صحة أيضا للقياس الذى اختلقه المؤلف بين كتابه المقدس وبين القرآن فى التدليل على صدق هذه القضية لأن المقتبسات المأخوذة من أى كتاب لا تخرج عن كونها عبارات مختصرة بعضها بالنص وبعضها بالمعنى، وبعضها من أول الكتاب وبعضها من آخره ، إلى آخر ماهو معروف عن المقتبسات من الكتب والمقتبسين منها ، ومثل هذا بالضرورة لايكون كتابا متصل الحلقات متتابع العبارات معروف البداية والنهاية إذ يجوز أن تسقط فقرة من المقتبسات التى يراد إعادة ذلك الكتاب وتكوينه منها ، ويجوز أن

توضع هذه الفقرة فى غير محلها من الكتاب أثناء تكوينه من تلك الفقرات المقتبسة منه — والمبثوثة فى كتب المؤلفين . . . إلى آخر تلك الاحتمالات الكثيرة التى تجعل تكوين كتاب مابعد ضياعه من الاقتباسات المأخوذة منه أمراً متعذر المنال قرآنا كان هذا الكتاب أو غير قرآن .

أما كون القرآن الكريم إذا ضاع أمكن إعادته من صدور الحفظة فذلك أمر متفق عليه وغير مشكوك فيه لأن القرآن قد أسس حفظه منذ البداية على الصدور والسطور بحيث يكمل كل منهما الآخر ويتعاونان فى النهاية على صون هذا الكتاب الخالد من التحريف والتبديل أو الزيادة والنقصان ولا كذلك الكتاب المقدس كما يعلم المؤلف وغيره لأنه لم يحفظ فى الصدور وينقل إلينا عبر الأجيال جيل يسلمه لجيل . . بل هو فصول كتبت فى أزمنة مختلفة بأيدى مختلفة وعقول مختلفة ولغات مختلفة فجاء مختلفا غير مؤتلف كما تشهد به وقائع التاريخ وبعض فقرات ماحواه هذا الكتاب من أسفار وإصحاحات على مابيناه فى كثير من موضوعات بحثنا هذا . ولا دلالة فى معطيات الآثار المكتشفة بمدينة رومية أو غيرها على وحدة تعاليم الإنجيل فى القديم والحديث لأن خلاصة ما تفيده الكتابات والصور المنقوشة على هذه الاثار هو أن القدامى كانوا يعبدون الله تعالى ، أما تفاصيل هذه العبادة وكونها موافقة لعبادة النصارى فى هذه الأيام أم لا فذلك أمر لا تدل عليه هذه الآثار لذا كان المؤلف دقيقا فى التعبير حيث قال « منقوش عليها كتابات وصور يؤخذ منها » ومعنى يؤخذ منها أى يستنتج منها بطريق الإيحاء النفسى الذى تخلقه مثل هذه الكتابات

وتلك الصور حينئذ تـكون المسألة قائمة على مجرد الظن الذى يتـكون فى النفس من رؤية هذه النقوش ، وأما الدلالة الحقيقية المبنية على السند الصحيح أو النقل الموثوق به فهى غير متوفرة على الاطلاق وعلى هذا فتـكون دلالة الأدلة الأثرية التى احتج بها المؤلف على صدق تعاليم الأنجيل ووحدته دلالة ظنية قائمة على الحدث والتخمين لا على الحق واليقين وهذا أمر غير مقبول فى إقامة الحجج والبراهين على صحة أى صحة أى أصل من أصول الدين .

هذا ما هدانا الله إليه للرد به على ما أثاره الـكاتب فى هذا الفصل من قضايا وشبهات راجين الله سبحانه أن يفتح به أعينا عميا ، وقلوبا غلفا ويهدى به قراءه إلى الطريق القويم والصراط المستقيم والمنهج السليم إنه هو العليم الحكيم ..

الفصل الرابع

إبطال ما ذكره المؤلف فى الفصل الرابع من براهين على أن أسفار العهد القديم والجديد لم يعترها تحريف لا قبل محمد ولا بعده

عرض وتعليق :

بعد ما أفرغ الكاتب غاية الوسع والطاقة مدى ثلاثة فصول كاملة فى التدليل على أن ما تحت يد اليهود والنصارى الآن من أسفار التوراة والأناجيل ليس محرفا ولا مبدلا ، تارة باللجوء إلى القرآن ليستجدى منه شهادة أو شهادات لهذه الأسفار ، وأخرى بدعوى بقاء الكتاب المقدس محكما لا يعتريه النسخ إلى يوم القيامة ، وثالثة بتجميع نسخه وتراجمه ليوهم الناس أنها متآزرة متآلفة وليست متناثرة متخالفة ، بعد هذا كله أخذ يتخبط فى آخر فصول هذا الباب من كتابه فطورا يستخرج مقدمات من القرآن ليستنتج منها نتائج ترضيه ، وطورا آخر يلهث وراء مفسر من مفسرى القرآن الكريم بغية الحصول منه على عبارة أو إشارة تحقق ما يأمله ويبتغيه ، وطورا ثالثا يلوذ بقراءات القرآن المختلفة رجاء أن يجد فيها لكتابهم ما يذب عنه أو يحميه من التحريف الذى وقع فيه . ومرة يعمد إلى رواية مجهولة أو حديث ضعيف لعله يخلصه مما تورط فيه ، ومرة

أخرى يلجأ إلى سب أكابر الصحابة رضوان الله عليهم كعثمان بن عفان ويتهمهم زوراً وبهتاناً بالخبط والخلط والتحريف فى القرآن .

ومرة ثالثة ينقب فى مقولات منحرفى الشيعة ومتطرفيهم ليستخرج منها مطعناً يطعن به على الكتاب الكريم ، ولكنه لم يلبث بعد هذا كله أن وقع — أثناء تجرئه على دفع اعتراضات المعترضين على التوراة والأناجيل من علماء بالإسلام كالشيخ رحمت الله الهندى وغيره من الأئمة الأعلام — فيما كان يحذر منه ويخاف فيعلن حيناً أن ما ذكروه من اختلاف تواريخ الأقدمين وأعمارهم فى نسخ التوراة ليس شيئاً جوهرياً يمس أصول الكتاب وأن مرد هذا إلى أخطاء المترجمين ويعلن حيناً آخر أن ما نبذه البروتستانت من أسفار قبلها غيرهم ليس شيئاً يمس جوهر الكتاب إذ لا يهم أن يحذف منه سفر أو أكثر ، ولا أن يضاف إليه سفر أو أكثر تخبط عجيب يشبه إلى حد كبير تخبط المنهزم فى حلبة من حلبات الملاكمة أو المصارعة ومع ذلك فسنفند إن شاء الله تعالى ما جاء فى هذا الفصل ونبطله كما أبطلنا ما فى سوابقه وفندناه فنقول وبالله التوفيق .

مناقشة الكاتب فيما قدم به بين يدى هذا الفصل وتحليله :

أولاً : استهل الكاتب فصله هذا بقوله « رأينا فى الفصل المتقدم أن الكتاب المقدس معدود فى القرآن كلام الله ورأينا فى أكثر من موضع من القرآن أيضاً أن كلام الله غير قابل للتبديل والتغيير .

فاذا كانت هاتان المقدمتان صحيحتين كانت النتيجة ضرورة هى عدم

تحريف الكتاب المقدس لا قبل محمد ولا بعده ، وعند كلامه هذا باعادة ما جاء فى الأنعام ويونس والكهف من قول الله تعالى «لامبدل لكلماته» .

ونحن نقول زيادة على ما تقدم فى الفصل الأول : لا نسلم بالمقدمة الأولى لأن الكتاب المقدس ما عد فى القرآن أبداً كلام الله، بل ما اعتبره الله كلامه حقا وأخبر عنه فى القرآن صدقا هو ما أوحاه سبحانه إلى أنبيائه ورسله كصحف إبراهيم ، وتوراة موسى ، وزبور داود وإنجيل عيسى عليه السلام .

أما هذه الأسفار الملفقة فلم يعددها القرآن كلام الله ولم يعتبرها منزلة من السماء بل شهد عليها واعتبر أهلها جناة معتدين .

ولا نسلم بالمقدمة الثانية لأن ما أجمع عليه المفسرون الذين احتج المؤلف بأقوال بعضهم فى تأويلهم لآيات الأنعام ويونس والكهف هو أن المراد بكلمات الله وعده ووعيده ، وبشارته وانذاراته إلى غير ذلك من أصول الدين التى لا تتغير على مر السنين ، بل هى باقية منذ أن خلق الله الدنيا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . فالقول باطلاق هذه العبارة على الكتاب المقدس صرف متعمد للآيات الكريمة عن وجهها الصحيح ومعناها المتفق عليه لا نقره ولا نقبله ، ورغم أن الإمام البيضاوى رحمه الله قد قال فى تفسير آيات الأنعام ويونس والكهف ما لا يخرج فى جملته عما قاله سائر إخوانه من أئمة التفسير فى هذه الآيات إلا أن الكاتب قد استشهد بكلام هذا الإمام على أن كلمات الله الواردة فى الآيات السالفة الذكر تشمل الكتاب المقدس بعد أن أوله بما يوافق أغراضه ويرضى

أهواءه حيث قال ما نصه : « نعم قد ذكر البيضاوى على الآية الاخيرة[١] أن الكتاب المقدس محرف ولكن لم يقصد التحريف الذى يقوله عامة المسلمين ولسنا ندرى من أين له بمعرفة ما يقصده الإمام البيضاوى وما لا يقصده ، وكيف اجترأ على تأويل كلام هذا العالم مع وضوحه .

وحيث قد بطلت هاتان المقدمتان فقد بطلت بالتالى النتيجة التى استنتجها منها المؤلف وهى كون الكتاب المقدس لم يحرف لا قبل محمد ولا بعده .

تأويل الكاتب لما وصف به أهل الكتاب فى القرآن من التحريف وغيره :

ثانيا : ذكر الكاتب أن القرآن قد اتهم اليهود بكتمان الحق وهم يعلمونه ، وبلى ألسنتهم فى الإجابة عن تعليم توراتهم فى هذا الموضوع وينبذهم كتاب الله وراء ظهورهم وبتحريفهم ما أنزل لهم وأن هذه التهمة الأخيرة قد وردت فى أربعة مواضع من القرآن : أولها فى سورة البقرة أية ٧٥ وثانيها فى سورة النساء أية ٤٥ ؛ وثالثها ورابعها فى سورة المائدة أية ١٤ ؛ ٤٤ ولاحظ أن هذا الاتهام موجه إلى اليهود لا إلى المسيحيين وعليه فتكون أسفار العهد الجديد سالمة من هذه التهم سواء قبل محمد أو بعده .

---

(١) مراده بالآية الأخيرة ١١٥ من سورة الأنعام .

ولتفسير ماعناه القرآن بالتحريف الذى اتهم به اليهود عرض المؤلف أقوال الأمامين الرازى والبيضاوى فى تفسير الآيات السالفة عرضا استخلص منه أن معنى تحريف اليهود لكتابهم هو تأويلهم لنصوص هذا الكتاب تأويلا يوافق أغراضهم ويرضى أهواءهم لامساسهم لجوهر تلك النصوص بحذف أو إضافة أو وضع لفظ مكان لفظ أو كلمة مكان كلمة ، أو جملة محل جملة تماما كتأويل أهل البدع والأهواء من المسلمين لنصوص القرآن بما يناصر بدعهم ويآزر آراءهم فهو تحريف معنوى وليس تحريفا لنصوص الكتاب كما فهمه جهلاء المسلمين وضرب لذلك مثلا بقوله وحكى الرازى فى تفسيره على سورة المائدة آية ١٦ قصة مآلها أن اليهود فيما هم يقرأون التوراة (تث ٢٢ : ٢٣ ، ٢٤) لووا ألسنتهم وبدلوا معنى الرجم بالجلد ولم يمسوا لفظ الآية المكتوبة بأقل تحريف .

وحكى البيضاوى فى تفسيرة سورة المائدة آية ٤٥ هذة القصة عينها للدلالة على أن معنى التحريف المشار إليه فى الآية التحريف المعنوى وهو المقصود بلى الألسنة وفسر قوله « يحرفون الكلم من بعد مواضعه » أى يميلونه عن مواضعه التى وضعه الله فيها إما لفظا باهماله وتغيير وضعه وأما معنا بحمله على غير المراد وإجرائه فى غير موارده اهـ . بيضاوى .

فان أردت أن تعرف أى الرأيين هو الرأى الصحيح فما عليك إلا أن تراجع سفر التثنية (٢٢ : ٢٣ ، ٢٤) فى الأصل العبرى أو فى أية ترجمة حديثة أو قديمة فتجد آية الرجم التي نسبوا إليها التحريف باقيه على أصلها كما بينها القرآن والحديث فى عصر محمد وبذلك نعلم أن اليهود لم يحذفوا شيئا

من الآية ولا آمالوها عن موضعها ؛ بقى الرأى، الآخر هو التحريف المعنوى الذى توصلوا إليه بتغيير المعنى ا . هـ . كلام المؤلف.

وزعم أن علماء المسلمين فى الهند لما فحصوا هذه المسألة فحصا جيدا فى تفسير الرازى والبيضاوى وغيرهما اقتنعوا بأن أسفار العهدين ليست مبدلة ولا مغيرة ، ثم قال ماخلاصته أن أى مسلم يقول بتحريف نصوص الكتاب المقدس وألفاظه ويكون الكتاب الصحيح غير موجود فى زمن محمد يكون مكذبا للقرآن الذى يشهد لهذا الكتاب بأنه حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، لأن من أهم أغراض القرآن أنه جاء ليكون مصدقا للكتاب المقدس فكيف يصح أن يشهد له بالصحة والحقية وينسب إليه فى الوقت نفسه التغيير والتحريف وضياع الثقة فيه وعدم التعويل عليه . إن ذلك يقضى بالقرآن إلى التناقض البين إذ لا يقدر أحد يؤمن بالله أن ينسب إليه تعالى أنه أنزل القرآن مصدقا لكتاب مبدل ومغير ومشوش الأمر الذى فطن له الإمامان الكبيران الرازى والبيضاوى فجزما فى تفسيرهما بأن الكتاب المقدس لم يقع فيه تغيير لا قبل العصر المحمدى ولا بعده . ثم قال تتمة لبحث هذا « بقى لمعترض أن يقول وقع التغيير فى الكتاب المقدس فى ذات عصر محمد » والرد على اعتراض كهذا لا يكلفنا مشقة ولا عناء لأننا نجيب قائلين .

إن الأسفار المقدسة التى أشرنا إليها فى مقدمة كلامنا كتبت قبل عصر محمد بزمان طويل والكتاب المتداول اليوم منسوخ عن ذلك الأصل وعليه

لا يتصور عقل عاقل إجماع اليهود والنصارى على تغيير أسفارهم وقد انتشرت فى كل العالم .

هذا تلخيص لما ذكره الكاتب فى تلك المسألة من بحثه .

ردنا على هذا التأويل وتفنيده :

وردا عليه نقول :

لاخلاف بيننا وبينه فى أن القرآن الكريم قد قال عن اليهود ماذكره وإنما نختلف معه فى تسمية هذا الذى ذكره القرآن عن اليهود اتهاما منه لهم لأن المتهم قد يكون بريئا وغير برىء والمتهم بكسر الهاء يوقع تهمته على من يشك فى أمره ويحسبه فاعل هذا الجرم المتهم به وليس كذلك القرآن لأن منزله عالم بأحوال الناس وطبائعهم وضمائرهم فهو لا يشك فى أحد وإنما يصور دواخل الناس تصوير وصف وتبيين لا اتهام وتخمين فالقول بأن القرآن اتهم اليهود أو النصارى بكذا قول مشوب بخبث منشأه مرض قلوب أصحابه ، ولم يرد وصف القرآن بكتمان الحق ونبذ كتاب الله وراء الظهور لعامة اليهود فقط كما زعم المؤلف ، بل وردلفريق من الذين آتاهم الله الكتاب حيث يقول الحق سبحانه وتعالى « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وأن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون » البقرة آية ١٤٦.

ويقول تعالى « ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون » البقرة ١٠١

فذاك كما ترى وصف لفريق من الذين آتاهم الله الكتاب سواء أكانوا يهودا أم نصارى ، وأما لى الألسنة فانه لما لم يقع إلا من بعض اليهود كقولهم للنبى صلى الله عليه وسلم راعنا بدل انظرنا ويعنون به المعنى السىء للكلمة وهو الحمق والخفة .

وقولهم لرسول الله صلى الله عليك وسلم السام عليك بحذف اللام ويعنون به الموت . وقولهم له عليه الصلاة والسلام اسمع غير مسمع ويعنون به غير مسمع خيرا .

صور الله دواخل أنفسهم فى مثل هذه الأمور ولم يطلق الوصف على عموم من أوتوا الكتاب بل خصه بفاعلية فقط فقال تعالى « من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليًّا بألسنتهم وطعنا فى الدين » النساء ٤٦ .

وأما التحريف فلم يصف الله به اليهود فى القرآن دون النصارى لسلامة أسفار العهد الجديد منه كما لاحظ الكاتب وسجل .

وإنما لأن النصارى لم يكن تحت أيديهم كتاب مكتوب فحرفوه كما كان عند قوم موسى عليه السلام بل كتبوا كتبا من عند أنفسهم ضمنوها تاريخ المسيح وما حفظوا من وصاياه وزعموا أن روح القدس عصمهم أثناء كتابتها من الشطط والزلل وسموها أناجيل فكان من الغايه فى الدقة وتحرى الحق بمكان أن يصف الله اليهود دون النصارى بالتحريف والنسيان . وأن يقتصر فى وصف النصارى على النسيان فقط حيث يقول « ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به » المائدة

١٤ ، وفى هـذا ما فيه من الدلالة على أن القرآن منزل من عند الله الحكيم الخبير العليم بأحوال الناس وأفعالهم قديمها وجديدها إذ لو كان من عند محمد لسهل عليه أن يقول مثلا «ومن النصارى من أخذنا ميثاقهم فحرفوا الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به» إثر قول الله عن اليهود « فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية — يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به » المائدة ١٣ .

لكن لما كان المنزل لهذا القرآن هو الله المطلع على جميع أحوال الناس فى الماضى والحاضر فرق بين هذا وذاك ، وهؤلاء وأولئك فوصف اليهود بالتحريف والنسيان ووصف النصارى بالنسيان فقط[١] .

فسبحان من أنزل هذا الكلام وجعله لعباده هدى ونورا .

وليس التحريف المنسوب إلى اليهود فى القرآن قاصرا على التحريف المعنوى الذى يشبه تأويل مبتدعة المسلمين لنصوص القرآن المخالفة لبدعهم وأهوائهم كما أراد المؤلف أن يقنعنا بذلك بل يشمل التحريف المعنوى وتحريف نصوص كتابهم بالزيادة تارة وبالنقص تارة أخرى متعمدة كان أو غير متعمد على ما بيناه فى الفصل الأول .

والمستعرض لما قاله الإمامان الرازى والبيضاوى فى هذا الموضوع يلاحظ مدى ما أوقعه المؤلف عليهما من الافتراء الشديد حين نسب إليهما القول بأن المقصود بالتحريف الوارد فى القرآن عن اليهود هو

---

(١) انظر ما كتبناه عن ذلك فى الفصل الأول .

التحريف المعنوى لا اللفظى فقد قال البيضاوى تفسيراً للآية الخامسة والسبعين من سورة البقرة ما نصه : « أفتطمعون » الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أن يؤمنوا لكم أن يصدقوكم أو يؤمنوا لأجل دعوتكم يعنى اليهود وقد كان فريق منهم طائفة من أسلافهم يسمعون كلام الله يعنى التوراة ثم يحرفونه كنعت محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم أو تأويله فيفسرونه بما يشتهون ا . هـ[1] .

وقال فى تفسير الآية الثامنة والسبعين من سورة آل عمران «وإن منهم لفريقاً » يعنى المحرفين ككعب ومالك « يلوون ألسنتهم بالكتاب » يفتلونها بقراءته فيميلونها عن المنزل إلى المحرف ا . هـ[2] .

وقال تأويلا للآية السادسة والأربعين من سورة النساء أى من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم أى يميلونه عن مواضعه التى وضعه الله فيها بإزالته عنها وإثبات غيره فيها أو يؤولونه على مايشتهونه فيميلونه عما أنزل الله فيه ا . هـ[3] وقال فى معنى الآية الثالثة عشرة من سورة المائدة « يحرفون الكلم عن مواضعه » استئناف لبيان قسوة قلوبهم فإنه لا قسوة أشد من تغيير كلام الله تعالى والافتراء عليه ويجوز أن يكون حالا من مفعول لعناهم لا من القلوب إذ لا ضمير له فيه ونسوا حظاً وتركوا نصيباً

---

(١) تفسير البيضاوى ط بيروت ص ١٦ .

(٢) تفسير البيضاوى ط بير ص ١٦ ، ٧٨ ، ٧٩ .

(٣) تفسير البيضاوى ط بيروت ص ١١٣ .

وافياً مما ذكروا به من التوراة أو اتباع محمد ﷺ والمعنى أنهم حرفوا التوراة وتركوا حظاً مما أنزل عليهم فلم ينالوه ا . ه .

وفسر الآية الخامسة والأربعين من نفس السورة بقوله يحرفون الكلم من بعد مواضعه أى يميلونه عن مواضعه التى وضعه الله فيها إما لفظاً بإهماله أو تغيير وضعه وإما معنى بحمله على غير المراد واجرائه فى غير مورده ا . ه .

وأما الرازى فيقول فى تأويل الآية الثامنة والسبعين من سورة آل عمران بعد أن ذكر معنى لى الألسنة فى أصول اللغة ما نصه :

« إذا عرفت هذا الأصل ففى تأويل الآية وجوه » :

الأول : قال القفال رحمه الله قوله يلوون ألسنتهم معناه أن يعمدوا إلى اللفظة فيحرفوها فى حركات الإعراب تحريفاً يتغير به المعنى وهذا كثير فى لسان العرب فلا يبعد مثله فى العبرانية فلما فعلوا مثل ذلك فى الآيات الدالة على نبوة محمد عليه الصلاة والسلام من التوراة كان ذلك هو المراد من قوله تعالى « يلوون ألسنتهم » وهذا تأويل فى غاية الحسن .

الثانى : نقل عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال إن النفر الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم كتبوا كتاباً شوشوا فيه نعت محمد صلى الله عليه وسلم وخلطوه بالكتاب الذى كان فيه نعت محمد صلى الله عليه وسلم ثم قالوا هذا من عند الله إذا عرفت هذا فنقول إن لى اللسان تثنيه بالتشدق والتقطع والتكلف وذلك مذموم فعبر الله تعالى عن قراءتهم لذلك الكتاب الباطل بلى اللسان ذماً لهم وعيبا ، ولم يعبر عنها

بالقراءة ، والعرب تفرق بين ألفاظ المدح والذم فى الشيء الواحد فيقولون فى المدح خطيب مسقع وفى الذم كثار صرصار وقوله « وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب » المراد قراءة ذلك الكتاب الباطل وهو الذى ذكره الله تعالى فى قوله « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله » ثم تساءل بعد ذلك قائلا : كيف يمكن إدخال التحريف فى التوراة مع شهرتها العظيمة بين الناس ؟ الجواب : لعله صدر هذا العمل عن نفر قليل يجوز عليهم التواطؤ على التحريف ، ثم إنهم عرضوا ذلك المحرف على بعض العوام وعلى التقدير يكون هذا التحريف ممكنا ، والأصوب عندى فى تفسير الآية وجه آخر وهو أن الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كان يحتاج فيها إلى تدقيق النظر وتأمل القلب والقوم يوردون عليها الأسئلة المشوشة والاعتراضات المظلمة فكانت تصير تلك الدلائل مشتبهة على السامعين ، واليهود كانوا يقولون مراد الله من هذه الآيات ما ذكرناه لا ما ذكرتم ، فكان هذا هو المراد بالتحريف وبلى الألسنة وهذا مثل ما أن المحق فى زماننا إذا استدل بآية من كتاب الله تعالى فالمبطل يورد عليه الأسئلة والشبهات ويقول ليس مراد الله ما ذكرتم فكذا فى هذه السورة ا . ه[1] .

وتأويلا للآية السادسة والأربعين من سورة النساء يعيد ما ذكره فى آية آل عمران ويضيف عليه ما نصه :

---

(١) الرازى جـ ٢ ط المطبعة الحسينية بالقاهرة ص ٤٧٨ ، ٤٧٩ .

الثالث : أنهم كانوا يدخلون على النبي صلى الله عليه وسلم ويسألونه عن أمر فيخبرهم ليأخذوا به فاذا خرجوا من عنده حرفوا كلامه .

المسألة الرابعة : ذكر الله تعالى ههنا (عن مواضعه) وفى المائدة من (بعد مواضعه) ، والفرق أنه إذا فسرنا التحريف بالتأويلات الباطلة ، فههنا قوله يحرفون الكلم عن مواضعه معناه أنهم يذكرون التأويلات الفاسدة لتلك النصوص ، وليس فيه بيان أنهم يخرجون تلك اللفظة من الكتاب .

وأما الآية المذكورة فى سورة المائدة فهى دالة على أنهم جمعوا بين الأمرين فكانوا يذكرون التأويلات الفاسدة وكانوا يخرجون اللفظ أيضا من الكتاب فقوله : يحرفون الكلم إشارة إلى التأويل الباطل وقوله من بعد مواضعه إشارة إلى إخراجه عن الكتاب اهـ (١)

وتفسيراً للآية الثالثة عشرة من سورة المائدة يقول ما نصه : ثم إنه تعالى ذكر بعض ما هو من نتائج تلك القسوة فقال (يحرفون الكلم عن مواضعه) وهذا التحريف يحتمل التأويل الباطل ويحتمل تغيير اللفظ وقد بينا فيما تقدم أن الأول أولى لأن الكتاب المنقول بالتواتر لا يتأتى فيه تغيير اللفظ اهـ (٢)

ويقول تفسيرا للآية الخامسة عشرة من نفس السورة ما نصه :

---

(١) تفسير الرازى ج ٣ ط المطبعة الخيرية ص ٢٢٨ .
(٢) تفسير الرازى ج ٣ ط المطبعة الخيرية ص ٣٨١ .

ثم وصف الرسول بأمرين الأول أنه يبين لهم كثيرا مما كانوا يخفون قال ابن عباس أخفوا صفة محمد وأخفوا أمر الرجم ثم إن الرسول صلى الله عليه وسلم بين ذلك لهم وهذا معجز لأنه عليه الصلاة والسلام لم يقرأ كتاباً ولم يتعلم علما من أحد فلما أخبرهم بأسرار ما فى كتابهم كان ذلك إخباراً عن الغيب فيكون معجزا .

الوصف الثانى للرسول قوله (ويعفو عن كثير) أى لا يظهر كثيراً مما تكتمونه أنتم وإنما لم يظهره لأنه لا حاجة إلى إظهاره فى الدين والفائدة فى ذكر ذلك أنهم يعلمون كون الرسول صلى الله عليه وسلم عالما بكل ما يخفونه فيصير ذلك داعيا لهم إلى ترك الإخفاء لئلا يفتضحوا ا. هـ.(١) .

وقال تفسيرا للآية الحادية والأربعين من نفس السورة أيضا ما نصه ثم إنه تعالى وصف هؤلاء اليهود بصفة أخرى فقال « يحرفون الكلم من بعد مواضعه » أى من بعد أن وضعه الله مواضعه أى فرض فروضه وأحل حلاله وحرم حرامه .

هذا نص ما كتبه ذانك الإمامان الجليلان ، والمتأمل فى كلامهما هذا يجد أن تفسيرهما للتحريف الذى وصف به اليهود فى القرآن قائم على معنيين أحدهما : تأويل نصوص الكتاب بلى الألسنة تارة وصرف الألفاظ عن معانيها الحقيقية تارة أخرى حتى يجعلوا ما فى الكتاب موافقاً

---

(١) تفسير الرازى جـ ٣ ط المطبعة الخيرية ص ٣٨٣ .

لأغراضهم وأهوائهم وإليه الإشارة بقول الله تعالى « يحرفون الكلم عن مواضعه » وأرباب هذا اللون من التحريف كانوا معاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا يعمدون إلى فعلهم هذا عند ما يواجههم الرسول صلى الله عليه وسلم بالحقائق التي لا يملكون إخفاءها ولا يستطيعون إنكارها .

وثانيهما : تحريف نصوص الكتاب ذاته بالمحو والإثبات عن عمد وعن غير عمد وإليه الإشارة بقول الله تعالى « يحرفون الكلم من بعد مواضعه » وأرباب هذا اللون من التحريف المتعمد كانوا معاصرين للمسيح عيسى عليه السلام فأداهم العناد له وطمس ما اتفق فيه مع أخيه موسى عليه السلام من البشارة بنبي آخر الزمان إلى هذا الفعل المنكر الشنيع سيما وأن نسخ التوراة آنذاك لم تكن بالكثرة التي كانت عليها بعد ذلك وأما غير المتعمدين للتحريف والتبديل فى التوراة فهم كثيرون ومنتشرون على مدى العصور المختلفة فما من لغة ترجم إليها هذا الكتاب إلا تحدث فيه الزيادة والنقص ، والإضافة والحذف أثناء ترجمته إلى تلك اللغة ، وقد ترجم هذا الكتاب إلى أربعمائة لغة كما ذكر المؤلف ، فهيهات ثم هيهات أن يكون بعد ذلك بمنأى عن التحريف والتغيير .

ونجد فيه أيضا أن مساقهما لقصة الرجم لم يكن للتدليل على مازعمه المؤلف من أن المراد بما وصف به اليهود فى القرآن من التحريف ، هو التحريف المعنوى لا اللفظى ، وإنما ساقا رحمهما الله هذه القصة تدليلا على أن اليهود والنصارى قد ارتكبوا جرما آخر بينه الله تعالى وتحدث عنه فى سورة الأنعام حيث يقول سبحانه (وما قدروا الله حق قدره إذ

قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا) ٩١ وفى سورة المائدة حيث يقول تعالى (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين)١٥

إذ الثابت فى السنة الصحيحة أن اليهود جاءوا إلى النبي صلى الله وسلم برجل منهم وامرأة قد زنيا فقال لهم كيف تفعلون بمن زنى منكم قالوا نحممهما[١] ونضربهما فقال لا تجدون فى التوراة الرجم : فقالوا لا نجد فيها شيئا فقال لهم عبد الله بن سلام كذبتم فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع عبد الله بن صوريا مدراسها كفه على آية الرجم فطفق يقرأ من التوراة مادون يده ولا يقرأ آية الرجم فنزع عبد الله بن سلام يده عنها فقال ما هذه ؟ فلما رأوا ذلك قالوا هى آية الرجم فأمر بهما فرجما قريباً من حيث موضع الجنائز ا . ه من صحيح البخارى[٢] .

وفى هذا كما ترى أبلغ الدلالة على أن علماء اليهود لم يطمسوا آية الرجم ولم يبدلوها بل أخفوها بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومعلوم أن الإخفاء غير التحريف كما اعترف بذلك المؤلف نفسه فكون هذا الحكم باقيا فى التوراة على صحته حتى الآن لا يدل على سلامة

---

(١) أى نسود وجههما بالحمم وهو الفحم .
(٢) جـ ٢ ط المطبعة اليمنية ص ٣٣٦ .

الكتاب المقدس من التحريف فيما سواه ، بل يدل على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بين وأظهر ، وصدق القرآن الكريم فيما نطق به وأخبر .

قال الإمام القسطلانى : فإن ذلك « أى حكم الرجم » موجود فيها لم يغير واستدل به ابن عبد البر على أن التوراة صحيحة بأيديهم ولو لا ذلك ما سألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها ولا دعا بها وأجيب بأن سؤاله عنها لا يدل على صحة جميع ما فيها وإنما يدل على صحة المسؤول عنه منها ، وقد علم صلى الله عليه وسلم ذلك بوحى أو إخبار من أسلم منهم فأراد بذلك تبكيتهم وإقامة الحجة عليهم فى مخالفتهم كتابهم وكذبهم علية وإخبارهم بما ليس فيه وإنكارهم ماهو فيه ا . ه[1] .

ومن المغالطة البينة حقاً أن يجعل المؤلف من قصة الرجم هذه مطعنا يطعن به على القرآن حيث يقول مانصه :

ومن العجب أن آية الرجم التى قالوا إن اليهود حرفوها كانت فى القرآن كما نعلم من الحديث ثم لا نرى لها الآن أثرا ، جاء فى مشكاة المصابيح أن عمر قال « إن الله بعث محمدا بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان مما أنزل الله تعالى آية الرجم رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده ، والرجم فى كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف متفق عليه ا . ه من الفصل الأول من كتاب الحدود ، ولكن لما جمع زيد بن ثابت القرآن حذفت هذه

---

(١) ارشاد السارى للقسطلانى ج ٨ ط المطبعة اليمنية ص ٣٣٦ .

الآية لئلا يقال عن عمر إنه زاد على القرآن فإن صدق عمر فيما رواه يكون تحريف الكلم عن مواضعه المنوه عنه فى القرآن سورة المائدة آيه ٤٥ واقعا فى القرآن لا فى التوراة ويكون المحرفون هم المسلمين لا اليهود فتأمل ا . ه كلام المؤلف .

ودحضا لهذه الفرية نقول : أما صحة الخبر الذى نقله المؤلف عن صاحب المشكاة فلا خلاف بيننا وبينه فيها ، وأما كون آية الرجم قد حذفت من كتاب الله تعالى أثناء جمع زيد بن ثابت له لئلا يقال إن عمر رضى الله عنه قد زاد فى القرآن ما ليس منه فذلك ضرب من ضروب الوهم والخيال والتقحم الجرىء على ما للقرآن من قدسية وجلال ، لأن المتتبع لتاريخ جمع القرآن فى عهدى أبى بكر وعثمان يجد أن زيد بن ثابت ومن عاونوه فى جمع ذلك التبيان لم يكتبوا منه كلمة واحدة إلا بعد عرضها على الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، فإن وافقت ماحفظوه فى صدورهم وما كتبوه فى صحائفهم دونوها وإلا محوها ولم يثبتوها ، وأخذ الجامعون على عاتقهم أن لا يكتبوا من القرآن مانسخت تلاوته وماشذت بين الأصحاب قراءته على هذا النحو من التثبت النادر والتحرى الباهر والتتبع الكامل ، تم جمع القرآن الكريم وتدوينه فى المصاحف ، فمن الظلم البين والافتراء الجلى أن يقول قائل إن أحدا من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين حذف آية لغرض من الأغراض ، أو أثبت فى القرآن ماليس منه لهوى من الأهواء حاشاهم أن يفعلوا ذلك ولو أرادوا أن يفعلوه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، إذ كيف يمكنهم أن يعبثوا بكتاب تولى الله بذاته حفظه حيث

يقول (انا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) الحجر آية ٩ فإن قيل إذن أين آية الرجم التى أخبر عمر بوجودها فى كتاب الله مادامت الرواية صحيحة كما ذكرتم ، قلنا إنها مما نسخت تلاوته وبقى حكمه قال النووى تعليقا على قول عمر فكان مما أنزل الله عليه آية الرجم « أراد بآية الرجم الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموها البتة وهذا مما نسخ لفظه وبقى حكمه » ا . ه (١)

والنسخ عندنا جائز وواقع سواء أكان لغير القرآن بالقرآن كما يشير إليه قوله تعالى (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها »البقرة آية ١٠٦ ، أم كان للقرآن بالقرآن كما يشير إليه قوله تعالى « وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون» النحل اية ١٠١ فهل للمؤلف أو لغيره بعد ذلك أن يقتحم على جلال القران وقدس القرآن اللهم إن هذا لهو الافك المبين .

ومن المغالطة البينة أيضا أن يدعى الكاتب أن القول بتحريف الكتاب المقدس تكذيب للقرآن الكريم الذى أخبر بأنه مصدق لما بين يديه من الكتاب ومهيمن عليه كما فى سورة المائدة آية ٤٨ إذ لا يعقل أن يصدق القرآن كتابا مشوشا مبدلا محرفا نقول هذه مغالطة بينة لأن معنى قوله تعالى فى سورة المائدة آية ٤٨ « وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه » كما ذكره عامة المفسرين وأئمتهم وأنزلنا إليك يا محمد الكتاب الكامل الذى أكملنا به الدين وأتممنا به الكتب

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١١ ط المطبعة المصرية ومكتبتها ١٩٦٠

فكان هو الجدير بأن ينصرف إليه معني الكتاب الإلهى عند الاطلاق وهو القرآن المجيد ، وتلك هى الحكمة من التعبير بالكتاب بعد التعبير عن كتاب موسى باسمه الخاص (التوراة) وعن كتاب عيسى باسمه الخاص (الإنجيل) (بالحق) أى ملتبسا بالحق مؤيدا به مشتملا عليه مقررا له بحيث لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (مصدقا لما بين يديه من الكتاب) أى مصدقا لما تقدمه من جنس الكتب الإلهية كصحف إبراهيم ، وتوراة موسى ، وإنجيل عيسى عليهم الصلاة والسلام أى ناطقا بتصديق كونها من عند الله ، وأن الرسل الذين جاءوا بها لم يفتروها من عند أنفسهم .

وأما قوله : « مهيمنا عليه » أى على جنس الكتاب الإلهى فمعناه أنه رقيب عليها وشهيد ، بما يبينه من حقيقة حالها فى أصل إنزالها ، وما كان من شأن من خوطبوا بها من نسيان حظ عظيم منها واضاعته . وتحريف كثير مما بقى منها وتأويله ؛ والإعراض عن الحكم والعمل بها . فهو يحكم عليها لأنه جاء بعدها ا . هـ [١]

بقى أن يقال إن التحريف المتعمد الذى أصيب به الكتاب المقدس لم يقع فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قد يظن البعض بل وقع فى أوائل القرن الثانى من ميلاد المسيح عليه السلام .

ولكى يهرب الكاتب من الاعتراف بتلك الحقيقة التي أقر بها أسلافه النصارى قديما نسب القول بها إلى جهلائهم حيث قال مانصه :

---

(١) انظر تفسير المنار جـ ٦ ط الهيئة المصرية العامة ص ٣٣٦ .

حكى أن بعض المسيحيين من أهل القرون الأولى بعد المسيح اتهموا اليهود بتهمة تغيير النصوص الإلهية كما يتهم المسلمون وذلك لأنهم وجدوا فروقاً فى أعمار البطارقة المذكورين فى اصحاح ٥ و ١٠ من سفر التكوين ما بين النسخة العبرية والترجمة السبعينية ، فعللوا هذه الفروق بعلة التغيير ولكن الذين ادعوا هذه الدعوى جهلاء المسيحيين لا علماؤهم اه كلام المؤلف .

أما غير المتعمد فانه يصيب هذا الكتاب حكماً تعرض لترجمة مترجم أو تدوين مدون . أو ترتيب مرتب . وهذا قد كان فى زمن محمد صلى الله عليه وسلم ومن قبله ومن بعده إلى درجة أننا إذا قارنا الآن بين طبعتين من طبعات هذا الكتاب أو ترجمتين من تراجمه الكثيرة لوجدنا بينهما من التخالف والتغاير فى اللفظ تارة وفى الجملة تارة أخرى ما يجعلنا نشك كثيراً فى هذا الكتاب . ونرتاب فيمن كتبوه على ما بيناه فى بحثنا هذا فى الفصل الأول

دفاع المؤلف عما فى الكتاب المقدس من اختلافات

ثالثاً : رأى الكاتب أن بعض كتاب المسلمين قد اعترضوا على ما سماه باختلاف القراءات التى يقرأ بها الكتاب المقدس واستدلوا بها على إفساد نصوصه . ثم أبطل هذه النظرية فى زعمه بما مفاده أن تعدد اللغات التى كتبت بها النسخ الأصلية لهذا الكتاب ما بين يونانية وعبرية وآرامية قد أدى بطبيعة الحال إلى اختلاف فى قراءته كما هى الحال فى جميع الكتب القديمة .

وأن هـذا الاختلاف يرجع معظمه إلى اختلاف فى الرسم مثل كلمة « صلاة » العربية التى تـكتب تارة بالواو وأخرى بالألف ويرجع بعضه إلى اختلاف فى تصاريف الأفعال كاختلاف القراءات القرآنية التى أشار إليها المفسرون وأثبتوا أنواعها فى تفاسيرهم .

ثم ضرب لتلك القراءات القرآنية أمثلة بما ورد فى الآيات ١٠٦ ، ٢٨٥ من سوره البقرة ، ٩١ من سورة الأنعام ، ٣٥ من سورة مريم ، ٤٨ من سورة القصص ، ٦ من سورة الأحزاب ، ١٨ من سورة سبأ ، ٢٢ من ص من قراءات مختلفة :

ثم قال : فهذه القراءات مهما تكن لا تغير معـــانى القرآن تغييراً يستحق الذكر ولا تؤثر أقل تأثير فى عقـــائده ، فإن قام كاتب مسيحى واحتج باختلاف القراءات على وقوع التغيير فى متن القرآن ، ألا يستجهله المسلمون أو يرمونه بالتعصب الذميم ، فمثل هذا الحكم يجب أن يحكم به على الذين يتخذون قراءات كتابنا حجة على تغييره .

إن آدابنا لا تسمح لنا أن ندعى بدعاوى كهذه على مناظرينا ، وزعم أن اختلاف القراءات فى كتابه المقدس يوجد أكثر مما فى القرآن لجملة أسباب

أحدها : أن حجمه أكبر من حجم القرآن بأربع مرات ، وثانيها :أنه أقدم من القرآن بكثير ، وثالثها : أنه كتب بلغات ثلاث العبرية واليونانية والآرمية بينما كتب القرآن باللغة العربية فقط ، ورابعها : أن هذا الـكتاب قد أحصيت قراءاته فى التراجم القديمة كلها إحصاء اثبت من خـلاله أن كثيرا من تلك القراءات غلطات وقعت من المترجمين ، وخامسها أن هذا

الإحصاء كان من الجودة والدقة بمكان ، وسادسها : وأهمها : أن الكتاب المقدس لم يصلحه ولم يراجعه أحد قبل النشر كما أصلح القرآن وراجعه قبل نشره عثمان ثالث خلفاء محمد حيث عمد إلى النسخ القديمة فأحرقها ولم يبق على شيء منها إلا نسخة حفصة التي ألحقها مروان بعد ذلك على ما قيل بأخواتها المحرقات .

ومع ذلك فان هذا الكتاب لا يوجد فيه من القراءات ما يمس جوهره ونفى ما ذكره الشيخ رحمة الله الهندى بالأدلة القاطعة عن بعض علماء النصارى من تسليمهم وقوع التحريف فى كتابهم نتيجة لوقوعهم على أخطاء فيه لا يمكن إصلاحها ، نفى ذلك بقوله :

إن الكلمة التى لم يفهمها المفسرون وظنوا أنها مصحفة كانوا يشيرون إليها لأجل مراجعتها وتصليحها .

وضرب لذلك مثلا لكلمة تفتاى الواردة فى دانيال ٣ : ٢ حيث لم توجد قط فى كتاب آخر ولم يعرف معناها ولا المادة المشتقة منها ، فظن بعض المفسرين أن هذه الكلمة مصحفة أى خطأ من الناسخ وبقى الأمر على ذلك حتى اكتشفوا منذ سنين قليلة كتابات آرامية قديمة فى الآثار المصرية وردت فيها الكلمة المذكورة وعرفوا معناها وأصل اشتقاقها ثم علق على ذلك بقوله ومن هنا نعلم كيف حفظت الأسفار بالصحة والضبط حتى فى مثل هذه الكلمة وشبه بمثل هذه الكلمة فى الكتاب المقدس ماجاء فى سورة طه (آية ٦٣) من قوله « إن هذان لساحران »فكان من المحتمل أن بعض المفسرين يرتابون فى صحة هذه العبارة ويقودهم ريبهم إلى

اتخاذ الوسيلة لتصحيحها كما أنهم صححوا بالفعل كلمة « يفرق » بكلمة « يفرقون » جريا على سياق الكلام (سورة البقرة آية ٢٨٥ قراءة يعقوب وظنها بعضهم مصحفة عن كلمة نفرق فى قراءة حفص) كما أشار إلى ذلك البيضاوى . وقسم الكاتب القراءات فى كتابه إلى ثلاثة أقسام .

أحدها : القراءات الناجمة عن إهمال الناسخ أوجهله ، وثانيها : ما اقتضاها بعض النقص فى الأصول المنسوخة ، وثالثها : قراءات وضعت لتصحيح عبارة ظنها الكاتب الأخير خطأ من الكاتب الأول وهى ليست كذلك ، ودافع عما زاده بعض النصارى فى الكتاب من آيات وما ردوه منها بأن فاعلى هذا هم الهراطقة الذين زادوا فى الكتاب ما يوافق أغراضهم ونقصوا منه ما يخالف تعاليمهم وما كان قصدهم إتلاف الكتاب ولا تحريفه ولكنهم انخدعوا ببعض الأضاليل ، وقد عرف المسيحيون جميع ما أدخل فى هذا الكتاب من أخطاء بمقابلته على النسخ القديمة .

هذا بإيجاز ما ذكره الكاتب فى تلك المسألة من ص ١٣٤ : ١٣٩ .

نقض هذا الدفاع وإبطاله :

ورداً عليه نقول : ليست لدينا معاشر كتاب المسلمين نظرية تقول بوجود قراءات فى الكتاب المقدس ، بل ما نعرفه وننادى به هو أن النصوص الأصلية التى أنزل الله بها هذه الكتب قد زالت بتذويب الكاتبين لها فى اللغات المختلفة والأساليب المتنوعة والعبارات المبتكرة التى كتب بها وترجم إليها كتابهم المقدس غير مرة فالاختلاف الكائن فيه ليس اختلاف قراءات بالمعنى الذى نفهمه نحن المسلمين لهذه الكلمة — وإنما هو اختلاف

كتابة ، وأفكار ، ولغات ، وما إلى ذلك مما يفضى بالكتاب الواقع فيه إلى التناقض البين ، والخلط الواضح ؛ إذ قد زالت عنه صفة الرعاية الإلهية واعتورته ألسنة الناس فوجد فيه الاختلاف الكثير قال تعالى عن القرآن « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً » النساء آية ٨٢ ، فشتان ما بين القراءات القرآنية وقراءات منشأها إهمال الناسخ أو جهله أو نقصان فى أصل يكمله أصل آخر أو تصحيح كاتب من كتاب هذا الكتاب لعبارة ظن سابقه أخطأ فيها ، شتان بين هذه وتلك لأن القراءات القرآنية منزلة من عند الله مأخوذة بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليست تصحيحاً لخطأ مخطىء أو تكميلا لنقص ناقص ، أو نتيجة لجهل جاهل فمن أين لهذا المؤلف بتلك المقارنة وهذه الموازنة التى ينعدم التكافؤ فيها انعداماً تاماً ؟ ومن أين له بالموازنة بين كلمة (تفتاى) التى كانت مجهولة الأصل والمعنى ثم عرف منذ سنين قليلة أصلها ومعناها ، وبين ما جاء فى سورة طه من قول الله تعالى « إن هذان لساحران » .

قال الشيخ الزرقانى : إن الصحابة رضوان الله عليهم قد اختلف أخذهم عن رسول الله ﷺ فنهم من أخذ القرآن عنه بحرف واحد ، ومنهم من أخذه عنه بحرفين ، ومنهم من زاد ثم تفرقوا فى البلاد وهم على هذه الحال ، فاختلف بسبب ذلك أخذ التابعين عنهم ، وأخذ تابع التابعين عن التابعين ، وهلم جرا ، حتى وصل الأمر على هذا النحو إلى الأئمة القراء المشهورين الذين تخصصوا وانقطعوا للقراءات يضبطونها ويعنون بها وينشرونها كما يأتى فى هذا منشأ علم القراءات واختلافها ، وإن كان الاختلاف يرجع

فى الواقع إلى أمور يسيرة بالنسبة إلى مواضع الاتفاق الكثيرة كما هو معلوم لكنه على كل حال — اختلاف فى حدود السبعة الأحرف التى نزل عليها القرآن كلها من عند الله، لا من عند الرسول صلى الله عليه وسلم ولا أحد من القراء أو غيرهم ا. هـ[1].

وقال مكى بياناً لفائدة تعدد الأحرف التى أنزل عليها القرآن الكريم والقراءات التى قرئ بها مانصه : — إن الله (عز وجل) لم يجعل على عباده حرجاً فى دينه ولا ضيقاً عليهم فيما افترض عليهم، وكانت لغات من أنزل عليهم القرآن مختلفة، ولسان كل صاحب لغة لا يقدر على رده إلى لغة أخرى إلا بعد تكلف ومئونة شديدة فيسر الله عليهم أن أنزل كتابه على سبع لغات مفترقات فى القرآن بمعان متفقة، ومختلفة، ليقرأ كل قوم على لغتهم على مايسهل عليهم من لغة غيرهم وعلى ماجرت به عادتهم فقوم جرت عادتهم بالهمز وقوم بالتخفيف، وقوم بالفتح، وقوم بالإمالة وكذلك الإعراب واختلافه فى لغاتهم، والحركات واختلافها فى لغاتهم وغير ذلك. فتصفح كل قوم، وقرءوا على طبعهم ولغتهم ولغة من قرب منهم وكان فى ذلك رفق عظيم بهم وتيسير كثير لهم ا. هـ[2].

هذا قل من كثر، وغيض من فيض مما هو معروف لدى العلماء عن القراءات والقراء فمن أين لهذا الكاتب بتلك المقارنة التى لا تكافؤ فيها بين

---

(١) مناهل العرفان فى علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى ط عيسى البابى الحلبى جـ ١ ص ٤١٣ .

(٢) الابانة عن معانى القراءات لمكى أبو طالب تحقيق الدكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبى ط دار نهضة مصر للطبع والنشر ص ٨٠ .

المتقارنين على الإطلاق لأن ما في كتابهم المقدس من قراءات مختلفة إن كان مصدره تعدد اللغات وكبر حجم كتابهم عن القرآن وقدمه عنه بمدة طويلة من الزمان فان مصدر ما في الكتاب العزيز من قراءات مختلفة : هو الله عز وجل — كما قلنا — والمبلغ لها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم كما بينا فيها ثم هيهات أن يكون هذا مثل ذاك ، وليس بصحيح ما زعمه الكاتب من أن الكتاب المقدس قد خرج على الناس دون ما اصلاح ولا مراجعة ، ولم ينتشر القرآن بين الناس إلا بعد ما أصلحه عثمان وراجعه لأن النبي صلى الله عليه وسلم كانت تنزل عليه الآية أو الجملة من الآيات فيحفظها العدد الوفير من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، وهكذا حتى مضى المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى ربه والقرآن كله محفوظ في صدور جم غفير من الصحابة المنبثين في سائر الاقطار ومختلف الأمصار وجاء أبو بكر وعمر من بعده والقرآن يتلى بين الناس يقرئه الكبار للصغار ويحفظونه لهم بالليل والنهار حتى كون الآباء من الأبناء عددا أكثر وفرة وأعظم كثرة من حملة القرآن وحفظته فلما جاء عثمان ما نشر شيئا كان مخفيا ولا ذكر شيئا كان منسيا ، وإنما كتب مصاحف شهد الصحابة كلهم بصحتها كتابة وضبطا وألفاظا ونصوصا وجملا ، وقالوا فيها كلمتهم المأثورة ما بين دفتي المصحف كلام الله ، واتفقوا فيما بينهم على إحراق ما سواه .

كل ذلك بتواتر لم يشبه انقطاع وتوافق قد انعقد عليه إجماع ما فوقه إجماع ، وأما كتابهم المقدس فان أول أجزائه وهو التوراة قد نزل على

موسى عليه السلام ثم تعهده من بعده يوشع بن نون عليه السلام حتى إذا مات لعب أهل الهوى بكتابهم هذا وأولوه على ما يرضى هواهم ويوافق مطامعهم وشهواتهم ، وتركوا فرائضه كما أخبر الله عنهم فى القرآن بقوله (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا) مريم ٥٩

ولم تكن النصوص التى أنزلت التوراة بها أقل حظا فى اللعب والتأويل من الأحكام التى تضمنتها بل حرفوا النصوص وأولوها ، وإلى لغات كثيرة ترجموها ونقلوها ، فحدث فيها من تغيير العبارات وزيادة بعض الكلمات ، ونقص بعض الفقرات ما أدى إلى اختلاف المعانى وتضاربها .

وكذا الزبور جزؤه الثانى قد عومل نفس المعاملة فى المبنى والمعنى ، وأما آخر أجزائه وهو الأناجيل والرسائل فان نصوصها قد ألفت تأليفا ، وضمنها مؤلفوها ما رأوه حقا ينبغى أن يدعو الله إليه الناس ويطالبهم به وكتب كل واحد ما رآه وارتضاه بأسلوبه وطريقته ، وظلت هكذا يتداولها المتداولون فى عصور السرية المظلمة ويتناولها المصلحون بالتهذيب والتنظيم المرضى لأيدى الاضطهاد الظالمة ، وتتعاورها بالتأويل والتبديل عقول الأولك الأئمة حتى اجتمعوا وانفضوا ، ثم اجتمعوا وانفضوا ، وقبلوا منها ما قبلوا وردوا منها ما ردوا ثم قالوا فى النهاية رضينا بهذا لنا كتابا ، وبما فيه لنا دينا وترجموه إلى لغات مختلفات .

فهل يقال بعد هذا إن عثمان رضى الله عنه أصلح القرآن وراجعه قبل نشره والكتاب المقدس نشر على الناس غضا طريا هكذا منذ نزل دون ما إصلاح ولا مراجعة إن هذا لهو التبجح والغرور ؟

وما ذكره المؤلف من أن مفسرى الكتاب المقدس كانوا يشيرون إلى ما استغلق عليهم وظنوه مصحفا بعلامات بغية مراجعته واصلاحه لا ينفى ما ذكره العلامة الشيخ رحمت الله الهندى فى كتابه إظهار الحق من الأخطاء الكثيرة التى حيرت علماء النصارى وأربكتهم فاعترفوا أمامها بالعجز البين عن تأويلها وسلموا بوقوعها نتيجة لتصحيف المصحفين وتحريف المحرفين لأن هذه الأخطاء لو كانت قد صححت أو أصلحت لما حيرت المعنيين بهذا الكتاب الشغوفين ببحث حقائقه وفحص دقائقه .

مقارنة غير متكافئة :

ولا وجه للمقارنة التي عقدها المؤلف بين كلمة « تفتاى » التى ظنها المفسرون مصحفة لجهلهم بأصلها ومعناها حتى اكتشفوا أصل اشتقاقها ومبناها فى بعض الكتابات الارامية المكتشفة حديثا ، لا وجه للمقارنة بين هذه الكلمة وبين قول الله تعالى فى سورة « طه » (إن هذان لساحران) آية ٦٣ .

لأن هذه الآية ليست مجهولة الأصل والمعنى كالكلمة المقارنة بها من ناحية . ولأن ما فيها من إعراب المثنى المنصوب بالألف ليس خطأ يحتاج إلى تصحيح كما زعم الكاتب من ناحية أخرى بل هو بيان لحال من أحوال المثنى ومذهب من مذاهب أهل اللغة فيه .

وقبل هذا وبعد هذا فان كلام الله لا يقارن بكلام الناس ، فما اتخذ المفسرون وسيلة لتصحيح هذه الكلمة ولاشكوا فيها كما تصور الكاتب

وتخيل ولا صححوا قول الله تعالى « لا نفرق بين أحد من رسله » البقرة ٢٨٥ كما تزيد الكاتب وتقول بل هى قراءات نقلوها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لادخل لهم فيها إذ ما كان لأحد أن يصحح شيئا فى كتاب الله لأنه كله حق ونصه صدق ، كل حرف منه قد تنزل من عند الله دون ما أدنى شك فى ذلك فمن ذا الذى يصحح على الله كلامه ؟ قال تعالى عن نبيه (ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين) الحاقة ٤٤ : ٤٧ فما بالك بغيره من سائر المسلمين ؟ أيمكنه بعد ذلك أن يصحح فى كلام رب العالمين ؟

دفاع بالباطل عن الباطل :

ومن عجب أن يدافع المؤلف عن المتزيدين فى كتابه المقدس بأنهم ما قصدوا تحريف الكتاب ولا اتلافه وإنما انخدعوا ببعض الأضاليل مع أنه شديد الحرص على إظهار كتابه المقدس بمظهر السلامة من الآفات والعيوب والاتصاف بالتجلة والاحترام من أحبائه وأعدائه ولكنها الحقائق تجعل المعتدين عليها دائما يتخبطون عندما يواجهون بها وكيف لا والحق أبلج والباطل لجلج .

مزاعم ملفقة :

رابعاً : حاول المؤلف بذكاء أن يستخرج من كون اليهود والنصارى كثرة منبثة فى أقطار الأرض وكتابهم فى أيديهم ومن كون عثمان فى زعمه قد أحرق ما سوى مصحفه الذى حمل عليه المسلمين فى سائر الأمصار دليلا على سلامة كتابه المقدس من التحريف والتبديل فقال من ص١٢٩ : ١٤٢ خلاصته :

لو أن طائفة من اليهود والنصارى غلت مراجل الحقد والتعصب فى قلوبهم ضد الإسلام فتواطئوا على حذف مايتعلق بمحمد فى التوراة والإنجيل لعارضهم باقى اليهود والنصارى المنتشرين فى أرجاء المعمور وفى التاريخ من الشواهد على ذلك ماهو غاية فى الوضوح والظهور ، فقد سعى الهراطقة قبل محمد بزمن طويل إلى تحريف الكتاب بما يرضى أهواءهم فما أفلحوا فى مسعاهم هذا ولا نجحوا ، وأراد رجل من أهل العصور الأولى اسمه « ماركون » أن يحذف الإصحاحين الأولين من « بشارة لوقا » فلم يفلح لا بين الجمهور ولا بين فريق قليل منهم ولو أحرقت نسخ التوراة والإنجيل وحمل سلطان ما الناس على نسخة واحدة جمعها وأقرها كما أحرق عثمان نسخ القرآن وحمل الناس على مصحف واحد جمعه واختاره لكان الشك كبيرا فى تلك النسخة التى أجبر الناس على الخضوع لها لكن نسخ التوراة والإنجيل لم يصبها شىء من ذلك والحمد لله الذى لم يسلط مثل عثمان بن عفان على الكتاب المقدس وأهله . هذا بإيجاز ماذكره المؤلف وافتراه .

نقض هذه المزاعم وإبطالها .

وردا عليه فنقول :

إن كثرة اليهود والنصارى وانتشارهم فى سائر الأنحاء غير مانع من تحريف كتابهم هذا وتبديله لأن ما وقع فيه من هذا الأمر بعضه متعمد وبعضه غير متعمد فأما المتعمد منه ، فكان فى القرون الأولى طمسا للبشارات بنبى آخر الزمان وعنادا لما جاء به عيسى عليه السلام قبل أن تنتشر نسخ هذا الكتاب فى الآفاق ، ولا أدل على ذلك من تلك المجامع الكثيرة التى انعقدت فى أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الميلادى لتصفية هذا الكتاب ورد مالم يعجبهم منه وقبول ما أعجبهم (١)

وأما غير المتعمد فقد وقع فى هذا الكتاب نتيجة لكثرة الذين كتبوه دون تقيد بنصوصه لما وقر فى أذهانهم من كونهم ملهمين معصومين من الخطأ أثناء كتابتهم لما تحت أيديهم من أسفار هذا الكتاب وإضافتهم لما رأوه جديرا بالإضافة إليه من أسفار ، ونتيجة أيضا لترجمته إلى لغات كثيرة تختلف عن لغته الأصلية اختلافا بينا ، الأمر الذى جعل نصوص هذا الكتاب غير متوائمة ومعانيه غير متلائمة ، أضف إلى هذا كله ما كان يحدث من نسيان لبعض فقراته نتيجة لضياع نسخه الأصلية فى غمرة الأحداث العظام التى تعرض لها اليهود والنصارى على أيدى البابليين والرومان .

وأما ما كان من إحراق ما كتب من القرآن بعد كتابة المصحف الشريف

(١) راجع فى ذلك كتابنا العقائد المسيحية بين القرآن والعقل ص ١٢٧ الى ص ١٣٨ .

فلم يكن تضييعا لأصول هذا الكتاب العظيم كما يزعم أكثر النصارى، لأن الكتابة لم تكن الشيء المعول عليه فى حفظ القرآن ونشره بل المعول عليه فى ذلك هو الحفظ فى الصدور وما أحرق إنما هو ما كان قد كتبه الصحابة لأنفسهم للرجوع إليه عند اللزوم وكانوا قد أضافوا إلى هذا الذى كتبوه تفسيرا لبعض الآيات كما فعل ابن مسعود وغيره اعتمادا على أنهم كانوا يفرقون جيدا بين القرآن وتفسيره ، فلما كتب المصحف العثمانى بالتلقى من أفواه الصحابة ومراجعة جميع ما كتب من القرآن رأى المسلمون آنذاك أن يحرق ما عدا هذا المصحف حتى لا يأتى الجيل التالى فيخلط ما فيها من تفاسير بالنصوص القرآنية خلطا يدخل على الكتاب العزيز الشك والتشويش ففعلوا ذلك الأمر وهم عليه مجمعون وعنه راضون ، وعن اختيار واقتناع قدم كل ما عنده حتى يظل كلام الله فى الحرز الأمين والحصن الحصين بعيدا عن أدنى شوائب الريب والشكوك ، ولو أن الله تعالى أراد لكتابهم المقدس الحفظ الذى أراده للقرآن لجعل فيهم من هو على شاكلة أبى بكر وعمر ، وعثمان ، وغيرهم ، ممن أودعوا كتاب الله فى المهج وسويداء القلوب وذادوا عنه بالأرواح والأموال .

ولو أن الله تعالى أراد للقرآن أن يصاب بمثل ما أصيب به كتابهم لأوجد بيننا هلالا وشماى وشمعون وبولس ومن على شاكلتهم ممن كتبوا بأيديهم وقالوا هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا (فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) .

تساؤلات وتعليقات :

خامساً : تساءل المؤلف عن الفائدة التى يرجوها اليهود والنصارى من وراء هذه الفعلة المحرمة وهى تحريف كتابهم مع أن العقل والنقل يشهد أن عظم هذه الجريمة وفداحة إثمها فقد ورد فى العهدين القديم والجديد مايفيد أن دينونة هائلة تحيق بمن يحذف من الكتاب ماهو منه أو يزيد فيه ماليس منه [١] ثم قال ماخلاصته :

وفضلا عن كونهم لا يستفيدون شيئا من وراء عملهم هذا فانهم يضرون به أنفسهم وأبناءهم ، وأحفادهم جيلا بعد جيل ، وعدا هذا فإن محمدا قد أصبح ذا سلطان عريض يجعل طلاب الدنيا ومحبيها يتزلفون إليه بشتى الوسائل فلو وجد اليهود أو النصارى شيئا عن محمد فى كتابهم لأتوه به سراعا حتى ينالوا من حظوظ الدنيا ما ناله غيرهم من أتباعه لا أن يحرفوه ويمحوه من كتبهم فيعرضوا أنفسهم بغير داع لحرب عوان لا قبل لهم بها ويدفعوا الجزية عن يد وهم صاغرون كما فى سورة التوبة آية ٣٠ وينحدروا من مقام الحرية والمساواة إلى مقام الذمى الوضيع ، ويبيتوا هدفا للمذابح والفظائع كالتى جرت حتى فى القرن العشرين فى أطنة وما جاورها إلى آخر تلك المشاهد المؤلمة التى تمثلت على مسارح الإسلام جيلا بعد جيل بتحريض سورة التوبة على ألسنة حكام السوء وجمهور العوام بل ما تعرضوا له من تلك الفظائع وهذه الشنائع كان يمكن أن يفضى بهم إلى تحريف كتابهم لصالح محمد بإدخال ذكره فى كل صفحة من صفحات هذا الكتاب

---

(١) جاء ذلك فى العهد القديم ، سفر التثنية ٤ : ٢ وفى العهد الجديد سفر الرؤيا ٢٢ ، ٢٨ وما بعدها .

لكنهم اعتصموا بإيمان آبائهم وأبوا أن يردوا هذا المنهل الكدر ورضوا بالذل والهوان الذى تتمثل أبسط صورة فيما تزيل به خطب الجمعة من الدعاء على المسيحيين بقول الخطيب على منبره «اللهم رمل نساءهم ويتم أطفالهم وخرب كنائسهم وكسر صلبانهم واجعلهم وأموالهم غنيمة للمسلمين» .

فعدم إدخال اليهود والمسيحيين خبر محمد فى أسفارهم وقد بلغ محمد وخلفاؤه ما بلغوا من السلطان والملك ، لأعظم دليل عند من وهبهم الله العدل والانصاف على أمانة أهل الكتاب فى حفظهم كتابهم على أصله دون زيادة ولا نقصان .

ولو فرضنا أن طائفة من طوائف النصارى واليهود أضمرت السوء لمحمد حسداً وحقدا وحذفت خبره من الكتاب لا لدفع غرم ولا لجلب غنم بل على سبيل المكيدة لظهرت مكيدتهم للطوائف الأخرى ، وبادروا إلى إصلاح التحريف وردوا الكتاب إلى أصله سيما إذا لاحظنا ما بين اليهود والنصارى من تخالف لا يعرف التآلف من جهة ، وما بين طوائف النصارى من اختلاف لا يعرف الائتلاف من جهة أخرى .

هذا موجز ما ذكره الكاتب من ص ١٤٢ : ١٤٥

ردنا على هذه التساؤلات وتلك التعليقات :

وردا عليه نقول :

إن الذين تعمدوا تحريف هذا الكتاب والذين لم يتعمدوه لم يفعلوا ذلك حين فعلوه إلا حقدا وحسدا وكيدا وعنادا « فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين » البقرة آية ٨٩ .

وقد قلنا غير مرة إن ماوقع فى كتابهم هذا من التحريف المتعمد كان فى أوخر القرن الأول وأوائل القرن الثانى من ميلاد المسيح عليه السلام وعلى ما فعله القدامى ورسخوه ، درج المحدثون وساروا ، وزادوا عليه ما عرف عنهم بلى الألسنة بالكلمات وتأويل العبارات المكتوبة بما يوافق أهواءهم وأغراضهم ولم يكن رسول الله ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين قهارين للناس متسلطين عليهم كما افترى الكاتب وادعى بل نشروا هذا الدين بين الناس عامة وأهل الكتاب خاصة بالرفق واللين ؛ ألا ترى إلى قول الله تعالى لنبيه ولأمته « لا اكراه فى الدين » البقرة ٢٥٦ وأمره سبحانه لرسوله صلى الله عليه الصلاة والسلام بمجادلة الناس بالحسنى حيث يقول فى سورة النحل « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » آيه ١٢٥ .

ونهيه المؤمنين عن مجادلة أهل الكتاب خاصة إلا بالتى هى أحسن حيث يقول فى سورة العنكبوت « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن » آية ٤٦ .

وما كان القتال الذى أمرنا به فى القرآن والذى منه ما جاء فى سورة التوبة « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدوهم صاغرون » آية ٢٩ . إلا دفعا لعدوان المعتدين ، وحماية للحق من الآثمين المفسدين ، حتى يهلك من هلك عن بينة ، ويحى من حى عن بينة ، فالقول بأن محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن بعدهم كانوا على اليهود والنصارى متسلطين ولهم مضطهدين بتحريض سورة التوبة

على ألسنة حكام السوء وجمهور العوام قول باطل وافك مفترى جاءوا به ظلما وزورا (ألا لعنة الله على الظالمين) .

ولا أدل على صدق ما نقول من تلك المعاهدات التى تمت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ويهود المدينة حين هاجروا إليها ، وما نقضها المصطفى صلى الله عليه وسلم ولا اعتدى عليها بل كان ناقضوها هم اليهود وما أجداهم ذلك نفعا ولا أكسبهم هذا منعة بل تجرعوا كأس الغدر حتى الثمالة فضربتهم يد الحق ضربات قاصمة ، ومن تلك المناقشات الهادئة القيمة التى تمت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصارى نجران على النحو الذى ذكره الله تعالى فى بضع وثمانين آية من صدر سورة آل عمران والتى انتهت بدعوة هؤلاء النصارى إلى المباهلة فنكصوا على أعقابهم خائبين وارتدوا على أدبارهم خاسرين فلو كانوا يعلمون أنهم على الحق وأن كتابهم قد سلم من أصابع آبائهم الأقدمين ما رفضوا هذا التحدى السافر وآثروا عليه الخنوع والخضوع ودفعوا الجزية عن يد وهم صاغرون .

ومن أكبر الأدلة على صدق ما نقول أيضاً عفو المصطفى صلى الله عليه وسلم عن أهل الشرك المحاربين للاسلام والمسلمين يوم فتح مكة بقولته المأثورة « اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

ولو فرضنا أن أحدا يقول كان هذا فى فترة قوة محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه قلنا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لم يخفوا كلمة مما أنزل الله لا فى فترة ضعفهم ولا فى فترات قوتهم ألا ترى إلى المسلمين حين كانوا فى الحبشة فارين بدينهم من وجه الظلم والطغيان وأراد عمرو بن العاص

الذى أرسلته قريش إلى ملك تلك البلاد « ليرد هؤلاء إلى أهليهم وعشائرهم حتى يفعلوا بهم مايشاءون » أن يؤلب هذا الملك وأعوانه عليهم فقال له إن هؤلاء يقولون فى عيسى وأمه قولا عظيما فلما دعاهم ليسمع منهم ما يقولون لم يخفوا شيئا بل قرءوا عليه صدر سورة مريم حتى قوله تعالى « ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون » آية ٣٤ قال التاريخ الصحيح فبكى الملك حتى اخضلت لحيته وبكى من حوله من أساقفته ثم قال إن هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة وأسلم بعد ذلك فلو كان النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه معتدين متسلطين مزورين لأخفوا الحقائق عن ملك الحبشة فى فترة ضعفهم ولجوئهم إليه ولقهروا الناس وأجبروهم فى فترات قوتهم على الإيمان بما جاء به محمد ودعا إليه، لكن ذلك كله لم يحدث ولم يكن بل الذى كان حقا ونطق به التاريخ صدقا هو أن علماء أهل الكتاب من اليهود والنصارى كعبد الله بن سلام وأصحمة نجاشى الحبشة ومن على شاكلتهما من الأحبار والرهبان قد أعلنوا عن يقين بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادة الصدق بالإيمان والادعان الكامل لما جاء به القرآن دون جبر وقهر ولا تسلط أو قصر فكيف يستجيز الكاتب لنفسه والتاريخ ناطق بهذا كله وبغيره أن يدعى أن عدم إدخال اليهود والنصارى لاسم محمد صلى الله علية وسلم فى كتابهم رغم المغريات الكثيرة والاضطهادات الشديدة لهو أعظم دليل على عدم تحريفهم لكتابهم .

ولئن كان دعاء الخطباء على المنابر بتشتيت النصارى وتخريب كنائسهم وتكسير صلبانهم قد أسخط الكاتب وأغضبه ، أفما أسخطه وأغضبه أيضا اعتداء النصارى قديما على بيت الله الحرام حين ذهبوا لهدمه تحت لواء أبرهة الأشرم قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم واعتداء اليهود حديثا على المسجد الأقصى باحراقه على مرأى ومسمع من العالم كله دون أدنى التزام بمبادىء الحلال والحرام وما بين هذا وذاك من تسلط اليهود والنصارى على خيرات ومقدسات أهل الإسلام ؟

وليس هذا الدعاء قصاصا منا وإنما هو دعاء على الباطل وأعوانه حتى يزهقه الله ويذهب به تحقيقا لقوله تعالى « إن الباطل كان زهوقا » آية الأسراء ٨١ .

وقوله سبحانه « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون » الأنبياء آية ١٨ .

إذ لو كان قصاصا لما اكتفينا بالقول عن الفعل ولجاوز هذا الدعاء هدمنا لكنائس النصارى ومعابد اليهود ، ولكن الواقع هو أن عمر أمير المؤمنين وهو الفاتح المنتصر من قبل الحق المبين ، لم يهدم الكنيسة بل لم يصل فيها حتى لا يقال هنا صلى عمر فتحول الكنيسة إلى مسجد تقام فيه شعائر المسلمين ولم يمنع الحكام المسلمون يهود بلادهم ونصاراها من إقامة معابدهم فيها ، بل ممارسة شعائرهم وطقوسهم بداخلها ، فما لذى أغضب الكاتب من هذا الدعاء وأسخطه ؟ إن كان مخافة استجابته فهو وأمثاله إذن على باطل وإن كان مخافة بأس الداعين وسطوتهم فهذا أمر

لم يقل به قائل وما استدل به الكاتب على صحة كتابه من اختلاف اليهود والنصارى ليس فى رأينا بدليل لأن مرد اختلافهم فى أصول عقائدهم هو فى الحقيقة تحريف أسلافهم القدامى لأصول هذا الكتاب ونصوصه الأمر الذى أدى بهم إلى عقد المجالس والمجامع لقبول أسفارهم من هذا الكتاب ورد أسفار وإضافة أسفار أخرى ، ثم قبول ماردوا ورد ما قبلوا ، فى مجامع أخرى على ما بيناه فى الفصل الأول من هذا البحث وفى كتابنا العقائد المسيحية بين القرآن والعقل.

افتراء على التاريخ :

سادسا : ذكر الكاتب من ص ١٤٥ : ١٤٧ ما موجزه أن المؤرخين العظماء الذين نبغوا قبل عصر محمد وأثنائه وبعده قد دونوا فى تواريخهم أحداثا كثيرة لم نجد بينها ما يفيد حذف اليهود والنصارى لخبر محمد من كتبهم ، وأن اليهود والنصارى كانوا منتشرين فى أرجاء المعمور من الأرض وكتابهم معهم يترجمونه إلى لغة البلد التى يدخلها وينتشر فيها فلو أرادوا تحريف هذا الكتاب لكان عليهم أن يجمعوا نسخه من شتى بقاع الأرض ليثبتوا فيها ما أرادوا تحريفه وهذا أمر لا يقول به أحمق جاهل فضلا عن إنسان سوى عاقل .

دحض هذا الافتراء .

وتعليقا على هذا الكلام نقول : إن التاريخ قد أثبت فى طيات صفحاته اعتداء اليهود والنصارى على كتبهم لا سيما فى العصور الأولى وإذا

أراد أحد أن يطلع على هذا فليقرأ تاريخ يوسيفوس الذى كتب فى أواسط القرن الأول الميلادى وفى المنطقة التى اضطهد فيها المسيح عليه السلام فانه سوف يجد أن المؤرخ اليهودى يوسيفوس قد أغفل أخبـار عيسى عليه السلام فلم يذكر شيئا منها رغم معاصرته له ، الأمر الذى يدل على عناد اليهود للمسيحية عنادا جعلهم يطمسون خبر عيسى عليه السـلام ويعبثون بكل ما ينبىء بشىء عنه أو عمن سيأتى بعده من الأنبياء .

وليقرأ أيضا تاريخ المجامع الكنسية فانه سوف يجد من الأخبـار المؤكدة والأنباء الموثقة ما يدل دلالة واضحة على أن اليهـود قد حرفوا التوراة وجرى اتهامهم بذلك على ألسنة النصارى كما بينه المؤلف نفسه وعلى أن النصارى قد كتبوا عن عيسى ما حلا لهم أن يكتبوه ، وزين لهم الشيطان أعمالهم فظنوا ما كتبوا كلاما إلهيا وقدسوه ، وكل هؤلاء وأولئك كانوا يعرفون من التوراة الصحيحة ومن بشارات عيسى الواضحة خـبر نبي آخر الزمن فيخفون ما يستطيعون إخفـاءه تارة ويحرفون ما يستطيعون تحريفه تارة ويلوون ألسنتهم بما لم يبدلوه تارة أخرى .

ثم انتشرت بين الناس فى عصور الظلام والجهل هذه الكتب الملفقة على أنها كتب إلهية يجب على الناس أن يؤمنوا بها حتى ينقذوا أنفسهم من عذاب الله .

وترجمت هذه النصوص المؤلفة إلى لغة كل بلد حمل إليه هذا الكتاب ونشر فيه ولما جاء عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وخارج على الناس

بما يخرجهم من الظلمات إلى النور قاوم اليهود والنصارى دعوة الله الصادقة بأكاذيب صنعوها وأضاليل اختلقوها ففشلوا ولم يفلحوا وأحنوا الرؤوس أمام موج الحق الهادر . وبرهانه الواضح السافر فى خبر محمد بن عبد الله وأمره حيث بين لهم الله عز وجل أن هذا النبى الذى كتموا أمره تارة وأولوا الخبر عنه تارة وبدلوا بعض النصوص المبشرة به تارة أخرى وهم مع ذلك يعرفونه كما يعرفون أبناءهم فقال تعالى (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وأن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) البقرة ١٤٦

وقال سبحانه مادحا المؤمنين من أهل الكتاب (الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون) الأعراف ١٥٧

وقال ذاما الجاحدين من أهل الكتاب : (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) البقرة ٧٩

اعتراض الكاتب على المسلمين :

سابعا : اعترض المؤلف على علماء الإسلام من ص ١٤٧ : ١٤٨ بأنهم

يحاولون أن يثبتوا وجود البشارات بمحمد فى التوراة والإنجيل ، رغم اتهامهم لليهود والنصارى بالتحريف والتبديل ومثل لذلك بما هو معروف لدى العلماء من أن المراد بالفارقليط الموعود بإرساله في بشارة يوحنا ١٦ : ٧ هو محمد (صلى الله عليه وسلم) الذى ذكر القرآن بشارة عيسى عليه السلام به فى سورة الصف آية ٧ حيث يقول « ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد ثم قال وكما أن محمداً (صلى الله عليه وسلم) ادعى أنه الفارقليط الذى وعد المسيح بإرساله ادعى من قبله هذه الدعوى عينها مانى الفارسى كما يعلم ذوو الاطلاع وبنى دعواه على آية المسيح المشار إليها وتبعه فيها نظر بعض المسيحيين ولما اتضح على توالى الأيام أنى دجال واضمحلت شيعته لم يحذف المسيحيون هذه الآية التى استعان بها على ضلالته وهاك هى موجودة فى الإنجيل إلى اليوم .

ردنا على هذا الاعتراض :

ورداً على مثل هذا الاعتراض نقول : إن علماء المسلمين يعلمون جيداً من القرآن الكريم أن من التوراة ما أخفى ومنها ما أول ومنها ما بدل ، وأن وصايا عيسى عليه السلام وتعاليمه قد كتب جلها تحت ظلال سيوف التسلط والقهر ، والمطامع والشهوات والمصالح والنزوات ، فجاء بعضها حقاً وجاء بعضها الآخر زوراً وزيفاً وترك جزء ثالث لا نعلم من أمره شيئاً .

فلما بحث علماء الإسلام الراسخون فى العلم ، هذه الكتب ونقبوا فيها وجدوا ما أخبرهم به القرآن حقاً حيث وقعوا على عبارات تحمل فى طياتها البشارات برسول الله صلى الله عليه وسلم صدقاً ، كما فى بشارة يوحنا التى

ضربها المؤلف لهذا الأمر مثلا والتى بينا وفصلنا الحديث عنها فى هذا البحث ووقفوا على عبارات أخرى تشير إلى عبث العابثين وزيف الزائفين . ففصلوا بين هذا وذاك وماوزوا الصحيح من غيره قدر الجهد والطاقة ، ووضعوا النقط على الحروف ، ليكون فى ذلك ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

فلا وجه إذا لاعتراضه هذا على علماء الإسلام .

ومن الكفر البواح ، والكذب الصراح ما زعمه الكاتب لعنه الله من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل مانى الفارسى فى دعواه أنه الفار قليط المبشر به من عيسى عليه السلام لأن مانى هذا قد أثبتت الأيام كذبه ودجله وما ذكر التاريخ عنه معجزات إلهية تصدقه فى دعوى النبوة والرسالة ولا ترك أثرا يدل على أنه نبى أو رسول ، أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فما كان أفاكا ولا دعيا ، بل كان رسولا نبياً ، واجه الناس بقول يحق ، وكلمة الصدق ، وأجرى الله على يديه من المعجزات الحسية والمعنوية ما يؤيده به فى دعوى النبوة والرسالة ، فمن أين لهذا الكاتب بتلك المقارنة وكيف استباح لنفسه أن يوازن بين محمد عليه الصلاة والسلام خاتم الرسل والأنبياء ، وبين مانى الفارسى حامل لواء الدعوة إلى الإباحية فى الهواء والماء والنساء وإلى نبذ التوحيد وتعدد الآلهة ، ومن الكفر الفظيع والإفك الشنيع أيضا أن يظن الكاتب أن عيسى عليه السلام هو الذى أرسل الفارقليط أو وعد بإرساله ، إذ ما كان لعيسى عليه السلام وهو عبد من عباد الله أن يرسل نبياً آخر أو يعد بإرساله من نفسه لأن المرسل

للأنبياء والرسل هو الله عز وجل كما صرح به عيسى نفسه غير مرة فيما نقلها عنه من وصايا وتعاليم ، وكما صرح به الحق عز وجل غير مرة فى القرآن الكريم فكيف يستجيز الكاتب لنفسه أن يجعل من عيسى إلها يرسل الرسل ويصطفى الأنبياء إن ذلك لهو الافك المبين .

قياس ملفق للتدليل على صدق الكتاب المقدس :

ثامنا : قال المؤلف من ص ١٤٨ : ١٥٠ ما خلاصته :

اطلع اليهود فى توراتهم على آيات كثيرة يودون أنها لم تكن موجودة فيها منها ما يدل على المسيح دلالة واضحة لا يجدون معها سبيلا إلى التخلص مما ألزمهم به المسيحيون بواسطة هذه الآيات من الحق المبين كما فى سفر التكوين ٤٩ : ١٠ وسفر التثنية ١٨ : ١٥ و ١٨ وسفر المزامير ٢٢ : ١٤ ـ ٨ وسفر أشعياء ٧ : ١٤ و ٩ : ٦ و ٧ و ١١ : ١ ـــ ١٠ و ٥٢ : ١٣ الخ وص ٥٣ كله وسفر دانيال ٨ : ١٣ و ١٤ و ٩ : ٢٤ ـ ٢٧ وسفر ميخا ٥ : ٢ وسفر زكريا ١٢ : ١٠) قابل هذه النصوص الجلية بما ورد فى الأنجيل (بشارة لوقا ٢٤ : ٢٥ ـــ ٢٧)

ومنها ما يشهر بفظائعهم وجرائمهم المتناهية فى القبح فلو كانوا حرفوا توراتهم بخصوص محمد لكان الأولى بهم أن يحرفوا ما جاء فيها عن مسألة المسيح وعن غيرها من المسائل الاخرى التى تظهر سوء فعالهم وقبح أعمالهم لكنهم لم يفعلوا ذلك عملا بما أوصاهم الله به من المحافظة على التوراة والعناية بها فى سفر يشوع (١ : ٧) وفى سفر التثنية (٤ : ٢ و ١٢ : ٣٢) وخوفا من أن تسقط منها كلمة أو حرف أحصوا كلمات كل سفر وحروفه

وقيدوا الإحصاءات فى كتبهم الدينية ليرجعوا إليها عند اللزوم .

ومعلوم أن نسخة التوراة المتداولة بين اليهود هى عين النسخة المتداولة بين النصارى وكلتاهما تطبعان فى مطبعة واحدة ، ولئلا يظن أن اليهود ربما غيروا توراتهم قبل المسيح ثم أخذها المسيحيون عنهم مغيرة وضموها إلى الإنجيل فصارا نسخة واحدة أقول ان القرآن قد رد على هذا الاعتراض حيث شهد أن عيسى مصدق لما معه من التوراة ثم إنه لا المسيح ولا رسله اتهموا اليهود بتهمة التحريف ، مع أنهم شهروا باليهود فى غير هذه المسألة بل الثابت أن الإنجيل قد شهد للتوراة بأنها موحى بها من الله كما فى متى ٥ : ١٧ و ١٨ و ٢٢ : ٣١ و ٣٢ وبشارة مرقس ٧ : ٦ — ١٠ وبشارة لوقا ١١ : ٢٩ — ٣٢ و ٢٤ : ٢٥ — ٢٧ وبشارة يوحنا ٥ : ٣٩ و ٤٥ — ٤٧ ورسالة بولس الرسول الثانية إلى تيموثاوس ٣ : ١٦ » من هذه الآيات البينات يتضح أنه فى عصر المسيح ورسله قبلت التوراة لديهم كتابا موحى به من الله ليس به مساس من مظنة التحريف والتغيير لأنه لو حرفها اليهود لكان المسيح وبخهم علانية على هذا الشر العظيم ولأشار بلا شك إلى مواضع التحريف وأصلحها لتبقى صالحة للاستعمال فى كنيسته .

وهذه النظرية ذاتها تثبت عدم ضياع التوراة وعدم تحريفها عند خراب أورشليم فى زمن بختنصر والأسر البابلى ولو حدث شىء لكان المسيح بين الحقيقة ، هذا ملخص ما ذكره الكاتب فى تلك المسألة .

بيان فساد هذا القياس وتلفيقه :

ورداً عليه نقول لا علاقة بين تحريف اليهود لما جاء فى التوراة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين عدم تحريفهم لما جاء فيها من المسائل الأخرى التي تظهر قبائحهم كمسألة البشارة بعيسى عليه السلام وما ماثلها لأن الذي حمل اليهود على تحريف ما جاء من البشارات برسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة أو إخفائه أو لىّ الألسنة به إنما هو حقدهم العنيف على فرع إسماعيل بن هاجر الجارية وخوفهم الشديد من انتقال النبوة من اسحاق وأبنائه إلى واحد من أولاد اسماعيل لأن زوال هذه الصفة عنهم وانتقالها إلى غيرهم يعنى أنهم سوف يصيرون بالضرورة تابعين لا متبوعين مقودين لا قائدين ، وهم لا يرضون بمثل هذا الأمر أبدا إذ كيف يرضون به وهم الذين يزعمون أنهم شعب الله المختار ، وأبناء الله وأحباؤه وأصفياؤه من خلقه وأخلاؤه ، من أجل ذلك سولت لهم أنفسهم التقحم على جلال التوراة وقدسها بتحريف ما فيها من البشارات برسول الله صلى الله عليه وسلم أو طمسها ، أما ما فيها عن عيسى فذلك أمر لو حرفوه أو أنكروه لألغوا بذلك امتداد النبوة فيهم واتصالها بهم وكونهم قد عاندوا المسيح وعادوه بعد ذلك وحاولوا صلبه فليس إلا لأنه جاء بما يخالف هواهم ولا يرضى أغراضهم ومطامعهم ، إذ ما كان لعيسى عليه السلام أن يتقول على الله ما لم يقله حتى يرضى اليهود ويطمئن خواطرهم بل كان عيسى أميناً على رسالة السماء فأعلن فى صراحة ووضوح أمام اليهود وغيرهم البشارة بخاتم الأنبياء والمرشد الذى على الإنسانية جمعاء أن تتبعه وتؤمن برسالته فأغضب هذا

اليهود إغضاباً حملهم على معاداة المسيح وعناده والتشهير به وبأمه عليهما السلام والسعى الحثيث فى النهاية إلى قتله كما هى عادتهم مع سائر الأنبياء والمصلحين ، فالقــول بأن اليهود لو حرفوا ماخص به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة لكان الأولى بهم أن يحرفوا ما جاء فيها عن عيسى أو غيره قول خلط فيــه قائله بين الحق والباطل فصار غير مستساغ ولا مقبول .

ولا يفوتنا فى هذا المقام أن نشير إلى أن بعض النصوص التى زعم الكاتب أنها تبشر بعيسى عليه السلام ليست كذلك ، بل هى أوضح دلالة على التبشير برسول الله صلى الله عليه وسلم كالنص الوارد فى سفر التثنية إصحاح ١٨ : ١٥ ــ ٢٣ فإنه بين الدلالة على البشارة برسول الله صلى الله عليه وسلم على ما بيناه فى هذا البحث فى الفصل الأول وأما القول بأن عيسى عليه السلام لم يتهم اليهود بالتحريف فى التوراة فهو قول لا يمكن القطع بصحته لأن عيسى سلام الله عليه لم يترك شيئاً مكتوباً بخطه أو مملا منه على أصحابه أو مدوناً باقراره وعلمه ، بل كان يشافه الناس بتعاليمه ووصاياه فيحفظون بعضها وينسون بالضرورة بعضها الآخر ، كما أشار إليه يوحنا فى آخر إصحاحات إنجيله حيث يقول « هــذا هو التلميذ الذى يشهد بهــذا وكتب هــذا ونعلم أن شهادته حق وأشياء أخرى كثيرة صنعها يسوع إن كتبت واحدة واحدة فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة . آمين » .

وكما ذكره الله تعالى صراحة فى القرآن الكريم حيث يقــول عن

النصارى فى الآية الرابعة عشرة من سورة المائدة : « ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به » فلا يبعد أن يكون وصف المسيح عليه السلام ليهود بالتحريف فى التوراة مما نسى ولم يدون ضمن تعاليم عيسى ووصاياه ، على أننا بمراجعتنا لما استدل به الكاتب من فقرات الأناجيل على كون المسيح لم يتهم اليهود بالتحريف والتبديل قد وجدنا فيها مايفيد أنه عليه السلام نعى على اليهود أنهم يعلمون تعاليم هى وصايا الناس وليست وصايا الله وأنهم مارفضوا وصية الله وتركوها إلا ليحفظوا تقاليدهم حيث يقول مانصه « وباطلا يعبدوننى وهم يعلمون تعاليم هى وصايا الناس لأنكم تركتم وصية الله وتتمسكون بتقاليد الناس غسل الأباريق والكؤوس وأمورا أخرى كثيرة مثل هذه تفعلون ثم قال لهم حسنا رفضتم وصية الله لتحفظوا تقليدكم[(١)] .

أفلا يجد المتأمل فى مثل هذا النص ما يشير إلى أن اليهود باعتراف المسيح عليه السلام قد فعلوا بكتابهم مثل ما يفعل غاسل الكأس والإبريق .

ورفضوا وصايا الله وتعاليمه التى منها البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم نبى آخر الزمان حرصا منهم على تقاليدهم المتوارثة ومحافظة على ماوصفوا به أنفسهم من كونهم أبناء الله وأحباؤه وشعبه المختار المفضل على العالمين .

وأما أن رسل المسيح عليه السلام لم يتهموا اليهود بتهمة التحريف

---

(١) انجيل مرقس اصحاح ٧ فقرات ٧ : ٩

هذه فلعل مرد ذلك إلى كونهم قد حملوا من التـــوراة والإنجيل كتاباً واحداً لهم فلو أقروا بتحريف اليهود للتوراة لـكان عليهم أن ينبذوها وراء ظهورهم ولا يؤمنو بها على أننـــا نلاحظ أن من أسفار التوراة ما ردته بعض المجامع الكنسية ولم تقبله ومنها ما قبلته بعض تلك المجامع وارتضته ، ومجامع أخرى ردت ما قبلته المجامع السابقة ورفضته ، وقبلت ما ردته المجامع السالفة وارتضته على ما بينا طرفاً منه فى بحثنا هـــذا أفلا يدل هذا وغيره على أن أولئك المجتمعين وأمثالهم كانوا يعلمون مافعل بالتوراة من التزييف والتحريف ... ...

براهين المسلمين على تحريف الـكتاب المقدس ورد الـكاتب عليها :

تاسعاً : ذكر المؤلف من ص ١٥٠ : ١٥٦ براهين بعض علماء المسلمين على إثبات وقوع التحريف فى التوراة عمدا ورده عليها فقال ماخلاصته :

يدعى بعض كتاب المسلمين [(١)] أنه فى وسعهم أن يثبتوا وقوع التحريف فى التوراة عمدا بالبراهين الآتية :

البرهان الأول وإبطال المؤلف له :

تعيين الآيات المحرفة فى التوراة كـكلمة « جبل عيبال » الواردة فى النسخة العبرانية تث ٢٧ . ٤ فانها فى النسخة السامرية « جبل جرزيم » « لا جبل عيبال » وردا على هذا يقول الـكاتب إن كلمة جبل عيبال ليست مكتوبة فى النسخة العبرنية وحدها ، بل هى موجودة فى كل التراجم

(١) مراده بالتحديد هو الشيخ رحمت الله الهندى .

القديمة كالترجمة السبعينية واللاتينية الدارجة والسريانية والباشطا والأرمنية والحبشية ، وعليه فالعبارة الأصلية « جبل عيبال » كما فى الأصل العبرانى لا جبل جرزيم كما فى النسخة السامرية التى حرفها السامريون لرغبتهم الخصوصية فى الجبل الذى سموه بهذا الاسم ومع كونهم حرفوا نسختهم فى هذه الكلمة انحصر التحريف فيها ولم يتعد إلى النسخ الأخرى المعتمدة عند طوائف اليهود وطوائف النصارى ويحتمل وجه آخر فى هذه المسألة ربما ظن الكاتب الذى نقل النسخة السامرية عن العبرانية أن الكاتب الاول كتب « جبل عيبال » سهوا عوضاً عن جبل جرزيم لمناسبة ماورد فى عدد ١٢ من ذلك الاصحاح ما مؤداه أن بعضا من الأسباط الاثنى عشر يقفون على جبل جرزيم ويباركون الشعب والبعض الآخر يقفون على جبل عيبال وينطقون باللعنات على من يرتكب تلك المعاصى المذكورة هنالك ويقول الشعب آمين فمن المحتمل أن كاتب النسخة السامرية ظن أن المقصود هو جبل البركات لاجبل اللعنات وعلى كل حال فان السامريين لم يقدروا أن يعمموا هذا الخطأ أو التحريف إلا فى دائرتهم الخصوصية (إن صح أنه تحريف) ولو كان اليهود هم الذين حرفوا نسختهم لا السامريون لكان الأولى بهم أن يحرفوا عدد ١٢ لا عدد ٤ .

ثم أننا قد أشرنا فى ما تقدم إلى الخلاف الموجود بين النسخة السامرية والنسخة العبرانية والترجمة السبعينية من حيث أعمار بعض البطارقة الأولين فى إصحاح ٥ و ١٠ من سفر التكوين وفى الغالب يجب أن يحمل هذا

الخلاف على محمل الخطأ لأن الأرقام قابلة للخطأ حيث يسهل أن يحل بعضها محل الآخر ومن البين أن اختلاف النسخ فى الأرقام لا يمس جوهر الكتاب فى شيء .

هذا هو رد الكاتب على تلك الحجة البينة وذلك البرهان الواضح . .

إبطالنا لهذا الرد :

وها أنت ذا ترى أن نيافته لم يستطع إنكار التحريف بل أقر به ونسبه إلى السامريين و كان عزاؤه الوحيد فى ذلك أنهم فى نظره لم يستطيعوا تعميم هذا التحريف فى سائر النسخ ، واعتذر عن مابين النسختين العبرية والسامرية من التفاوت فى أعمار الأقدمين بأنها أرقام والأرقام قابلة للخطأ فيها فلعل هذا التفاوت من خطأ النساخ أثناء النسخ فكيف يتجرأ المؤلف بعد ذلك أن يدعى ألا تحريف فى التوراة و الإنجيل .

البرهان الثانى ورد المؤلف عليه :

ما أثبته العلماء المسلمون كالشيخ رحمت الله الهندى وأمثاله من وجود اختلاف كثير بين أسفار الكتاب المقدس الأمر الذى يدل دلالة قاطعة على تحريفه ووقوع التفاوت فيه ورد المؤلف على هذا بقوله إن الكتاب المطلعين ذوى العقول الراجحة والأفكار النيرة يسلمون أنه ان كتب كاتبان أو أكثر عن واقعة و كتبها كل منهم بمعزل عن الآخر تأتى كتابتهم مختلفة اختلافا ظاهرا ، ولكن أن اتفقوا فى كتاباتهم اتفاقا تاما يستدل من اتفاقهم هذا على أنهم متواطئون .

أما البسطاء فيشتبه عليهم ظاهر الاختلاف بين سفر وآخر ويعثرون في صحة الأسفار أما المطلعون فيعلمون أصله ويحلونه حلا جميلا وشبه الاختلاف بين أسفار الكتاب المقدس أعظم دليل على أمانة أهله وإلا لكانوا أزالوه منه لكي لا يبقى عرضة لانتقاد المنتقدين ، ومن أمثلة شبه الاختلاف ما ورد عن نسب المسيح في بشارة متى ص١ وبشارة لوقا ص٣ وما ورد عن موت يهوذا في بشارة متى ٢٧ : ٥ وسفر الأعمال ١ :١٨و١٩ فلو كان استيباح أهل الكتاب التحريف لكانوا وفقوا بين هذه المواضع من كتابهم .

تعليقنا على هذا الكلام

وتعليقا على هذا نقول مايكون من اختلاف في الكتاب نتيجة لاختلاف الكتاب إنما يحدث في كتب الناس التي يتداولها المتداولون بالنسخ والتدوين أو الشرح والتبيين ، أما كتاب الله فالمفروض في نقلته أنهم أمناء على كل كلمة فيه فهما نسخوه لا يخرج مختلفا لا في الظاهر ولا في الباطن كالقرآن الكريم تعددت في آفاق الأرض نسخه وتعدد في أرجاء الدنيا نساخه ومع ذلك فهو هو ليس فيه أدنى اختلاف لا من هذا الوجه ولا من غيره ، وليس الاختلاف الكائن في الكتاب المقدس دليلا على عظم أمانة أهله كما زعم الكاتب وادعى ، لأن منشأ هذا الاختلاف إنما هو تداول الناس للكتاب المقدس بالترجمة والنقل من نسخة إلى نسخة وإضافة ماعن لهم من الكلمات إليه وترك ما غمض عليهم منه دون ما رعاية لقدسيته وجلاله ، فعجيب أن يجعل مثل هذا دليلا على الصدق والأمانة بدلا من أن يكون عنوانا للكذب والخيانة .

البرهان الثالث ودفع المؤلف له :

من الأدلة على عبث العابثين بالإنجيل أنه مشتمل على آيات لم تكن قديماً موجودة فيه ثم ألحقت به بعد ذلك مثل مافى (إنجيل مرقس ١٦ : ٩) إلى ٢٠ وما فى إنجيل يوحنا إصحاح ٥ : ٣ إلى ٧ وإصحاح ٥٣ ٨ : ١١ ومافى رسالة يوحنا الأولى ٥ : ٧.

ودفعاً لهذا الاحتجاج يقول المؤلف :

هذه الآيات وإن لم تكن موجودة فى متن النسخ الأكثر أقدمية إلا أنها كانت موجودة على الهامش فأدمجها الناسخ فيه بسلامة نية ، وسواء أصاب فى ظنه أو أخطأ فإن هذه الآيات من أولها إلى آخرها وجودها وعدمه لا يؤثران فى جوهر الكتاب ولا فى أقل عقيدة من عقائد الكنيسة لأن الحقائق الأساسية التى تضمنها مستوفاة بأكثر تفصيلا فى مواضع أخرى من الكتاب ، وبالنسبة لهذه المسألة يوجد فرق عظيم بين الكتاب والقرآن فان المطلعين من المسلمين يعلمون أن فريقا من الشيعة قد أثبتوا أن عمر بن الخطاب الخليفة الثالث غير جملة آيات من القرآن بسوء النية والقصد ليخفى عن المسلمين حقيقتين هما من الأهمية بمكان ، الأولى : هى يجب أن يكون علىّ صاحب الخلافة بعد محمد صلى الله عليه وسلم والحقيقة الثانية يجب أن تحصر الامامة فى ذريته ويدعى فريق آخر أنه أسقط من القرآن سورة بجملتها يقال لها سورة النورين للغاية المشار إليها أما نحن فلا يهمنا التحرى عما إذا كانت هذه الدعوى قرينة الصواب أومختلفة ولكن تهم أهل السنة من المسلمين لأنه إن كانت سورة النورين من القرآن حقيقة يكون ما أشقاهم

وأسوأ حظهم لأنها تنذرهم بسوء العاقبة كما فى قوله « إن لهم فى جهنم مقاما عنه لايعدلون » وكتب ميرزا محسن بكشمير فى مؤلف له سنة ١٢٩٢ هجرية يسمى (داستانى مذاهب سوره النورين) وذكر أن بعض الشيعيين يؤكدون بأن عثمان عندما أحرق المصاحف القديمة وأمن على نفسه مناقشة الحساب عمد إلى النسخة التى كانت بين يديه وشطب منها كل ما كان من مصلحة على بن أبى طالب وذريته من السيادة والإمامة وقال ان بعضا من العلويين ينكرون القرآن المتداول اليوم ولا يسلمون بأنه هو الذى نزل من الله على محمد صلى الله عليه وسلم كما يعتقد المسلمون بل يقولون انه اختلقه أبو بكر وعمر وعثمان نعم إن لدى العلماء المحققين من الأدلة ما يكفى لدحض هذه الدعاوى الباطلة غير أنهم لا يسعهم إلا التسليم بأن هذه التهم الشائنة صوبها نفس المسلمين إلى القرآن والذى يهمنا من المسألة أن هذه التهم فى اعتبارهم محلة بجوهر الخلاص لكل فرد من المسلمين إن كان فى الإسلام خلاص فى حين أن الدعاوى المزعومة على كتابنا المقدس محصورة فى آيات قليلة وهى التى سبقت الإشارة إليها إن حذفت من الكتاب أو زيدت عليه لا تخل بشىء من عقائد الدين والخلاص على الإطلاق (لأنها عرضية لا جوهرية) .

بيان فساد هذا الدفع وبطلانه :

وتعقيبا على هذا الكلام نقول : لم يسع الكاتب أمام تلك الحقائق البينة إلا أن يعترف بأن هذه الآيات لم تكن موجودة فى متون الأصول القديمة للأناجيل ثم ألحقت بها بعد ذلك وزعم — تبريرا لهذا العبث

الواضح — ان هذه الآيات كانت موجودة على الهامش ثم أدرجها النساخ فى المتن سهواً .

وهذا يعنى أن النساخ قد أدخلوا فى الكتاب ما ليس منه ان كان المكتوب على الهامش ليس من نصوص هذا الكتاب ، أو أن القدامى قد فصلوا عن الكتاب ماهو منه بتدوينهم له فى الهامش لا فى الأصل إن كان المدون على الهامش من أصول هذا الكتاب وكلا الأمرين عبث ينبغى أن يتنزه عنه كتاب إلهى زعم أهله أنهم حافظوا عليه وقدسوه ، وأن تلك الآيات من أولها إلى آخرها سواء أدرجت فى الكتاب سهواً أو عمداً وسواء أكان إدراجها فيه صواباً أو خطأ لا يؤثر وجودها أو عدمه فى جوهر الكتاب المقدس ولا فى أقل عقيدة من عقائد الكنيسة لأن الحقائق الأساسية التى تضمنتها هذه الآيات مستوفاة بأكثر تفصيلا فى مواضع أخرى من الكتاب .

وهذا يعنى أن آيات كتابهم المقدس درجات ، بعضها لا أثر له على الاطلاق فى جوهر الكتاب بحيث يستوى حذفه وإثباته أو وجوده وعدمه ، وبعضها هام له خطره وأثره بحيث لا يجوز حذفه بل ينبغى إثباته والتمسك به فمن ذا الذى اجترأ على الله حتى قسم كتابه إلى آيات لها أثر وآيات لا أثر لها إن هذا عبث ينبغى أن يرتفع عنه كلام رب السماء .

ولا وجه لتلك المقارنة التى عقدها المؤلف بين القرآن والأناجيل من هذه الزاوية ولا من غيرها لأن القرآن لا توجد فيه آيات لا تأثير لها

فى جوهره بحيث يستوى حذفها وإثباتها كما هو فى الإنجيل باعتراف الكاتب نفسه بل آياته كلها واحدة فى الجلال والقدسية والتعظيم والتبجيل والتآلف والتكامل بحيث لو سقط منه حرف واحد بله آية لاختل المبنى منه والمعنى ، وكيف لا وهو كلام رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلب خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا رسول الله محمد المرسل إلى الناس أجمعين.

هذا من ناحية ... ومن ناحية أخرى فان ما ساقه المؤلف عن بعض الشيعة من قولهم باسقاط عمر أو عثمان لشىء من القرآن باطل باتفاق العلماء كما قرره المؤلف نفسه أثناء حديثه هذا ، لأن عمر وعثمان أو أيا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكتب كلمة من كتاب الله إلا بعد عرضها على ما فى السطور وما فى الصدور والتأكد الكامل من الكثرة التى تبلغ مبلغ التواتر بأن هذا الذى سيكتب هو كلام الله حقا ، وإحراق ما كان مكتوبا عند بعض الصحابة من القرآن فى عهد عثمان بعد إتمام المصحف لم يكن أمرا مختلفا عليه بل كان برضى الكل وإجماعهم بعد أن اتفقوا وأجمعوا إجماعا كاملا على أن ما بين دفتى هذا المصحف الذى كتب تحت سمعهم وبصرهم هو كلام الله حقا دون ما زيادة ولا نقصان ، ثم وزعت نسخ من هذا المصحف على سائر الأمصار وفى كل مصر منها العدد الجم الغفير من حفظة القرآن فلو وجدوا فيه أدنى تغيير أو تبديل لثاروا على من فعل هذا ثورة عارمة لا تبقى ولا تذر .

ولكن الذى سجله التاريخ هو أنهم قابلوا هذا المصحف بالتجلة

والاحترام والتقدير والإعظام ولما حمى وطيس الحرب بين علي ومعاوية في موقعة صفين ولم يخمد لهيبها إلا رؤية هذا المصحف على أسنة الرماح مرفوعا حيث أثلجت الدعوة إلى التحاكم إليه الصدور وسلت رؤيته سخائم الفتن من القلوب فكيف يخضعون لمصحف يعلمون أن أحدا من الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان أو من غيرهم قد حذف منه ما هو خاص بإمامة علي كرم الله وجهه أو بانحصارها في ذريته دون سواهم وأين كان علي نفسه حين حدث هذا التغيير في القرآن من عثمان وهو من هو في قول الحق والدفاع عنه وتحري الدقة الكاملة والضبط التام في سنة سيد المرسلين فضلا عن القرآن الكريم لماذا لم يقل علي حين رفعوا المصاحف على أسنة الرماح أنزلوها فإنها مغيرة مع أن ذلك كان من مصلحته ولكنه الحق يمنع أتباعه من أن يخرجوا عنه أو أن يقولوا غيره ولو كان ذلك في مصلحتهم، إن عليا لم يقل لهم اتركوا المصاحف لأنها مغيرة ولكن أخبر أتباعه بأن هذا من فاعليه خدعة مدبرة .

فكيف يستجيز أحد لنفسه بعد ذلك أن يفتري على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الافتراء الأثيم ؟

وكون هذه التهمة قد وجهت إلى القرآن لا تؤثر فيه شيئا لوضوح بطلانها وكذب أصحابها ولا شك أن الذين صوبوا هذا الاتهام إلى كتاب الله ليسوا مسلمين كما زعم المؤلف وادعى، بل هم كفار لأنهم كذبوا الله في قوله سبحانه « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » الحجر آية ٩ .

فالبون شاسع بين القرآن الكريم وبين تلك الأناجيل التى كتبوها بأهوائهم ومن عند أنفسهم وأثبتوا فيها ما لم يكن قديما ملحقا بها وربما حذفوا منها ما كان قديما مثبتا فيها ؛ لأنه إذا ثبت أنهم ألحقوا بها ما لم يكن موجودا فيها كما اعترف الكاتب نفسه فما المانع أن يكونوا قد حذفوا منها ما كان ملحقا بها ؟ وصدق الله حيث يقول « فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون » البقرة ٧٩ .

البرهان الرابع ودحض المؤلف له :

من البراهين القوية على تحريف كتابهم المقدس أنه قد ضاعت من بين دفتيه أسفار كانت معدودة منه يوما ما كسفر ياشر « كما فى سفر يشوع ١٠ : ١٣ وكتاب حروب الرب (كما فى سفر العدد ٢١ : ١٤

وردا على هذا البرهان يقول المؤلف إن السفرين المذكورين لم يندرجا قط فى سلسلة أسفار التوراة وإن كانت قد أشارت إليهما وحكمهما حكم الأسفار التى أشار إليها القرآن وهى ليست منه كصحف إبراهيم مثلا .

بيان خطأ هذا الكلام وفساده :

ودحضا لهذا الكلام نقول : إن حكم الكاتب بعدم اندراج هذين السفرين فى سلسلة أسفار التوراة حكم باطل لأن النص المشير إلى سفر ياشر يفيد أن هذا السفر هو المرجع الذى يوجد فيه ما ذكر فى هذا النص من حقائق حيث يقول « فدامت الشمس ووقف القمر حتى انتقم الشعب من أعدائه » أليس هذا مكتوبا فى سفر ياشر فوقفت الشمس فى كبد

السماء ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل »[1]

وليس من المعقول أن يحيل النص قراءه إلى سفر ليس فى كتابهم ولا معرفة لهم به ولا اطلاع لهم عليه والنص المشير إلى كتاب حروب الرب يدلل على كون أرنون هو تخم مواب بين مواب والأموريين بأن هذا الكلام قد كتب فى كتاب حروب الرب حيث يقول « من هناك ارتحلوا ونزلوا فى عبر أرنون الذى فى البرية خارجا عن تخم الأموريين لأن أرنون هو تخم مواب بين مواب والأموريين ».

لذلك يقال فى كتاب حروب الرب واهب فى سوغة وأودية أرنون ونصب الأودية الذى مال إلى مسكن عار واستند إلى تخم مواب وليس من المعقول كذلك أن يقدم هذا النص لقرائه دليلا لا علم لهم به ولا معرفة لهم بأصله ؟

لهذا قلنا إن هذين السفرين كانا من أسفار التوراة وضاعا ضمن ماضاع من أسفار هذا الكتاب ، ولا تشابه بين ما جاء فى التوراة عن هذين السفرين وما جاء فى القرآن الكريم من صحف إبراهيم وغيرها كما ذكر المؤلف فى كتابه لأن ما فى القرآن عن صحف إبراهيم وموسى هو بيان تاريخى لهذه الصحف وللنبى الذى أنزلت عليه وذكر لبعض النصوص التى جاءت فيها ذكرا ليست فيه إحالة لأحد عليها ، ولا تدليل بما فيها على شىء معين ، وأعظم شاهد على ذلك هو نص القرآن ذاته حيث يقول فى

---

(١) سفر يشوع اصحاح ١٠ : ١٣ .

سورة النجم (أفرأيت الذى تولى وأعطى قليلا وأكدى أعنده علم الغيب فهو يرى أم لم ينبأ بما فى صحف موسى وإبراهيم الذى وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للانسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى) ٣٣ : ٤١

ويقول فى سورة الأعلى : (بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى إن هذا لفى الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى)١٦ : ١٩ .

ولو راجع الكاتب حديث القرآن الكريم فى هذا الموضوع ما ارتضى لنفسه أن يهين عقله بعقد مثل تلك المقارنة البينة البطلان .

البرهان الخامس وإبطال الكاتب له :

من أقوى الحجج وأبلغها على عدم صحة الكتاب المقدس أنه عند الكنيسة الرومانية يتضمن أسفارا معدومة منه عند كنيسة البروتستانت ولو كان صحيحا خاليا من التحريف والتبديل ما اختلفوا عليه هذا الاختلاف الذى أدى ببعض طوائفهم إلى رد أسفار منه ، وقبول ما رده طوائف أخرى غيرهم من هذه الأسفار :

وردا على هذا يقول المؤلف : ـ أما من جهة أسفار العهد الجديد فهى موجودة بذاتها عند عموم المسيحيين من بروتستانت وكاثوليك وأرثوذكس .

وأما من جهة أسفار العهد القديم فقد زادت عليها الكنيسة الكاثوليكية أسفارا لم تكن مدرجة فى التوراة عند المسيحيين الأولين

ولا عند اليهود فضلا عن كونها لا توجد فى الأصل العبرانى .

نحن معاشر البروتستانت نعتمد أسفار العهد القديم حسبما هى مدرجة فى قانون اليهود . وثابتة لنا من المسيح ورسله ، ولكن إن فرضنا أن هذه الأسفار المزيدة موحى بها فانها بجملتها لا تؤثر على أية عقيدة من عقائد الديانة المسيحية .

وأما الفروق المذهبية بين كنيسة البروتستانت وغيرها فلا تنتج عن زيادة هذه الأسفار على العهد القديم ولا عن اختلاف فى الكتب كما أن مذاهب الإسلام لم تنتج عن اختلاف فى القرآن الكريم بين مذهب وآخر .

تساؤلات حول هذا الكلام وتعليقات :

هذا هو رد الكاتب على تلك الحجة البالغة ونحن نتساءل ما حكم كتاب زادت فيه الكنيسة الكاثوليكية باعتراف المؤلف نفسه أسفارا ما كانت مدرجة فيه ولا كانت فى الأصل العبرانى له ؟ وأى الفريقين مصيب فيما اعتمده من أسفار ذلك الكتاب ؟ وأيهما مخطىء فيها ؟

وكيف يتسنى لإنسان يريد إيمانا صحيحا بكلمة الله التى لم يعترها تغيير ولا تبديل أن يطمئن إلى كتاب زادت فيه بعض الكنائس وأنقصت منه بعضها الآخر ؟ ومن ذا الذى يا ترى أوحى إلى الزائدين بهذه الأسفار التى زادوها ؟ ولو سلمنا أنها موحى بها حقا وأن الذين زادوها أنبياء معصومون لا كذبة متزيدون فان الكاتب يقول لنا : ولكن إن فرضنا أن هذه الأسفار المزيدة موحى بها فانها بجملتها لا تؤثر على أية

عقيدة من عقائد الديانة المسيحية ، فما فائدة الوحى بها إذن ما دامت عديمة الأثر قليلة الجدوى ؟ وإن لم تكن موحى بها فما غرض منتحليها من انتحالها ودسها بين أسفار كتاب إلهى المفروض فيه أن يرعى ويحترم ، فلا يزاد عليه ولا ينتقص منه .

تلك تساؤلات لا يسع العاقل بعدها إلا أن يذعن ويسلم بأن الله تعالى لما أراد لكتابه الأول أن يبقى فى الأرض مدة محدودة استحفظ عليه طائفة من البشر على ما بينه سبحانه فى قوله « بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء » المائدة ٤٤ فصانوا الأمانة ما شاء الله لهذا الكتاب أن يبقى فى الأرض ثم جاء من بعدهم من خانوها فحرفوا فيه وبدلوا ، وزادوا عليه وأنقصوا ، وأما القرآن فان الله تعالى لما أراد بقاءه إلى يوم القيامة تولى بنفسه حفظه فقال « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » الحجر ٩ .

والفرق كبير بين مذاهب النصارى والمذهبية فى الإسلام لأن مذاهب النصارى قد اختلفت فى الأصول التى تورث الاختلاف فيها خللا فى العقيدة ، فالبروتستانت مثلا يرفضون الأسفار التى زادها الكاثوليك والكاثوليك يعتبرون البروتستانت خارجين عن الدين بردهم لتلك الأسفار .

أما المذهبية فى الإسلام فهى فى الفروع دون الأصول ككون لمس المرأة الأجنبية بغير حائل ناقضاً للوضوء أم لا ؟ إلى غير ذلك من الأمور

الكثيرة التى نشأ اختلافهم فيها عن اختلافهم فى مفهوم نص قرآنى أو نص نبوى أو تصحيح فى حديث ضعفه آخرون أو العكس فشتان ما بين هذا وذاك ، وقول الكاتب إن اختلاف المذاهب فى النصرانية لم ينتج عن زيادة هذه الأسفار فى العهد القديم ولا عن اختلاف فى الكتب قول يبطله الواقع العملى لمذاهب النصارى فى شتى العصور .

أدلة النصارى على عدم تحريف الكتاب المقدس كما ذكرها المؤلف والرد عليها :

ذكر المؤلف على مدى سبع صفحات من ص ١٥٦ : ١٦٣ عددا من أدلة النصارى على عدم تحريف كتابهم المقدس نوردها ونرد عليها فيما يلى :

الدليل الأول ورده :

للنصارى مؤلفات كثيرة أقدمها رسالة اكليمندس إلى كورنثوس سنة ٩٢ : ٩٥ ورسائل أغناطيوس السبع سنة ١٠٩ : ١١٦ ورسالة بوليكاريوس سنة ١١٠ تقريبا ، ورسالة نسبت خطأ إلى برنابا سنة ١٠٠ : ١٣٠ تشهد كلها بأن ايمانهم اليوم كأيمان الكنيسة فى عصورهم الأولى وفيها مقتبسات كثيرة من الكتاب المقدس منها ماهو بالمعنى ومنها ماهو باللفظ غير أنها كلها تطابق مافى الكتاب المتداول اليوم ، فدل هذا على صحة الكتاب المقدس وعدم تحريفه .

ورداً على هذا نقول لا شهادة المؤلفين ولا اقتباساتهم تكفى فى الدلالة على سلامة كتاب سماوى من التحريف والتبديل لأن أرباب هذه

الشهادات كانوا فى عصور مختلفة ولم يبلغوا فى العصر الأول الذى كانت توجد فيه أصول الكتاب السماوى عدداً يحيل العقل تواطئهم على الكذب حفظ نصوص هذا الكتاب ووعاها ، ثم لقنها للجيل الذى بعده غضة طرية لا زيف فيها ولا أخلاط : بل الثابت أن من عاصروا المسيح قد اختلفوا على أنفسهم اختلافا عظيما أدى بهم إلى العبث الشديد بما تحت أيديهم من تعاليم موسى ووصايا عيسى عليهما السلام إلى درجة أن بعض الكنائس قد أضافت إلى الكتاب أسفاراً لم تكن فيه كما اعترف به المؤلف نفسه ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن هؤلاء على اختلاف أعصارهم قد شهدوا بأن إيمان النصارى صحيح وهم نصارى فالمسألة شهادة المرء لنفسه ، وانتصاره لبنى جنسه ، فكيف يجعلون من شهادتهم لأنفسهم دليلا على صدقهم فيما يقولون بخلاف القرآن ، فإن الذين شهدوا له كانوا من أعدائه وأوليائه ، ولا أدل على صحة ما نقول من قول أحد المشركين عن القرآن أن له لحلاوة وأن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق ما هو بكلام إنس ولا جن يعلو ولا يعلى عليه .

ومن شهادة علماء كثيرين من غير المسلمين للقرآن بصحة معلوماته ، ودقة إشاراته وحسن عباراته ، وسلامة توجيهاته ، كموريس بوكى ومن على شاكلته من الباحثين عن الحق المنصفين له ، وما اقتبسه المقتبسون من الكتاب المقدس سواء أطابق ما تحت أيديهم اليوم أم لا هو فى جملته أجزاء متفرقة لا يمكن الحكم عليها بأنها كتاب مستقل بذاته تماماً ككتب المسلمين المقتبسة من القرآن هى ليست قرآناً ولا تأخذ حكمه

ولو فقدت — لا قدر الله — نسخ القرآن كلها ما كانت هذه الكتب كافية فى جمع القرآن منها وترتيبه على النحو الذى هو عليه فى المصحف الشريف وكذلك بالطبع مؤلفات النصارى أو اليهود المقتبسة من كتابهم فكيف يجعل من مثل هذه الاقتباسات دليلا على سلامة كتابهم هذا من التحريف والتبديل ؟ .

الدليل الثانى ورده :

إذا أرادت طائفة تحريف الكتاب المقدس فى عصر محمد قامت دونها صعوبات كثيرة منها ، انتشار النصارى فى أرجاء الأرض وأقطارها وتعدد اللغات التى ترجم إليها كتابهم ومنها نقاء بعض أهل الكتاب وصلاحهم صلاحا يربأ بهم عن ارتكاب هذا الجرم الفظيع كما شهد القرآن بذلك حيث يقول « من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون » آل عمران ١١٣

فالكتاب بنص القرآن كان موجوداً فى عصر محمد صلى الله عليه وسلم وهؤلاء الصالحون بنص القرآن أيضا كانوا يتلونه آناء الليل وهم يسجدون، ومنها أن بين اليهود والنصارى من العداء المستحكم ما يمنع اتفاقهم على شىء بله اتفاقهم على تحريف كتابهم المقدس الذى فيه عزهم ومجدهم .

ودحضا لهذا نقول : كان يصح هذا الكلام لو أن المدعى تحريف الكتاب فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن الثابت فى التواريخ القديمة أن هذا الكتاب قد عبثت به يد الإثم والطغيان فى العصور الأولى ثم درج أجيال النصارى من بعد ذلك على ماوضعه آباؤهم من أسس فاسدة

وتأويلات باطلة ، وإلا فمن أين تلك الأسفار التى زادتها الكنيسة الكاثوليكية ورفضها البروتستانت وأين ذهب سفر ياشر وكتاب حروب الرب اللذين تحدثنا عنهما قبل ذلك ؟ وكيف أثبتت آيات فى الكتاب لم تكن فيه ، كما اعترف بذلك المؤلف نفسه وجعلها من قبيل ما لا أثر له فى الكتاب ولا خطر. إن مثل هذا الكلام نوع من المغالطات التى يلجأ إليها عادة من يريد طمس الحق وإظهار الباطل ، وأما آية آل عمران التى استشهد بها الكاتب على براءة ذمة أهل الكتاب من تحريفه وتبديله لصلاحهم وتقواهم فقد سبق الحديث عنها مفصلا فى هذا البحث فليرجع إليه من شاء .

الدليل الثالث ونقضه :

للنصارى كتب قديمة عرفوا أسماءها وجهلوا مسمياتها ظلت تحت الثرى مطمورة ولم تكتشف إلا حديثا فلما عثر عليها مكتشفوها وجدوها كلها تشهد بوحدة الإيمان المسيحى فى العصور الأولى وفى هذا العصر كما هو مثبت فى الكتاب المقدس المنتشر اليوم فى كل العالم .

ودفعا لهذا نقول إن هذه الكتب لم تخرج عن كونها مؤلفات لمؤلفين من النصارى ولم تحو فى بطونها جميع آيات الكتاب المقدس ، بل اشتملت على بعضه ، تارة باللفظ وأخرى بالمعنى ، وهذا لا يحتج به على سلامة كتاب كامل من التحريف أو التغيير كما أشرنا إليه غير مرة ، وقصارى ما يمكن الاحتجاج بهذه الكتب عليه هو ماذكره الكاتب من أنها تشهد للنصارى بالإيمان فهل فى هذا دليل على سلامة الكتاب من التحريف والتبديل . .

الدليل الرابع ودفعه :

من الحقائق التى تدحض ماشاع لدى المسلمين من تحريف الكتاب المقدس أن عمرو بن العاص وأبا عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد وسعد بن أبى وقاص لما فتحوا مصر والشام والعراق وقعت تحت أيديهم أشهر مكاتب العالم لا سيا مكتبة اسكندرية القيصرية التى كانت تحوى عددا وفيراً من نسخ الكتاب المقدس والمؤلفات المسيحية القديمة ، ولو حافظ المسلمون على هذه الكتب وأمثالها لكانت الآن أعظم دليل وأوضح برهان على عدم مساس الكتاب المقدس بتحريف أو تبديل لكنهم أحرقوها ، أحرقوا التوراة والزبور والإنجيل التى قال القرآن عنها إنها كلام الله ، وخبر إحراق هذه المكاتب ورد فى تاريخ أبى الفرج وكشف الظنون .

أما المسيحيون فقد حافظوا على ما وقع فى أيديهم من هذه الكتب المقدسة القديمة التي كتبت قبل الهجرة المحمدية بزمن طويل وسلمت من أيدى المسلمين فى الأسكندرية وغيرها وهاهى اليوم مذخورة فى مكتبة رومية وبطر سبرج وباريس ولندن وغيرها من مكاتب أوربا ، فليرجع إليها المسلمون فى أماكنها ليتأكدوا من أن الكتاب المقدس صحيح لا تبديل فيه ولا تحريف .

ودحضا لهذه الفرية نقول :

إن المسلمين ماافتروا هذا الجرم الفظيع ولا ارتكبوه ، كما افترى بذلك عليهم كتاب اليهود والنصارى وتقولوه إذ كيف يقدم المسلمون على مثل ذلك العمل الهمجى وهم الذين أسسوا الحضارة فى أوربا وغيرها وقدموا

أشهى ثمرات العلم للدنيا كلها ، وقدسوا كل ما سطرته الأقلام اليونانية وغيرها وترجموا إلى العربية كل ماوقع تحت أيديهم من الكتب اليونانية وأمثالها إلى غير ذلك من تلك الحقائق المؤكدة التى تجعل كل منصف يحنى هامته إجلالا واحتراما لأولئك الذين أجلوا العلم وقدروه ولما كان الفيصل بيننا وبين المفترين علينا فى هذه القضية هو التاريخ الصحيح ولا شىء غيره راجعنا من كتبه فى هذه المسأله أوثقها فوجدناها تقول : طالت محاولة المتعصبة الصاق تهمة حريق خزانة الاسكندرية بعمر بن الخطاب وقد ثبت لعلمائهم أنفسهم أنها حرقت قبل الإسلام بقرون ومع ظهور الحق فى هذه المسألة ، بعد أن لاكتها الألسن كثيرا ، نرى أناسا يتخيلون أن فى ترديد هذه الأكذوبة على الخليفة الثانى حطاً من قدره ، فيذكرونها عند كل موقف ايدلوا على جهل الخليفة وتصلبه فى أفكاره ، وتجافيه عن الأخذ ممن سلف من الأمم ، حرقت خزانة الأسكندرية غير مرة بأمر الأمبراطوريين ثيودوسيوس ويوستنيانوس ، وآخر حريق لها كان قبل الهجرة بمائتى سنة .

ذكر جيبون فى تاريخ سقوط دولة الرومان أن هذه الفرية على المسلمين لفقها أبو الفرج بن العبرى فى تاريخ مختصر الدول ، وذلك بعد الإسلام بنحو ستمائة سنة ، ولم يتعرض قبل أبى الفرج مؤرخ واحد لذكرها حتى إن أفتيكوس بطريرك الأسكندرية مع توسعه فى الكلام على استيلاء المسلمين على ثغر مصر ، لم يذكر كلمة عن حريق عمرو بن العاص لهذه الخزانة وقد ذكر ارفنج وكريستون وفلين وغيرهم أن ما أشيع من مساوىء

الإسلام والمسلمين بهذا الشأن ، لم يكن له ذكر قبل نقل كتاب مختصر الدول إلى اللاتينية .

ومن ذلك الحين ابتدأ الغربيون يبغضون المسلمين ويحتقرونهم ومن جملة من نقضوا هذه الرواية من علماء الفرنسيس أرنست رنان، وألبرسيم .

وقد قال رنان من خطاب له فى المجمع العلمى الفرنسى إن العلم والدين الإسلامى لا يجتمعان ، بيد أنه لا يعتقد أن عمر هو الذى أحرق خزانة الأسكندرية ، لأنها أحرقت قبله بزمن طويل وكتب إلينا آلبرسيم (١٤ آب سنة ١١٠٨) لشد ما استحكم الوهم التاريخى زمنا بشأن عمر وخزانة الأسكندرية وها هو الآن آخذ بالإضمحلال .

أما أنا فقد اغتبطت بما سنح لى من الفرصة ، فكنت من العاملين على مكافحة هذا الوهم وأثبت بالبراهين التى وصلت يدى إليها ما اعتقدت أنه هو الحقيقة. ونص عبارته فى كتابه الذى سماه Le livre وشكرناه عليها :«ولم تحرق خزانة الأسكندرية التى قال بعضهم إنه كان فيها نحو سبعمائة ألف مجلد على يد الإمام عمر ولا بأمره كما جاء فى بعض المصادر ، فان هذه الدعوى من الأغلاط التاريخية العظيمة ، إذ لم يكن لهذه الخزانة أثر عندما فتحت العرب مدينة الأسكندرية سنة ٦٦٤ .

وعلى عهد البطالسة أصبح أمر الخزانة إلى ضعف فقسمت شطرين جعل كل منهما فى مكان مستقل ، فحرق القسم الأول قضاء وقدرا عندما استولى يوليوس قيصر على الاسكندرية سنة ٤٧ قبل المسيح ، وذهب القسم الثانى

وكان جعل فى معبد سيرابيس على يد الأسقف تيوفيل بعد ذلك التاريخ بأربعمائة سنة ، عقيب الأمر الصادر عن ثيودسيوس بالقضاء على جميع المعابد الوثنية وجعل عاليها سافلها ، وقال فوت ، واهلويلر فى كتابهما « جنايات الأوربيين » إن تيوفيـــل هو الذى أحرق خزانة الاسكندرية لا المسلمين لأن الدين الإسلامى لا يبيح إحراق الكتب وقال مسيرك فى كتابه « الادعاءات الكاذبة » إن الأفـرنج هم الذين أحرقوا خزانة الاسكندرية ، والمسلمون هم الذين أدخلوا العلم إلى أوربا وقال استيفونس فى كتابه « التفـكر والأديان » أحرقت أيدى الجاهلين خزانة الاسكندرية وهى مكتبة مهمة وبفقدانها اضمحل العلم ، وبقيت أوربا تتخبط فى ظلمات الجهالة إلى أن أنارها المسلمون بعلومهم .

وقال غريفينى من علماء المشرقيات فى إيطاليا : بعد أن فتح عمرو بن العاص الاسكندرية مرت ستة قرون كاملة لم يسمع خلالها قول لمؤرخ مسلم أو غير مسلم ، يتعرض لاتهام عمرو بن العاص من سياسة التساهل التى جرى عليها ، وشهد له بها أشهر المؤرخين النصارى الذين كانوا فى عهده كيوحنا النيقيوس فى كتابه « تاريخ مصر » الذى وضعه باللغة الحبشية القديمة .

وقال بونه مورى : يجب أن نصحح خطأ شاع طوال القرون الوسطى هو أن العرب أحرقوا خزانة الأسكندرية بأمر الخليفة عمر ، والحال أن العرب فى ذلك العصر كانوا أشد إعجابا بعلوم اليونان وفنونهم من أن

يقدموا على عمل كهذا كما أنه معلوم أن قسما من تلك الخزانة كان احترق في أثناء ثورة الأسكندريين التي باد فيها أسطول قيصر.

وأن قسما آخر أحرقه النصارى في القرن السادس واختط العرب الفسطاط وتركوا للقبط ممفيس ولم يتعرضوا لهم في دينهم وعاداتهم وأطلقوا لهم الحرية في انتخاب البطريرك وبناء الكنائس ، وغاية ما أبطل عمرو من العادات القديمة هو ما كانوا جارين عليه من زمان الوثنيين من رمي فتاة في النيل كل سنة التماسا لفيضانه وعلى كثرة ما ردده المنصفون من تهمة حريق خزانة الأسكندرية عن عمر بن الخطاب لا يزال فريق الإثبات مصرا على رأيه ، لأن هذا العمل مما يحط ضمنا من قدر رجال الإسلام ، وهذه فرصة قلما تسنح للمتعصبين حتى يثبتوا أن الرجل الذي يفاخر المسلمون به هو همجي ، ولذلك كان ينقلها الخلف عن السلف بكل أمانة كأنها حقائق ، وكأنهم يشيرون إلى أن هذه الخزانة لو سلمت لغيرت وجه الكون أما إذا وقع شيء من هذا من جماعتهم كحريق الكردينال كسومنس كتب المسلمين في ساحات غرناطة ، وكانت ثمانين ألف مجلد على رواية مؤرخيهم ، فانهم يحاولون أن يبرئوه من هذه الوصمة ويقللوا من شأن خزانة الكتب التي أحرقتها أسبانيا وكانت عشرات ، يوم قضت على العرب في بلادها في القرن السادس عشر وصرفت نصف قرن في القضاء على كل أثر لهم ، ولولا تلك المترجمات إلى العبرية واللاتينية لقضي على الحضارة العربية التي امتد رواقها على أسبانيا مدة ثمانية قرون وعفت آثارها ولا نذكر أننا قرأنا لبعض النقاد الغربيين نبذة في تقبيح ما فعله الصليبيون يوم

غاراتهم على طرابلس أوائل المائة السادسة للهجرة ، ويوم أمر صنجيل باحراق كتب دار العلم فيها ، وكانت تقدر بأكثر من مائة ألف مجلد « ويوم أخذ الصليبيون بعض ما طالت أيديهم إليه من دفاترها ومن كتب خاصة فى بيوتهم اهـ [1]

هذه هى كلمة التاريخ فى هذه القضية فماذا يقول المبطلون ؟

وأما ما حافظ النصارى عليه من الكتب القديمة وأودعوه فى مكتبة رومية وبطرسبرج وباريس ولندن وغيرها كما ذكر المؤلف فليس سوى مخطوطات قديمة حوت ما عن لكتابها الأول من أفكار تناقلتها الأجيال المختلفة على أنها دينهم الذى ورثوه عن آبائهم الأقدمين وأوضح شاهد على صدق ما نقول أن هذه الكتب التى يعتبرها النصارى أصلا لكتابهم المقدس قد حوت أسفارا لم يؤمن بها بعض النصارى وأسفارا أخرى يرفضها بعضهم الآخر وكذا العهد القديم قد اشتمل على ما تؤمن به طائفة وترفضه طائفة أخرى وما إلى ذلك مما أوضحناه فى هذا البحث .

وبعد ... فهذا ما هدانا الله إليه من رد على حجج الدكتور فاندر وبراهينه فى الباب الأول من كتابه ميزان الحق ، هذه الحجج وتلك البراهين التى بذل فيها الوسع والطاقة ليثبت من خلالها أن كتابه المقدس لم يعتره نسخ ولا تحريف ولا تبديل لا قبل العصر المحمدى ولا أثنائه ، ولا بعده .

---

(١) الاسلام والحضارة العربية لمحمد كرد على ط دار الكتب بالقاهرة ج ١ ص ١٩ : ٢٢ .

خاتمــة

من خلال ما عرضناه فى هذا الكتاب من حجج الدكتور فاندر وردودنا عليها يتبين لك أيها القارىء الكريم أن هذا المبشر النصرانى يعتمد بالدرجة الأولى على التلبيس والتدليس لا على توضيح الحقائق وتقديمها للناس كما هى دون أن تصرف عن وجهها الصحيح أو تؤول بتأويلات لا وجه لها ، وأن هذا اللون من التفكير قد يؤثر على بعض العقول الساذجة فيدفعها إلى الخطأ أو الخطيئة ويهوى بها إلى الدرك الأسفل بعد ما كان الله تعالى قد مَنَّ على أصحابها بالدرجات العلى .

ويدهى أن هذا اللون من التصرف — مهما كان تأثيره على العقول والأفكار مرضياً لصاحبه ومغريا بالمزيد منه — بعيد كل البعد عن الخصومة الشريفة لأن الخصومة الشريفة حقاً تعنى أن يبطل خصمك حجتك بحجة حقيقية صادقة لا زيف فيها ولا تلبيس . أما أن يعمد الخصم إلى الكذب حينا والمراوغة حينا آخر وصرف الحقائق عن وجهها الصحيح أحياناً فذلك ضرب من ضروب العبث بالعقول واللعب بالأفكار ، والوصول إلى البغية بشتى الوسائل ولو كانت خبيثة .

وفى هذا من الفساد ما فيه ، الأمر الذى يلزم معه حتما أن يتصدى ذوو العقول الناضجة والضمائر الخالصة والصدور السليمة لهذا التيار المنحرف

تصدياً جاداً لا هوادة فيه حتى لا يتمكن هذا التيار من السيطرة على العقول البسيطة وسوقها إلى منازل التهلكة ومهاوى الدمار ، تماما كما لو كان بين يديك طفل تزحف نحوه أفعى فإن عليك حينئذ أن تتصدى لها بكل ما أوتيت من قوة حتى تحول بينها وبين هذا الطفل البرىء .

ولا يعنى هذا أننا نطالب بالحجر على أفكار الناس أو بالتدخل فى شئونهم ومعتقداتهم بل ما نقوله يعنى بالدرجة الأولى أننا ندافع عن الحق ونحميه من اللبس والزيف ، والخبط والخلط ، حتى يهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة ، أما أن نترك الحقائق لذوى الأهواء والمطامع يلعبون بها كما يشاءون ويدسون فيها من باطلهم ما يريدون فذلك ما لا يصح ولا يكون .

وخلاصة ما يهدف إليه الكاتب فى هذا الجزء من كتابه « ميزان الحق » هى أن كتابه المقدس لم يصبه تحريف ولا تبديل وأن القرآن قد شهد له بالصحة والثبوت منذ زمن طويل ، وأنه كتاب محكم لم ينسخه ما بعده .

ومما لا شك فيه أن هذه القضية متناقضة تمام التناقض لأن القرآن إذا كان غير ناسخ لما قبله كان بالضرورة غير مهيمن عليه ، إذ الهيمنة تقضى باشتمال المهيمن على المهيمن عليه وزيادة ، وتقضى كذلك بأن يعمل الناس بالمهيمن لا بالمهيمن عليه .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن الأحكام التى توجد فى الشريعة اليهودية ، ولا توجد فى شريعة الإسلام ، والأحكام التى توجد فى الشريعة

الإسلامية ولاتوجد فى الشريعة اليهودية سنكون مطالبين بالعمل بها كلها على القول بعدم نسخ القرآن لغيره من الكتب السماوية الأخرى .

وفى هذا من التناقض مافيه لأننا لو عملنا بحكم ورد فى الشريعة اليهودية مثلا ولا أصل له فى الشريعة الإسلامية كنا قد عملنا بما لم نكلف به فى القرآن .

وإن عملنا بحكم ورد فى الشريعة الاسلامية دون الشريعة اليهودية كنا قد عملنا بما لم نكلف به فى التوراة ، إلى غير ذلك من التناقضات الكثيرة التى تترتب على القول بعدم نسخ كتاب سماوى لكتاب سماوى آخر ، أو شريعة لشريعة أخرى .

وأما مسألة سلامة الكتاب المقدس من التحريف والتبديل وشهادة القرآن له بالصحة والثبوت منذ زمن طويل فقد بينا بطلانها فيما سلف بالبراهين القاطعة والحجج المقنعة وذكرنا فيها ما خلاصته أن القرآن كما شهد للتوراة والزبور والإنجيل المنزلة من عند الله حقاً بأنها صادقة لاشك فيها فقد شهد على اليهود والنصارى بأنهم حرفوا فيها ولووا ألسنتهم بها ونسوا بعضها وأضافوا من عند أنفسهم إليها ، فجاءت بذلك شهادة القرآن تامة مستوفاة . وكيف لا وهى صادرة من الله العليم الخبير، الله يشهد بأن ما أنزله من التوراة والزبور والأنجيل صدق وحق . وأن أهل الباطل والزيغ من اليهود والنصارى قد دنسوا الصدق بالكذب ولوثوا الحق بالباطل فلبسوا على الناس أمر دينهم ودلسوا عليهم فيما استحفظوا عليه من كتاب الله بأن أضافوا إليه ما ليس منه وحذفوا منه ماهو منه .

كتبوا بأيديهم ما كتبوا ، وقالوا هذا من عند الله .

« أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون . وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون . أو لا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون . ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون . فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون » . البقرة ٧٥ : ٧٩ .

« وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » آل عمران ٧٨ .

« من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا فى الدين » النساء ٤٦ .

« فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين ، ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون » المائدة ١٣ ، ١٤

هذه طائفة من النصوص القرآنية التى تظهر فيها بجلاء شهادة الله تعالى على ما فعله أهل الزيغ والضلال من اليهود والنصارى بما أنزل الله لهم من كتب .

وأما شهادته سبحانه بصدق ما أنزل على موسى وداود وعيسى من التوراة والزبور والانجيل فانها تتجلى فى نصوص قرآنية كثيرة منها قوله سبحانه « وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتى ثمناً قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون . وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين . وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » المائدة ٤٣ — ٤٧ .

ومنها قوله سبحانه « ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا » الإسراء ٥٥ ، بهاتين الشهادتين تكون قد تمت الشهادة الحقة

التى لا جور فيها ولا تضليل . بل هى شهادة من هو بكل شىء عليم وبأحوال الناس خبير ، وبما يعملون بصير . فكيف يستجيز أحد لنفسه أن يدعى أن القرآن شهد للكتاب المقدس الذى تحت أيدى اليهود والنصارى اليوم بالسلامة من التحريف والتبديل ؟

إن هذا كما قلنا مرارا لون من ألوان المغالطة لا يلجأ إليه خصم شريف

وغايتنا مما ذكرناه فى بحثنا هذا هى تبيين الحق وتوضيحه وتخليصه من المغالطات والشوائب والأخلاط . . والتشويهات التى يحيطه بها المتعصبون دون ما رعاية لأدنى قواعد العلم ومسلمات القضايا وما كنا أثناء ردنا على هذا الكتاب متعصبين ولا متحيزين .

والله نسأل أن يهدينا إلى صراط المستقيم وينير أذهان الضالين بنور الحق المبين حتى يؤمنوا به فتخبت له قلوبهم عن طمأنينة ويقين ... وأن ينشر هذا البحث بين الناس ويجعله نافعا للاسلام والمسلمين .

والله هو الهادى إلى سواء السبيل .

دكتور
هاشم عبد الفتاح هاشم جوده
أستاذ مساعد بقسم التفسير
كلية أصول الدين ، بأسيوط

أهم المراجـــع

١ ـ اظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندى ط دار التراث العربى للطباعة والنشر .

٢ ـ ارشاد السارى للقسطلانى ط المطبعة الميمنية .

٣ ـ الابانة عن معانى القراءات لمكى أبو طالب تحقيق الدكتور اسماعيل شلبى ط دار نهضة مصر للطبع والنشر .

٤ ـ الاسلام والحضارة العربية لمحمد كرد على ط دار الكتب بالقاهرة .

٥ ـ بدائع الفوائد للعلامة الامام أبى عبد الله محمد بن أبى بكر الدمشقى المشتهر بابن القيم الجوزية . الناشر دار الكتاب العربى ببيروت لبنان

٦ ـ تاريخ اليهود فى بلاد العرب لاسرائيل ولفنسون .

٧ ـ تاريخ بنى اسرائيل للاستاذ محمد عزه دروزه .

٨ ـ تاريخ الاسرائيليين لشاهين مكاريوس .

٩ ـ تفسير البيضاوى ط بيروت .

١٠ ـ تفسير القرطبى . ط . دار احياء التراث العربى بيروت لبنان .

١١ ـ تفسير الرازى ط المطبعة الحسينية بالقاهرة ، تفسير الرازى ط المطبعة الخيرية

١٢ ـ تفسير القرآن العظيم لأبى الفداء عماد الدين اسماعيل بن كثير ط عيسى البابى الحلبى .

١٣ ـ الجامع الصحيح لأبى عبد الله البخارى ط المطبعة الأميرية .

١٤ ـ جامع البيان عن تأويل آى القرآن لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ط مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر .

١٥ ـ دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة لموريس بوكاى ط دار المعاف .

١٦ ـ الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم ط صبيح .

١٧ ـ العقائد المسيحية بين القرآن والعقل د/ هاشم جودة ط الأمانة .

١٨ ـ الفارق بين المخلوق والخالق لشهاب الدين القرافى ط الموسوعات بالقاهرة .

١٩ ـ فى ظلال القرآن بقلم سيد قطب ط دار الشروق تحقيق محمد محيى الدين رمضان ط مؤسسة الرسالة بيروت .

٢٠ ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لأبى محمدمكى بن أبى طالب .

٢١ ـ لا تحريف فى التوراة والانجيل الناشرون مركز الشبيبة .

٢٢ ـ مناهل العرفان لمحمد عبد العظيم الزرقانى ط عيسى البابى الحلبى .

٢٣ ـ مجمع البيان فى تفسير القرآن للشيخ أبو على الفضل بن الحسن الطبرى ط دار مكتبة الحياة .

٢٤ ـ محاسن التأويل للشيخ محمد جمال الدين القاسمى ط عيسى البابى الحلبى وشركاه .

٢٥ ـ اليهودية والصهيونية للأستاذ أحمد عبد الغفور .

محتويات الكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٤٩٥٧/١٩٨٤